أعلام الجهاد في فلسطين
«أحداث القضيّة الفلسطينية خلال ستين عامًا»
(٢)

الشيخ عزّ الدّين القسّام

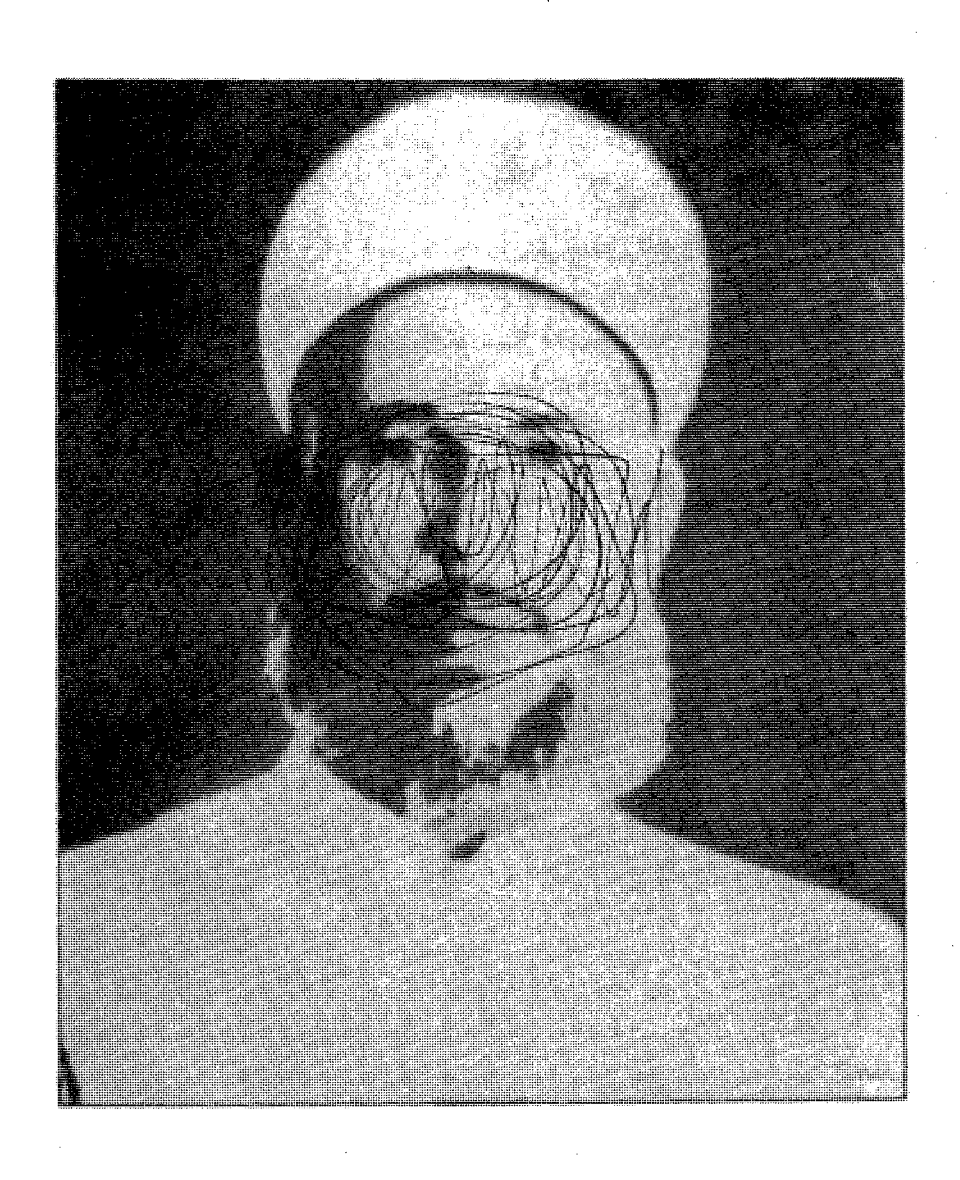
قائدُ حَرَكةٍ وَشهيدُ قضيّة
١٨٨٢ - ١٩٣٥

تأليف
حسني أدهم جرار



الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار الضياء للنشر والتوزيع
الأردن - عمان - مركز العبدلي التجاري
ص.ب: (٩٢٥٧٩٨) - هاتف (٦٧٨٥٠٢)



الشهيد الشيخ عز الدين القسام

رثـــاء

أَوْلَتْ عمامَتُكَ العَمائِمَ كُلَّها
شَرَفًا تُقَصِّرُ عِنْدَه التِّيجانُ
إنَّ الزَّعامةَ والطَّريقَ مَخوفةٌ
غيرُ الزَّعامةِ والطَّريقُ أمانُ
ماكُنْتُ أَحْسَبُ قبل شَخصِكَ أَنَّهُ
في بُردتيهِ يَضمُّها إنسانُ
يا رَهْطَ عزّ الدينِ حَسْبُكَ نعمة
في الخُلْدِ لاعَنَتٌ وَلا أَحْزانُ
شُهَداءُ بَدْرٍ وَالبقيْعِ تَهَلَّلَتْ
فَرَحًا وهَشَّ مُرَحِّبًا رضوانُ

الشاعر فؤاد الخطيب

بسم الله الرحمن الرّحيم

الإهداء

إلى شباب «ثورة المساجد» في فلسطين.. الذين حطّموا حاجز الخوف.. وغَدوا شامة بيضاء في جبين الأمّة العربية والإسلامية..

وإلى أبنائي: معاذ.. ومحمد.. وأسامة..

وإلى كلّ مسلم متحفّز لقتال أعداء الله يهود.. ينتظر اليوم الذي تُحطّم فيه القيود.. يوم يُنادي المنادي: يا ريح الجنّة هُبّي.. ويا خيلَ الله ارْكَبي.. ويا كتيبة الرّحمن سيري..

إلى هؤلاء جميعاً.. أهدي هذه السّلسلة من «أعلام الجهاد في فلسطين».

«هَـذا جهَـاد ... نصْـرٌ أو استِشهَـاد»

عزالدين القسام



«إنّ علينا نحن عرب فلسطين، الاعتماد على أنفسنا، وعلى إمكاناتنا الذاتية، لا ننتظر حتى تهبط علينا النجدات من السّماء، ولا حتى تصلنا من وراء الحدود».

عز الدين القسّام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة للسلسلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين، وقائد المجاهدين إلى يوم الدين، وَبَعْـد

فإن هذه السلسلة من «أعلام الجهاد في فلسطين» تتحدّث عن قضايا هامّة شغلت المسلمين فترات طويلة من الزمان وخاصة زماننا المعاصر.. ولأهمية الموضوع قمت بالبحث والدّراسة في هذه القضايا..

وفي هذه المقدّمة أرى أنّه لا بدّ من التعرض باختصار لأمور هامّة قام عليها البحث، وكانت الدافع الأساسي لكتابة هذه السلسلة.. كما أن هذا الموضوع لم يأخذ حقّه من الدّراسة والتحقيق لأنه يتناول فترة معاصرة.

الأمر الأول: مفهوم الجهاد في الإسلام:

الجهاد لغة: هو كل ما يدور حول المشقّة والمعاناة وبذل غاية الجهد والطاقة.

وجاهَدَ معناها: بَذَلَ وُسعه في المُدافعة والمُغالبة..

وجاهَدَ العدُوّ: قاتله، وتحمّل غاية الجهد في دفعه[1].

وأمّا شرعاً: فإن كلمة الجهاد تستخدم لتعني أكثر من مفهوم واحد:

- فهي تعني عند بعض العلماء كل مجهود يبذله الإنسان لدفع الشرّ وتثبيت الحق، ويدخل في ذلك الجهر بالحق وإصلاح المجتمع وجهاد النفس وتهذيبها، والكدّ في العمل والإخلاص فيه[2].

- والجهاد قد يستعمل بمعنى بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها[3].

ـ والجهاد قد يعني القتال دفاعاً عن الدين. .

ـ ويعني قتال الكفار ـ من غير ذوي العهد ـ لإعلاء كلمة الله تعالى وحماية نشر الدعوة[٤]. .

وهذا المعنى الأخير هو المقصود عادة عند إطلاق لفظ الجهاد.

وقد شرع الجهاد في الإسلام لغايتين هما:

تأمين الدعوة. . وحماية الدولة.

والجهاد هو السِّمة المميزة لأمة الإسلام في تاريخها الطويل، بل هو طريقها المرسوم إلى الهداية والتمكين في الأرض، وإرضاء الله تعالى، والحكم بكتابه.

والجهاد ذروة سنام الإسلام لأنه عطاء وأعظم ما يكون العطاء عطاء النفس والمال معاً. . قال تعالى: ﴿إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾[٥].

الأمر الثاني: أهمّية فلسطين عند المسلمين:

فلسطين. . أرض الإسراء والمعراج. . أرض مباركة فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وفيها مسجد إبراهيم عليه السلام، وفيها أضرحة عدد كبير من الأنبياء والشهداء والصالحين. .

فلسطين. . أرض حباها الله بالخير، وخصّها بالبركة، وأوجب فيها الرّباط، وجعلها مثوى للمجاهدين الأبرار. .

قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[٦]. .

فلسطين. . بلد مجّده الرسول الكريم، وحضّ المسلمين على الرباط فيه، وأورد في ذلك أحاديث نبويّة كثيرة. . ومن هذه الأحاديث:

١ ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ! إنّ الله عزّ وجلّ سيفتح عليكم الشّام من بعدي. . من العريش إلى الفرات.

رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة. فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة»[٧].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «إن الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات. وخصّ فلسطين بالتقديس»[٨].

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[٩].

٤ ـ عن عطاء قال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عزّ وجلّ خيارَ عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدّسة فيسكنهم إيّاها»[١٠].

٥ ـ روى ابن ماجة عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، أفْتِنَا في بيت المقدس. قال: «أرض المحشر والمنشر، إئتوه فصلّوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره».

٦ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنّة، فلينظر إلى بيت المقدس».

٧ ـ عن أنس بن مالك قال: «إن الجنة تحنّ شوقاً إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنّة الفردوس، وهي صُرّة الأرض».

٨ ـ عن النعمان بن عطاء قال: «ما من موضع في بيت المقدس إلاّ وقد سجد عليه مَلَك أو نبي، فلعلّ جبهتك أن توافي جبهة ملَك أو نبي».

٩ ـ قال الإمام علي كرّم الله وجهه: «نِعْمَ المَسكِن عند ظهور الفتن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتينّ زمان يقول أحدهم: ليتني تبْنة في لَبِنة في بيت المقدس. وأحبُّ الشام إلى الله بيت المقدس. وأحبُّ جبالها إليه الصخرة».

١٠ ـ وأعظم شاهد على فضل الشام ما أخرجه الترمذي من حديث زيد ابن ثابت رضي الله عنه، أنه قال: كنا يوماً عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرّقاع، فقال رسول الله ﷺ: «طوبى لأهل الشام. فقلت: لم ذاك يا رسول

الله؟ قال: لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليه»[11].

ولّما علم الصحابة تفضيل الشام على غيره رحل إليه منهم عشرة آلاف عين[12].. ثم توالى قدوم الصحابة والتابعين إلى أرض الإسراء ـ على مرّ الأيام والعصور ـ للرباط على ثراها الطاهر.. واجتمع فيها نخبة من أعلام الإسلام من خيرة القبائل العربية...

وعاشت أرض الإسراء والمعراج في ظل الإسلام[*] موئل سؤدد ومهوى أفئدة.. تُشدُّ إليها الرّحال وتنعم بالأمن والاستقرار.. يَؤُمُّها العُبّادُ والعلماء، ويتغنّى بها الأدباء والشعراء. وبقيت تدور مع الإسلام حيث دار.. تَعِزُّ إذا عزّ الإسلام وتهين إذا هان المسلمون.. فلم يفرّط المسلمون بأرض الإسراء إلا عاشوا في ذُلٍّ وهوان، ولم يعقدوا العزم على استردادها إلا عاشوا في عزّ ومَنَعَةٍ وتنزّلت عليهم رحمة السماء..

وفي فترات الضعف والغفلة التي مرّت بالأمة الإسلامية تعرّضت أرض الإسلام لهجمات الطامعين.. وكان قَدَرُ فلسطين أن تتحمّل معظم تلك الهجمات.. فوقعت فريسة لمكائد الطغاة وظلم الجبارين وغزو المعتدين..

هاجمها الصليبيون في تسع حملات صليبية طيلة قرنين من الزمان، من ١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م، ودخلوا بيت المقدس، وأراقوا دماء المسلمين الغافلين حتى قال قائدهم مفتخراً مزهوّاً: «لقد خاضت خيولنا في دماء المسلمين حتى الرُّكب»!! وفي النهاية خرجوا منها أذلّاء، صاغرين بعد معركة حطين عام ١١٨٧ م..

وهاجمها المغول والتتار بعد أن اجتاحوا ديار الإسلام، وقتلوا في بغداد وحدها أكثر من مليون من البشر، وانْهالوا على تراث الإسلام تهديماً وتحريقاً، حتى غدت بغداد الجميلة الزاهية خراباً بلقعاً، وسالت أنهارها بمداد الكتب سوداء حالكة السواد.. وأقاموا في سورية جبلاً من جماجم المسلمين..

فنَفَرَ المسلمون في سبيل الله وتجمّعوا في فلسطين ومزّقوا التّتار ودحروهم في عين جالوت عام ١٢٦١ م..

وهاجمها الفرنسيون في نهاية القرن الثامن عشر. . واندحر نابليون وهُزمت قوّاته في معارك جبل النار ومرج ابن عامر، فانْسلّ عن أسوار عكا يحمل الخزي والعار. .

وهكذا شهدت ساحات فلسطين معارك البطولة والفداء، وجُبلت كل ذرّة من ترابها بالدّماء، واحتوى ثراها الطاهر آلاف آلاف الشهداء. . وعاشت فلسطين للإسلام حصناً وموئلاً، وبقيت للغزاة مقصلة ومقبرة.

الأمر الثالث: أعلام الجهاد المعاصر في فلسطين:

في عصرنا الحديث تآمر على فلسطين كل الأعداء من صليبيين ويهود وشيوعيين. . وهاجمها الانجليز بعد الحرب العالمية الأولى واستعملوا المكر والغدر والكذب والخديعة. . وعملوا على تمكين اليهود من فلسطين ليكونوا بؤرة الشرّ والفساد في أرض الإسراء والمعراج. .

وهبّت ثورات متلاحقة أشعلها العلماء والشيوخ، وقادها أعلام الجهاد الذين حرّكهم الإسلام ودفعهم لانتفاضات وثورات ضد العدو الصهيوني والمستعمر البريطاني، فدافعوا عن وطنهم وأمتهم وعقيدتهم، واقتحموا ميادين القتال ودخلوا السجون والمعتقلات، وقدّموا الشهيد تلو الشهيد، والسجين إثر السجين. .

ولكن المؤامرة كانت أكبر منهم. . بل وكانت أمتهم تعيش في غفلة فتخاذلت عن مساعدتهم، ولم يقف بجانبهم إلا أبناء الحركة الإسلامية الذين اعتبروا الدفاع عن فلسطين واجب، والقتال فيها شرف، وطرد الغاصبين منها جهاد، وعودتها إلى المسلمين عقيدة.

لقد كافح هؤلاء المجاهدون في أشدّ الأوقات ظُلمة وظلاماً، واحتملوا الكثير في سبيل الله، وأعلنوا صيحة الحق مدوّية عالية. . وكان نصيبهم السجن والأذى أو النفي والتشريد أو الموت ومفارقة الحياة. . ولكنهم مضوا مؤمنين بحق أمتهم، ثابتين على عقيدتهم، يعلّمون الأجيال معنى الجهاد. .

لقد كافح هؤلاء الأبطال وأفئدتهم عامرة بالإيمان، وألسنتهم رطبة بذكر الله.. واستعصموا بدينهم ولم يرتضوا الذُّلّ، ووقفوا في وجه الرّدى ولم يحنوا قاماتهم لغاصب، واقتفوا أثر أمجادهم ولم يرهبوا الموت.. كانوا يتحرقون للجهاد ويثبتون كالأسود.. ينصرون الحق ويستعلون على الباطل.

هؤلاء الرُّوّاد أناروا الطريق للأجيال من بعدهم، وأعادوا لها أملاً مشرقاً، بأن غفلة هذه الأمة لا تطول، وتنكّرها للإسلام لا يدوم.. فما حلّت بها نكبة ولا اشتدّت بها أزمة إلا وقيّض الله لها من يقيل عثرتها ويشدّها إلى الإسلام ويعيدها إلى طريق الحق؛ وينطلق بها من جديد يُوحّد كلمتها ويجمع شتاتها ويرفع رايتها..

نعم.. لقد أناروا الطريق للشباب المسلم الذي بدأ يحسُّ بعمق النكبة، ويستعد ليوم الثأر، ويترقّب قائداً يرفع الرّاية كالمظفر قطز أو الناصر صلاح الدين.. هذا الشباب الذي سينطلق باسم الله محرّراً للأفكار والدّيار، ومنقذاً لأرض الإسراء.. سينتصر بإذن الله، لأن الله وعده بالنصر، وبشره قائد الأمّة ومربّي أجيالها بهذا النصر.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم السّاعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتُلُهُم المسلمون حتى يختبىءُ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنّه من شجر اليهود»(١٣).

إنّ من حق هؤلاء الرُّوّاد ـ وهم كثيرون والحمد لله ـ وفي مقدّمتهم سماحة الحاج أمين الحسيني، والشيخ عز الدين القسام، والشيخ فرحان السعدي، والشهيد عبد القادر الحسيني، والشهيد عبد الرحيم الحاج محمد، والشيخ عطية أحمد، والشيخ حسن سلامة، والشيخ علي رضا النحوي، والشيخ عبد الحليم الجيلاني، والشيخ فريز جرّار، والشيخ عبد القادر المظفر، والشيخ مصطفى أبو طير، والشيخ سعد الدين العلمي، والمجاهد محمد علي الطاهر، والمجاهد عارف عبد الرازق، والمجاهد إبراهيم أبو ديّة، والشهيد يوسف أبو دُرّة، والشهيد عبد الرحيم محمود، والمجاهد خليل محمد العيسى (أبو ابراهيم

الكبير)، والشهيد محمد صالح الحمد، والشيخ أحمد ياسين، والشيخ محمد فؤاد أبو زيد، والشيخ الشهيد محمد فرغلي، والشهيد أحمد عبد العزيز، والشهيد سعيد العاص، والشهيد محمد سعيد باعبّاد. . وغيرهم كثيرون. . من حقهم أن نذكرهم وأن نكشف عن جوهر فكرهم وأسلوب حياتهم، فهم مشاعل متّقدة على طريق اليقظة، ومنائر حيّة على طريق الجهاد، ومصابيح مضيئة تبعث في النفوس الأمل.

وفي هذه السلسلة من «أعلام الجهاد في فلسطين» سوف أقدّم هؤلاء الأبطال ـ إن شاء الله ـ واحداً تلو الآخر في كتب منفردة أو كل مجموعة في كتاب. . وأرجو الله تعالى أن يُسدّد الخُطى، وأن يعين على إنجاز هذه المهمّة، كما أرجوه تعالى أن يحتسب هذا العمل في طاعته ومن أجل مرضاته، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف



مقدمة الكتاب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو الكتاب الثاني من سلسلة «أعلام الجهاد في فلسطين». . عن قائد فذ وداعية مؤثّر وعالم مجاهد هو الشيخ الشهيد عز الدين القسام [١٨٨٢ - ١٩٣٥]. .

هذا الشيخ المجاهد شارك في إشعال ثورة الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي. وحاول الفرنسيون مساومته على الانسحاب من الثورة فأبىٰ، فأصدروا حكماً عليه بالإعدام، فانتقل عام ١٩٢٠ م إلى سورية الجنوبية «فلسطين» ليشعل ثورة أخرى ضد الاحتلال البريطاني المتآمر مع الصهيونية العالمية على اغتصاب فلسطين. .

وكان لثورته آثار عظيمة. . فقد ألهبت نفوس الجماهير، وأوقدت فيها شعلة الإيمان، وأثارت الشعور الإسلامي ضد المحتل، وفتحت باب الجهاد للشعب الفلسطيني الباسل على مصراعيه. . وكانت ينبوع البطولة الذي ارتوى منه المجاهدون، والزّاد الذي غذّى البراعم الصغيرة فشبّت على الجهاد. .

هذا هو القسام. . عالم أعاد للأمة مفاهيم الحياة الصحيحة المنبثقة من تعاليم الاسلام. . عالم الْتَقى مع الناس في الشوارع والطرقات، وفي المساجد والمدارس، وفي البيوت والحوانيت، وفي المدن والقرى، وعاش معهم آلامهم ومعاناتهم، وحملها وتبناها ودافع عنها. . عالم جمع بين المسجد والمدرسة، والمصنع والبيت، والقرية والمدينة وساحة القتال. .

ومجاهد صوّب بندقيته المباركة إلى صدور المحتلين، وزرع بذور الجهاد في ذُرىٰ أحراش يعبد، فأثمرت جيل الانتفاضة. .

كان ـ رحمه الله ـ ومضة مشرقة في أيام صعبة، وهبـة ربانيّـة حلّت على أرض فلسطين. . كان منارة من منارات الإسلام الشامخة على امتداد تاريخنا المجيد.

هذا الشيخ المجاهد. . أسس حركة جهـادية، وقـاد تجربـة حيّة، نجحت في تحويل مجرى القضية الفلسطينية من طور المشاعر الانفعالية في الكلام والخطابات إلى طور العمل الجاد والحركة والجهاد. . ولكن هذه التجربـة لم تأخـذ حقها من الكتـابة والـدراسة الحقيقيـة التي تعتمد عـلى منطلقـات الشيـخ ومفـاهيمـه عن الجهاد. . فمعظم الكتابات التي كتبت عن تجربته سيـطر عليها التـوجه القـومي الليبرالي الذي برز في الساحة العربيـة في أوائل العشرينـات من هذا القـرن بعد التآمر على الخلافة وإلغائها من الحياة. . وتبع هذا دراسات وتحليلات وتفسيرات للأحداث كتبت بمنطلقات قومية ويسارية، اعتمدت التناقض والصراع الـطبقي كأساس في التحليل، لتخدم ايدولوجيات معيّنة. . فمن هؤلاء الباحثين من قال بأن القسام كان يهدف إلى بناء دولة اشتراكية[١٤]، وان جوهر العـلاقة بينـه وبين أتبـاعه كـانت سياسيـة لا دينية[١٥]. وكـان التركيـز في هذه الـدراسات عـلى قوة العـلاقـة بـين القسّـام وبـين العـمال والفـلاحـين للتـدليـل عـلى مثـل هـذه الاستنتاجات. .

فجاءت هذه الكتـابات ممسـوخة ومشـوهة لأحـداث ورجال جـاهدوا بـاسم الإسلام وتبنوا عقيدته في الكفاح والاستشهاد. .

وهناك بعض الدراسات الجيدة عن هذه التجربة، ومن أفضلها الدراسة التي قـام بها السيـد سميح حـمودة بعنـوان «الـوعي والثـورة في حيـاة وجهـاد الشيخ القسام»، فقد قام باستقصاء جيد لحياة الشيخ وحركته وجهاده. .

ولكن حياة هذا الشيخ المجاهد تحتاج إلى مـزيد من الكتـابة والاستقصـاء. . وأرجو أن يكون هذا الكتاب الذي أقدمـه حلقة من حلقـات هذا الاستقصـاء، ومساهمة متواضعة لخدمة قضيتنا الأساسية «قضية فلسطين».

خطة البحث:

اعتمـدت هذه الـدراسة عـلى عـدد غـير قليـل من المصـادر والمـراجـع، وفي مقدمتها:

١ ـ مصادر المؤرخين الذين عاصروا أحداث القضية الفلسطينية وتجربة الشيخ القسام، وسجلوها في حينها، ومنها:

أ ـ عزة دروزة، «القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة».

ب ـ أكرم زعيتر، «يوميات أكرم زعيتر» ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ م.

جـ ـ محمد علي الطاهر، «أوراق مجموعة عن فظائع الانجليز في فلسطين وغدر اليهود».

د ـ إميل الغوري، «فلسطين عبر ستين عاماً».

هـ ـ صبحي ياسين، «الثورة العربية الكبرى».

٢ ـ كتب حديثة اعتمدت على الدراسة والتحليل، ومنها:

أ ـ سميح حمودة: الدراسة التي قام بها في كتابه «الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام»، والمعلومات التي أوردها استناداً إلى المقابلات التي أجراها، والصحف والمصادر التي أخذ عنها.

ب ـ بيان نويهض الحوت: الدراسة التي قامت بها الباحثة بيان في كتابها القيم «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين».

جـ ـ د. كامل خلّة: كتابه «فلسطين والانتداب البريطاني».

د ـ علي حسين خلف: دراسة بعنوان «تجربة الشيخ عز الدين القسام».

٣ ـ مجموعة من المراجع والكتب الأخرى، والتي أشرت إليها في هوامش الكتاب.

٤ ـ مجموعة من الصحف والمجلات الفلسطينية والعربية والأجنبية، التي صدرت في تلك الفترة وبعدها.

٥ ـ رسائل ومقابلات شخصية أجريتها مع عدد من الذين عاصروا التجربة، والذين يعيشون في الوطن المحتل وخارجه..

أهم هذه المقابلات:

ـ مقابلة أجريتها مع السيد عبد الله السعدي ابن الشهيد الشيخ فرحان السعدي عام ١٩٨٦ م في عمان.

- مقابلة أجريتها مع الأستاذ طاهر أحمد حسين في عمان عام ١٩٨٦ م.
- مقابلة أجريتها مع السيد يوسف العطار عام ١٩٨٥ م.
- رسائل وصلتني من الدكتور عدنان النحوي عام ١٩٨٦ م، ومقابلة أجريتها معه في نفس العالم بالدوحة.
- مقابلة أجريتها مع الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري عام ١٩٨٦ م بالدوحة.

وقسّمت البحث إلى سبعة فصول، هي:

الفصل الأول:

تحدثت فيه عن نشأة القسام في سورية، ودراسته في الأزهر الشريف، ودوره في الثورة السورية ضد الفرنسيين.

الفصل الثاني:

تحدثت فيه عن نشاط القسام في فلسطين، وعن علاقاته العامة بالقادة والحركات المعاصرة.

الفصل الثالث:

تحدثت فيه عن المراحل العامة لحركة القسام.

الفصل الرابع:

تحدثت فيه عن معركة يعبد.. أسبابها، وأحداثها، ونتائجها، والآثار التي نتجت عن استشهاد القسام.

الفصل الخامس:

تحدثت فيه عن حركة القسام بعد استشهاده.

الفصل السادس:

تحدثت فيه عن القسام في نظر معاصريه، واخترت مجموعة من أقوال العلماء

والمؤرخين في الشيخ القسام، ومجموعة من القصائد الشعرية التي قيلت في رثائه.

الفصل السابع:

خصصته للحديث عن الشيخ القسام كقدوة للأجيال.

هذا، وقد زوّدت الكتاب بمجموعة من الملاحق التي تدعم الدّراسة والمعلومات التي وردت فيه.

وفي ختام هذه المقدّمة فإني أتقدّم بالشكر والثناء إلى كل أخ ساهم برأي أو معلومة ساعدت على إنجاز هذا الكتاب.. والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٣، ص ١٣٥.

(٢) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٤٤.

(٣) علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٤.

(٤) أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص ٣٦٢.

(٥) سورة التورة: آية ٤١.

سورة الإسراء: الآية الأولى.

(٧) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ص ١٤٥.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٧٢.

(٩) صحيح البخاري: ٢/٦٠، القاهرة ١٣١٤ هـ.

(١٠) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ١/٣٣٣.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص ٧٢.

(١٢) أحمد بن علي بن عمر المنيني، الإعلام بفضائل الشام، ص ٧٠.

(*) لقد كانت فلسطين إسلامية منذ أن دخلها إبراهيم عليه السلام ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾ سورة الحج: آية ٧٨، ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ سورة آل عمران: آية ٦٧.

(١٣) صحيح مسلم، الجزء الثامن عشر، ص ٤٤.

(١٤) عبد القادر ياسين، عز الدين القسام بين جمهورية فرحات وبؤرة جيفارا، مجلة قضايا عربية، تشرين الثاني ١٩٧٩ م، السنة السادسة، العدد السابع، ص ١٨٨.

(١٥) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، جـ ١، ص ٤٢ ـ ٥٢.

الفصل الاول
نشأة القسام وحياته

- مولده ونشأته.
- دراسته في الأزهر الشريف.
- عودته إلى جبلة.
- الدعوة للجهاد ضد إيطاليا.
- الاحتلال الفرنسي لسورية.
- الثورة السورية.. وعصابات الجهاد.
- دور القسّام في الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي.
- تجربة الثورة السورية.. دروس ونتائج.
- هوامش الفصل الأول.



الفصل الأول
نشأة القسام وحياته

مولده ونشأته:

ولـد عز الـدين القسّام في بلدة «جبلة»(*) التـابعـة لقضـاء مـدينـة الـلاذقيـة السورية، عام ١٣٠٠ هـ، ١٨٨٢ م.. ونشأ في أسرة ريفية فقيرة الحـال عُرفت بالعلم والتقوى. وكان والده الشيخ عبد القـادر مصطفى القسـام من المشتغلين بالتصوف وعلوم الشريعة الإسلامية، وأمه حليمة قصّاب من آل نور الله الكرام حملة العلم ومصابيح الهدى في بلاد الشام[1].

درس عز الدين، وتعلّم في «كُتّاب» الشيخ محيمود وفي زاوية الإمام الغزالي، وكان مضرب المثل بين أبناء بلده ذكـاءً وتفوقـاً وخلقاً.. ولما كان والـده فقيراً، فلم يكن له أن يستمتع بطفولته فيلهو ويلعب مع أنداده، وإنما كان عليه وهو في الثامنة أن يعين أباه على كسب قوت العائلة وتدبير أمورها المعاشيـة، فيعمل مـع أبيه في زراعة الحاكورة التي يملكونها. وفي المساء كان يحمل حقيبته التي خاطتهـا أمه بيدها من القماش، ويضع فيها مصحفه ودفتره، وريشتـه وأدواته ثم ينـطلق إلى الشيخ ليتعلم فكّ الحرف وتلاوة القرآن الكريم.

وكان أبوه من المهتمـين بنشر العلم، وتربيـة المريـدين وهدايتهم إلى الله عـزّ وجلّ.. عمل في مدرسة «كُتّاب» درّس فيها أبناء القريـة أصول القـراءة وحفظ القـرآن الكريم والأنـاشيـد الـدينيـة، ثم اشتغـل لفـترة مستنـطقاً في المحكمـة الشرعية[2].

وأسرة القسّام معروفة في بلدة جبلة بمكانتها واشتغالها بالفقه وعلوم الشريعة، وهذه البيئة الـريفية البسيـطة ساعـدت عز الـدين على أن يتشرّب مفـاهيم وقيم

عائلته منذ يفاعته، وأن ينشأ على حب الفقه والعلوم الاسلامية، فيكون لأستاذه في «الكُتّاب» رأي بتلميذه وإعجاب بنبوغه وتفوقه على أقرانه، وكان الأستاذ غالباً ما يلهج لسانه بذكر مزايا تلميذه عز الدين. ولقد ساعدت هذه البيئة الطيبة عز الدين على أن ينشأ منذ طفولته في أحضان الإسلام، وأن يتمتع بالكثير من المحامد، من صفاء وسمو خلق وسيرة عطرة، والتزام جادّ بتعاليم الإسلام، وبُغض للظلم وثورة على الظالمين..

امتاز عز الدين في صغره ويفاعته بالميل إلى الانفراد والعزلة وطول التفكير.. الأمر الذي سيؤثر في مستقبله، وسيجعله أكثر قدرة على فهم ما يدور حوله من أحداث، وبادراك الأسباب والكوامن الأساسية خلفها[٣].. فكثيراً ما كان يخلو إلى نفسه في زاوية من بيت الأسرة الذي يتكوّن من غرفة واحدة طويلة جزء منها تنام فيه الأسرة كلها، وجزء لمؤونة الأسرة وعلف الماشية، والجزء الثالث لنوم الدّابة.. ويسرح به الخيال والفكر وهو يتأمل الحياة القاسية التي يعيشها أهله، ويفكر في الفلاحين الذين يعملون في أرض الأفندي وفي محاصيلهم التي يذهب معظم ريعها إلى صاحب الأرض، ولا يبقى لهم إلا القليل[٤].

دراسته في الأزهر الشريف:

كان لتفوق عز الدين في دراسته بالكُتّاب، واهتمام أسرته بالتعليم، فرصة للسفر إلى الأزهر الشريف وطلب العلم هناك، حيث استطاع والده تأمين رحلة دراسية له إلى الأزهر، فذهب مع أبيه عام ١٨٩٦ م إلى جزيرة «أرواد» القريبة ليسافر على أحد قوارب الصيد إلى الاسكندرية، وفي جعبته القليل من الزاد والمال. فسافر عز الدين وابن خالته ناجي أديب وبرفقتهم أخوه فخر الدين وعز الدين التنوخي وبعض طلاب العلم. وفي الأزهر حضر عز الدين دروس الشيخ محمد عبده ـ الذي اهتم به كثيراً ـ وارتوت نفسه من العلم.

ولم يقصر الشيخ الفتى اهتمامه على دروس الشيخ محمد عبده وإنّما تجوّل في معظم حلقات الأزهر واعتكف في أروقة مكتباته. وكان يرافق اهتمامه بدروس العلم اهتمام آخر بحركات التحرر التي كان يغذيها رجال الأزهر.. ففهم

الاسلام دين عدالة وتحرّر ومساواة بين البشر[٥].

والجامع الأزهر في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن كان منارة كبرى لنشر العربية والاسلام، وجامعة للفكر الاسلامي المتحرك، ففي رحابه كان جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وعلى يديهما تخرّج الكثير من الرجال الذين قادوا الثورات ضد الظلم والاستعمار.

ولعل فترة دراسته في الأزهر البالغة عشر سنوات[٦]، قد سمحت له بالأخذ من الثقافة المعاصرة له بدرجة كبيرة، وجذّرت فيه التوجه الإسلامي الثوري، فالأزهر معقل العلماء والثورة على الظلم منذ القدم، وما وقوفه في وجه الغازي نابليون ببعيد. ولقد هيأت مصر التي كانت أنذاك ملتقى التيارات الفكرية المتعددة وحركات التحرر داخل الشرق الاسلامي، فرصة لتوعية الشاب القروي عز الدين وتنويره بما يدور في العالم من صراع، فعلى ساحتها كان الصراع الفكري يحتدم بين مدرسة الاسلاميين الأصوليين ممثلة بتلاميذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وبين مدرسة التغريب ممثلة بعملاء حضارة الغرب من أمثال فرح انطون ولطفي السيد.

كما أن مصر كانت خاضعة للاحتلال البريطاني المباشر بعد فشل ثورة عرابي عام ١٨٨٢ م، وكان فيها تيار المقاومة الاسلامي للاحتلال البريطاني ممثلاً بمصطفى كامل أحد الأصوات الثورية في تاريخ مصر، ومن المتأثرين بصرخات باعث النهضة الاسلامية الحديثة جمال الدين الأفغاني[٧]..

ففي مصر، إذن عرف القسام حقيقة الاستعمار الغربي وجهاً لوجه، ورأى هجوم المفكرين المتغربين على الاسلام فكراً وحضارة وتاريخاً، وعايش بنفسه الصراع الدائر بين هؤلاء وبين المفكرين الاسلاميين، وفيها عرف عن الحركة الصهيونية وليدة الاستعمار الغربي وربيبته، وسمع عن تطلعاتها وأطماعها بفلسطين.. يقول الباحث اليهودي يهوشع بوراث أن القسام ربما وقع تحت تأثير رشيد رضا الذي أنشأ مدرسة خاصة به خارج الأزهر «مدرسة الجهاد»، لأن أفكاره وتطلعاته شبيهة إلى حد كبير برشيد رضا[٨].

ولقد عاش القسام في مصر أبيّ النفس عصامياً يعتمد على نفسه في أمور حياته ومعيشته. . ومما يُروى عنه في هذه المرحلة من حياته، أنه عانى وزميله عز الدين التنوخي، من انقطاع المصاريف ونفاد ما بحوزتهما، وفقد التنوخي الأمل بإمكانية الخروج من المأزق، وظلّ يحاور القسام عمّا يفعلانه، فاقترح القسام قائلاً:

- سنعمل هريسة ونبيعها للطلاب!

فاستفظع التنوخي الأمر، وفي محاولة للتملّص قال:

- ولكني أخجل، ولا أستطيع المناداة. .

فأجابه القسام:

- أنا أصيح على بضاعتنا.

وبهذه الوسيلة، تمكن الاثنان من مواصلة الدراسة، القسام يصيح والتنوخي يلازمه وقوفاً.

وذات يوم، جاء والد التنوخي لزيارته في القاهرة. وقبل دخوله الأزهر، وجد ابنه إلى جوار القسام، وكلاهما خلف «سدر الهريسة»، فسأل مستفسراً: ما هذا؟

فأجابه ابنه محاولاً ردّ التهمة عن نفسه:

عز الدين علمني، وهو صاحب الفكرة!

ولم يصدّق الابن، حين سمع أباه يقول:

حقاً. . لقد علّمك الحياة[9]!

عودته إلى جبلة:

عاد الشيخ عز الدين القسام إلى جبلة عام ١٩٠٦ م بعد أن نال شهادة الأهلية، فتوافد أهل البلدة يسلمون عليه ويهنئون والده بسلامة العودة. وبعدها بأيام حاول والده أن يقنعه بالذهاب إلى قصر الأفندي «ديب» ليسلم عليه، ولكن العالم الأزهري المستنير يرفض السلام على الأفندي ويحاور أباه بمنطق سليم:

ـ «غريب يا أبي! وهل يسلم الوافد على المقيم؟!!
ـ ولكنه الأفندي يا ولدي..

فتبسم عز الدين وقال:
ـ لا يا أبي، فالله لم يخلقنا أفندية ودهماء، حقوق الجوار تقضي أن يبدأ هو بالزيارة، أو تأتي البادرة من صوبه على الأقل، لا تخش شيئاً يا أبتي فأنا قوي بعلمي وإيماني وهو لن يجرؤ على أذيتك»[10].

وقام القسام برحلة إلى تركيا، للاطلاع على طرق التدريس في جوامعها[11]، وقد آمن أن عالم الدين ليس معلم الفرائض والعبادات فحسب بل معلم الإباء والوطنية وعزة النفس، وأن دوره هو دفع المؤمنين إلى رفض الاستكانة والتواكل وعدم عزلهم عن قضايا أمتهم.

وحين عاد عكف على التدريس في زاوية والده، وفي جامع السلطان ابراهيم ابن أدهم قطب الزاهدين[12]. وأخذ دور والده في تدريس أطفال البلدة أصول القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، وبعض العلوم الحديثة. وتولّى خطبة الجمعة في مسجد المنصوري الذي يتوسط البلدة، وقدّم لسكان بلدته الإسلام كما آمن به وتعلّمه، وغدا بخطبه ودروسه وسلوكه موضع احترام الناس. وامتدت شهرته وسمعته الحسنة إلى المناطق المجاورة، وربطته بكثير من سكانها صداقات متينة[13]، فكثر أتباعه ومريدوه وعظم شأنه وذاع صيته.

وحاول الأفندية في المنطقة الضغط على الشيخ عز الدين، ربما للتخفيف من نفوذه الشعبي وتأثيره على الناس، إذ أنه أصبح موضع احترامهم وتقديرهم، إلا أنهم فشوا في إخضاعه، فحاولوا استعداء السلطات عليه فلم ينجحوا.

وبعد توظفه في مسجد المنصوري، أحدث القسام تغييراً في بيت أسرته، فبعد أن كان البيت مؤلفاً من غرفة واحدة طويلة، مبنية من اللّبن والطين، ومقسمة إلى ثلاثة أقسام مفتوحة على بعضها البعض: واحدة لنوم جميع العائلة، وواحدة للمؤونة والعلف، والثالثة لنوم البقرة..

أقنع والده بضرورة الفصل بين أجزاء البيت الثلاثة، وأن يطليه بالطلاء

الأبيض (الجير)، ومنع عز الدين أمه وإخوته من العمل في أرض الأفندي، مكتفياً بدخله الشهري.

الدعوة للجهاد ضد إيطاليا:

في نهاية القرن التاسع عشر كانت الدول الأوربية تطمع في الاستيلاء على كثير من الدول العربية، وكانت إيطاليا تطمع في الاستيلاء على طرابلس الغرب. وفي عام ١٩٠٠ م عقدت اتفاقية مع فرنسا حول تحديد مناطق النفوذ في البحر الأبيض المتوسط، وبموجبها تخلت فرنسا لصالح إيطاليا عن جميع مطالبها في طرابلس الغرب، ولقاء ذلك منحتها إيطاليا حرية العمل في مراكش.

وقامت إيطاليا بعد ضمانها تأييد نظيراتها الأوربيات «بريطانيا، فرنسا، روسيا» باستعدادات وافية، وقام ضباط الأسطول الإيطالي الذين كانوا يرتدون لباس الصيادين باصطياد الاسفنج عند سواحل طرابلس الغرب، حيث مسحوا سواحلها في الوقت ذاته.

وابتدأت الصحافة الايطالية منذ عام ١٩٠١ م بدعوة الحكومة إلى فتح طرابلس الغرب كمنطقة كانت تعود بصورة طبيعية إلى الايطاليين، وأخرج أحد الجغرافيين الايطاليين في سجلات التاريخ القديم اصطلاح «ليبيا» وأطلقه على طرابلس الغرب[١٤].

وفي عام ١٩٠٨ م نجحت حركة «الاتحاد والترقي» الماسونية في الاستيلاء على السلطة في تركيا بعد الانقلاب المشؤوم ضد السلطان عبد الحميد، وقام حكامها بالتعاون التام مع أعداء الاسلام ضد الدولة الإسلامية لتقليص نفوذها والقضاء عليها.

وفي سنة ١٩١١ م قررت إيطاليا الاستيلاء على طرابلس الغرب واحتلالها، فحاصر أسطولها مدينة طرابلس في ١٩١١/٩/٣٠ م بهدف إخضاعها بالقوة..

وقبل حصار طرابلس وجّه الطليان إنذاراً نهائياً لحكومة الاتحاد والترقي، جاء

فيه: إن إيطاليا قررت إسباغ نعم التقدم الأوربي على طرابلس الغرب وان عمل إيطاليا «المشروع» هذا اصطدم بمقاومة الباب العالي. ولما كانت ايطاليا لا تريد إضاعة الوقت بإجراء مفاوضات لا جدوى فيها، لذا قرّرت احتلال طرابلس الغرب وبرقة عسكرياً، صيانة لكرامتها وحفاظاً على مصالحها، واقترحت على تركيا أن تأمر موظفيها بعدم مقاومة الاحتلال الايطالي، وأمهلتها (٢٤) ساعة لتنفيذ هذا المطلب. وحتى تكتمل فصول المأساة فقد ردّت حكومة الاتحاد والترقي على الانذار الايطالي بأسلوب مسالم للغاية قالت فيه «أنها لا تضمر أي عداء إزاء المشاريع الايطالية في طرابلس الغرب وبرقة»[١٥].

ولما دخلت القوات الايطالية طرابلس الغرب واجهت مقاومة عنيفة من القبائل المسلمة التي استبسل أبناؤها في الدفاع عن أرضهم. ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرابلس الغرب معروفة باسم «ليبيا».

أما العالم المجاهد القسّام، فقد قاد مظاهرة طافت شوارع جبلة، تأييداً للمسلمين في طرابلس الغرب، ودعا الناس إلى التطوع لقتال الايطاليين، وانتقى (٢٥٠) متطوعاً، وقام بحملة جمع فيها التبرعات لتأمين ما يلزمهم ويلزم أسرهم، واتجه بالمتطوعين إلى الاسكندرونة كي يستقلوا باخرة إلى طرابلس. وبعد أن وصلوا الاسكندرونة انتظروا فيها أربعين يوماً دون جدوى حيث منعتهم السلطات التركية من السفر وأمرتهم بالعودة إلى بلدهم. فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الأميين[١٦]. . وكانت لفتة واعية من القسام الذي اعتبر محاربة الجهل وتعليم المسلمين من الجهاد في سبيل الله، يصرف عليه من أموال الصدقات المخصصة للجهاد. . وهذا دليل وعي وفهم عميق لرسالة الإسلام.

الاحتلال الفرنسي لسورية:

بعد الاتصالات والمراسلات التي جرت بين الشريف حسين من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، والاتفاقات التي نجمت عنها، تقرّر إعلان الثورة العربية على الأتراك في الخامس من حزيران ١٩١٦ م.

وقبل نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت بوادر المؤامرة على المسلمين تظهر

بشكل واضح، وأخذت بريطانيا تتنكر لوعودها التي قطعتها للشريف حسين، إذ أعلنت باسم وزير خارجيتها اللورد بلفور، وعدها لليهود بمساعدتهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وبعد صدور الوعد احتلت بريطانيا فلسطين في شهر كانون الأول ١٩١٧ م، كما قامت باحتلال العراق وشرقي الأردن. وقامت فرنسا باحتلال سورية ولبنان.

ففي مطلع تشرين الأول ١٩١٨ دخلت جيوش الحلفاء دمشق، وبعد أن أتم الجيش الفرنسي احتلال المنطقة الغربية قسمها المفوض السامي جورج بيكو إلى ثلاث حكومات مراكزها بيروت، واللاذقية، والاسكندرونة، وسمى القسم الأول لبنان الكبير، ثم انقسمت اللاذقية وملحقاتها إلى حكومتين منفصلتين[١٧]، وفي هذه التجزئة تعبير واضح عن نوايا المستعمرين بتفتيت وحدة المنطقة وتقسيمها على أسس طائفية وعرقية.

فيصل بن الحسين في سورية:

كان لفيصل بن الحسين دور بارز خلال معارك الحلفاء والعرب ضد الأتراك، فقد ساعد الحلفاء في الوصول إلى نتائج حاسمة وفاصلة في الحرب، وفي الوقت الذي كان فيه يهيء نفسه ليكون ملكاً على سورية بشقيها الغربي والشرقي، كان الحلفاء يرسمون خارطة المنطقة خلف الكواليس دون أن يكون لوعودهم للعرب أية قيمة أو تأثير على خططهم.

حاول الأمير فيصل أن يحصل على اعتراف فرنسا بحكمه وانسحابها من المنطقة بالوسائل السلمية والسياسية، وكانت هذه رغبة كل السوريين بمختلف اتجاهاتهم، وتعبيراً عن هذه الرغبة عقد المؤتمر السوري أولى جلساته في الثالث من حزيران سنة ١٩١٩ م، وبحضور ممثلين من مدن سورية ولبنان وفلسطين، وأعلن المؤتمر عن سعيه لتحقيق مهمته الأساسية في جمع كلمة السوريين حول وحدة سورية بمناطقها الثلاث والمناداة بزعامة فيصل وإنابته للدفاع عن استقلال سورية[١٨].

ونتيجة لهذا الطلب اتفقت فرنسا مع بريطانيا على أن تكون الأخيرة حرة

التصرف في فلسطين، والجزيرة العربية وكامل العراق، مقابل انتداب فرنسا على سورية ولبنان.

ورفض السوريون الانتداب الفرنسي، واجتمع المؤتمر السوري ثانية في ١٩٢٠/٣/٦ وبايع فيصل ملكاً على سورية وأعلن استقلالها، وأدخل فلسطين في الوحدة السورية، كما أنه بحث مسألة استقلال العراق. فقامت بريطانيا وفرنسا بعقد مؤتمر في سان ريمو بتاريخ ١٩٢٠/٤/٢٤ م اتفقتا فيه على تقسيم البلاد العربية فيما بينهما وجعل الانتداب واقعاً كما اتفقتا في السابق.

بعد إعلان قرارات المؤتمر بدأ استعداد الشعب السوري للتصدي للجيوش الفرنسية التي تريد فرض الانتداب بالقوة. ووجّه الجنرال غورو إنذاراً لفيصل بضرورة قبول الانتداب، ورفض الشعب السوري الانذار، وتمّ إعلان الجهاد ضد الفرنسيين.

وفي ٢٤ تموز التقى الجيشان السوري بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة، والجيش الفرنسي بقيادة غورو في معركة ميسلون، وكانت النتيجة احتلال فرنسا للمنطقة الشرقية ودخولها دمشق معلنة سقوط الحكومة العربية المستقلة. وطُلب من فيصل مغادرة البلاد صباح ٢٨ تموز ١٩٢٠ م. أما غورو فقد توجه نحو قبر صلاح الدين ليقول أمام الضريح متهكماً: «يا صلاح الدين أنت قلت لنا في إبان الحروب الصليبية أنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه.. وها إننا قد عدنا فانهض لترانا هاهنا»[١٩].

الثورة السورية.. وعصابات الجهاد:

كان أول انطلاق الثورة السورية من غوطة دمشق، وكان الممهد لها المظاهرات التي بعثتها زيارة «كراين» الامريكي للوقوف على رغبات السوريين، ورفضهم الانتداب الفرنسي..

أما السبب المباشر فهو جولة الشيخ بدر الدين الحسني في مدن سورية، أي أنها متصلة بـ«نهضة المشايخ» التي لم تلق من المؤرخين ولا من الباحثين العناية التي تستحقها.

والشيخ بدر الدين كان شيخ العلماء، وكان يدعى المحدث الأكبر. قام بجولة وبصحبته الشيخ علي الدّقر، والشيخ هاشم الخطيب في المدن السورية، يعظون الناس ويحثون على الجهاد، يبينون أحكامه وحالات وجوبه. .

وكانت هذه الجولة هي الشرارة التي أشعلت الثورة. . وهذا ما جاء في التقرير الرسمي لمندوب المفوض السامي الفرنسي، والذي نشرته جريدة (الأحرار) في بيروت العدد (٦٧٨) الصادر في الثاني من شعبان ١٣٥٤ هجرية[٢٠]. .

وقد أشار الشيخ علي الطنطاوي في الجزء الأول من كتابه «ذكريات» إلى مذكرات الشيخ محمد إسماعيل الخطيب الذي عاصر الأحداث وشارك فيها، فقال[٢١]:

فعندما حضر «كراين» الأمريكي للوقوف على رغبات السوريين، وكان الحزب الوحيد ـ في سورية ـ هو حزب الشعب فاجتمع برجاله وبغيرهم من الزعماء، اجتمع بالدكتور عبد الرحمن شهبندر، والأستاذ حسن الحكيم، وزكي الخطيب، وسعيد حيدر، وهؤلاء الأربعة من أنظف الوطنيين يداً، وأقومهم سبيلاً. وحدثت أحداث كانت عاقبتها أن نفى الفرنسيون هؤلاء جميعاً وكثيراً من غيرهم إلى جزيرة أرواد، مقابل الساحل السوري فحبسوهم فيها. وكان ذلك في السنة الأولى لدخول الفرنسيين، والمظاهرات التي قامت نتيجة ذلك هي أول مظاهرات في عهد الانتداب. . وكانت الأحداث كلها والتظاهرات تبدأ من الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة. . ففي صلاة الجمعة التي بعد النفي، خطب الدكتور خالد الخطيب مطالباً بالاستقلال، وإطلاق المعتقلين، وخطب غيره، وخرج المصلون متظاهرين، فقابلهم رجال الشرطة، ثم جاء الدّرك والجنود، ونصبوا مضخات الحرائق على كتف بردى، وواجهوا الناس بالماء من خراطيمها، فأقدموا فقطعوا خراطيم الماء، وألقوا بالمضخات ومن معها في النهر، عندئذ أطلق الجند الرصاص، فأردوا خمسة من الشباب، وكان هؤلاء أول فوج من الشهداء بعد ميسلون.

وصار تشكيل جماعات جماعات لأجل أن تقوم البلاد بمساعدة بعضها البعض على الفرنسيين. . وعاد الشيخ بدر الدين وصاحباه من رحلة الشمال. . وكانت مناسبة يوم المولد ـ وكان الناس يحتفلون بهذه المناسبة ـ فانقلب الاحتفال إلى مهرجان وطني شعبي، ومباراة بين أحياء دمشق في نصب أقواس النصر، ورفع الأعلام عليها، واللوحات الداعية إلى النضال، والتي تمجّد الاستقلال وتنكر الاحتلال، وكانوا يهزجون الأهازيج الوطنية، ويلقون الخطب التي تحض على الجهاد. .

وانطلقت الثورة. . وكانت عصابات الثورة قد تألفت في المنطقة الغربية بعد قيام فرنسا عام ١٩١٩ م بتقسيم المنطقة إلى حكومة لبنان الكبير، وحكومة اللاذقية (وسمّتها بلاد العلويين)، وحكومة لواء الاسكندرونة، فقام المجاهدون بهجمات متعددة على حدود المنطقة الغربية حيث تتمركز مفرزات من الجيش الفرنسي في أماكن مختلفة. .

وكانت عصابات الثورة تعمل في مناطق مختلفة، وكان أشهر هذه العصابات:

ـ **عصابة ابراهيم هنانو:** لا شك أن ابراهيم هنانو كان الشخصية الرئيسية في الثورة، وصاحب أوسع نفوذ بين صفوف الثوار، فقد قام بتشكيل عصابات مجاهدة في منطقة حلب وجبل الزاوية، واتصل بالعصابات الأخرى، وكان معه ٣٠,٠٠٠ ألف مقاتل، ودامت ثورته عشرون شهراً، خاض خلالها سبعاً وعشرين معركة لم يُصب فيها بهزيمة[٢٢]، وبقي يقاتل القوات الفرنسية في ضواحي حماه والمعرة، وجبل شحشبو ونواحي جسر الشغور، قتالاً عنيفاً حتى أوائل ١٩٢١ م. .

وكان من أهم السّرايا التي قاتلت مع هنانو[٢٣]:

سرية مجاهدي منطقة حلب بقيادته الخاصة.
سرية مجاهدي منطقة القصير بقيادة الشيخ يوسف السعدون.
سرية مجاهدي جبل صهيون بقيادة المجاهد عمر البيطار.
سرية مجاهدي كفر تخاريج بقيادة المجاهد نجيب عويد.

سرية مجاهدي الزاوية بقيادة المجاهد مصطفى الحاج حسين.

ـ **عصابة صبحي بركات**: قام صبحي بركات بتكوين عصابة ثورية في أيار سنة ١٩١٩ م، في بلدة أنطاكية. فأرسلت له القوات الفرنسية أحد المتعاونين معها، وبعد محادثات معه تخلى عن الثورة وألقى سلاحه مع أفراد عصابته في شهر تموز ١٩٢٠ م، فكان هذا أول الطعنات في ظهر الثورة، وكان هذا بتدبير من كمال أتاتورك الذي عقد معاهدة سيفر مع الفرنسيين، وبقي صبحي بركات موالياً للفرنسيين(٢٤).

ـ **عصابة الشيخ صالح العلي**: كانت قيادته في قرية «الرستن»، وشملت ثورته المنطقة الساحلية الشمالية، وتمركز في «الشيخ بدر». واتصل بابراهيم هنانو عام ١٩١٩ وانضم تحت لوائه، وأشار بلاغ رسمي فرنسي صدر في بيروت يوم ١٩٢١/٩/٢ م، إلى تحالف هنانو وصالح العلي في مقاومة القوات الفرنسية(٢٥).

ـ **عصابة عمر البيطار وعز الدين القسام**: كان مقرها جبل صهيون، وقد تعاونت هذه العصابة مع ابراهيم هنانو في معارك كثيرة ضد الفرنسيين.

ـ **وفي دمشق والغوطة** هب كثير من العلماء في وجه الفرنسيين، وكان من أشهرهم الشيخ محمد الأشمر والمجاهد حسن الخراط.

ـ **وفي حماة** قام المجاهدون في منطقة الهرمل بتشكيل جيش خاص أطلقوا عليه اسم «جيش أمير المؤمنين» وسلموا القيادة العامة لهذا الجيش إلى المجاهد سعيد العاص(٢٦).

ـ **وفي جبل العرب** ثار سلطان باشا الأطرش في مجموعة من منطقته وشاركوا في قتال الفرنسيين.

أمّا في فلسطين فقد تألفت في القدس لجنة وطنية برئاسة الحاج أمين الحسيني لنجدة الثورة السورية.. وكانت المساعدات العلنية هي المال والدواء، والسّرية هي السلاح الذي ألّفت لجمعه لجان سرّية في أنحاء متعددة من البلاد..

وقد تحدّث سلطان باشا الأطرش عندما سُئل عن الأشخاص الذين قدّموا

المساعدات للثورة السورية ورفضوا الإعلان عن أسمائهم، فقال: «ضع في رأس القائمة سماحة الحاج أمين الحسيني، فوالله كُنّا نحن في كفّه، وأعماله ومساعداته لنا في كفة أخرى».. وروى حسن الحكيم في مذكراته، وكان من رجال الثورة السورية ومن رجال السياسة في سورية، أنّ المساعدات التي قدّمت من قبل المفتي واللجنة التي ألّفها وصلت إلى مبلغ خمسين ألف ليرة ذهبية، ما عدا قيمة السلاح(٢٧).

دور القسّام في الثورة السورية ضد الفرنسيين:

كانت الثورة السورية ضد الفرنسيين بمثابة التجربة الأولى في العمل العسكري للشيخ القسام.. فمن مشاهدة الاستعمار البريطاني في مصر، إلى محاولة إرسال مجاهدين لمحاربة الاستعمار الإيطالي في طرابلس الغرب، إلى تجربة الصدام العسكري المباشر مع الفرنسيين..

لقد رفع القسام راية المقاومة ضد المستعمرين الفرنسيين في الساحل الشمالي لسورية وكان في طليعة المجاهدين الذين حملوا السلاح في الثورة [١٩١٩ - ١٩٢٠] مع المرحوم عمر البيطار.. فقد ترك قريته على الساحل، وباع بيته وهو كل ما يملك، واشترى أربعاً وعشرين بندقية، وانتقل بأسرته إلى قرية «الحفة» الجبلية ذات الموقع الحصين..

وفي قرية الحفة أخذ يعطي الدروس التي تحرض على الجهاد، تمهيداً لإعلان الثورة، فقد كان القسام يستمد أصول دعوته وتحركه الجهادي من الإسلام، وكان يعتبر الحرب مع الفرنسيين حرباً دينية، دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. ولما نادى منادي الجهاد في أرجاء اللاذقية، كان القسام أوّل من لبّى وأجاب، فانضم إلى عصابة المجاهد عمر البيطار في قرية شير القاق من جبال صهيون، وانتظم في عداد رجالها وتقلّد السلاح جندياً يدافع عن الإسلام.

فاندلاع الثورة في جبال صهيون كان من نتاج دعاياته(٢٨)، كما كان في طليعة المجاهدين مع مجموعة من تلاميذه الذين تلقوا العلم في حلقات دروسه ومجالس وعظه، وكان من أبرزهم اثنان لم يتخلّيا عنه طيلة حياته وهما الشيخ محمد

الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد[٢٩]، بالإضافة إلى مجاهـدين آخرين منهم الشيخ أحمد إدريس، والحاج خالد، وظافر القسـام، وعبد الملك القسـام والشيخ فخـر الدين القسام[٣٠].

وقـد وصف المؤرخ أمين سعيـد أصحاب القسـام ومـريـديـه في مقـال كتبـه بجريدة الجامعة الإسلامية، قال فيه[٣١]:

«ولا بد لنا من القول أن الشيخ لم يذهب وحيداً إلى ميدان الجهاد وإنما ذهب على رأس طائفـة من مريـديه وأتبـاعه الـذين اصطفـاهم وعلّمهم وهذّبهم ونقّى نفوسهم من الأدران والشوائب، فتذوّقوا لذة الإيمان الحقيقي».

كما أشار أمين سعيد إلى وجود اتصال وثيق بين الشيخ القسام وإبراهيم هنانو خلال الثورة، فهما من أبناء منطقة واحدة، وارتبطا برباط واحد حينما كان هنانو يشرف على حركة العصابات التي كانت تعمل في المنطقة الشمالية الغربية. وكان ابراهيم هنانو بعد نجـاحه في السيـطرة على منـطقة جسر الشغـور، قد قـرّر مع قواده، التوجّه نحو قلعـة صهيون لتـطهيرهـا من كتائب الفـرنسيين التي وصلت إليها عن طريق «الحفة». فأرسل المجاهـد «محمود الاستنكـاوي» برسـالة لعمـر البيطار رفيق القسام في الجهاد يـدعوه فيها باسم الوطن والدين إلى حمل السـلاح ومشاركتهم الجهاد في سبيل الله، وأعلموه بخطتهم التي ترمي إلى تطهير منـطقته من الفرنسيين، فأعد البيـطار نفسه لاستقبـال المجاهـدين ومهاجمـة القلعة، ولمـا وصل المجاهدون إلى قريـة البيطار، انضمت إليهم عصـابته وتـوجهوا إلى قلعـة صهيون وهاجموها وأهلكوا أكثر الحامية الفـرنسية فيهـا، وبعد أن حـرّروها عـاد هنانو إلى ضواحي جسر الشغوز وحارم وإدلب، وبقيت عصابة القسام والبيـطار مرابطة في المنطقة[٣٢].

وبقي الشيخ القسام مجاهداً ضد الفرنسيين في سورية مع من تبقى من أتباعه مدة لا تقل عن سنـة، استفاد فيهـا من التجارب التي خـاضتها الثـورة، وتمرّس على حرب العصابات، وعرف كيف يمكن لفلاحين مجاهدين أن يواجهوا جيوشاً مدرّبة أحدث تدريب، يتحدونها بإرادتهم الصلبة وعقيدتهم التي لا تلين..

وحاول الفرنسيون إقناع الشيخ عز الدين القسام بترك الثورة والرجوع إلى بيته، وإغرائه بالمناصب، فأرسلوا إليه زوج خالته «عبد الرحمن محسن علي أديب»، فوعده باسم السلطة أن توليه القضاء وأن تجزل له العطاء في حالة موافقته على الرجوع إلى بيته والتخلي عن جهاده. فرفض الشيخ عرضهم وعاد رسول الفرنسيين من حيث أتى[٣٣]. ونتيجة لإصرار القسام على خط الجهاد، حكم عليه الديوان العرفي الفرنسي في اللاذقية وعلى مجموعة من أتباعه بالإعدام. . فلم يزده ذلك إلا مضاء وإقداماً. وطارده الفرنسيون، فقصد دمشق[٣٤]، وكانت الحكومة الفيصلية فيها. . تقول خيرية القسام ابنة فخر الدين شقيق عز الدين ورفيقه في الثورة أن الطائرات الفرنسية قصفت القرية التي كانوا فيها بالطائرات، مما اضطر الأسرة بأكملها للرحيل بفزع شديد، بعد أن أحرقت القذائف مكان سكناهم وأثاثهم[٣٥].

وبقي الشيخ القسام في دمشق إلى أن سقطت الحكومة الفيصلية بعد انتصار الفرنسيين في معركة ميسلون [٢٤/٧/١٩٢٠][٣٦]. فقام بعدها بإجراء اتصالات مع صديقه الشيخ كامل القصاب، واتجه إلى سورية الجنوبية ونزل في ضاحية الياجور قرب مدينة حيفا.

أما عمر البيطار فبقي في سورية مجاهداً بعد رحيل القسام رفيق ثورته، وفي آذار سنة ١٩٢١ م، شنت القوات الفرنسية هجوماً واسع النطاق على المجاهدين، وخاصة على مركز قيادة إبراهيم هنانو، وفرّ هنانو إلى الصحراء، وبقي عمر البيطار وأتباعه يقاتلون الفرنسيين مع من تبقى من قوات هنانو، ثم التجأ إلى تركيا مع مجموعة من المقاتلين بعد نفاذ ذخيرتهم.

تجربة الثورة السورية. . «دروس ونتائج»:

لقد استفاد الشيخ عز الدين القسام من مشاركته في الثورة السورية دروساً كان أثرها واضحاً في نشاطه وجهاده في فلسطين.

فقد آمن القسّام ـ مستفيداً من دروس الجهاد التي عاشها ـ أن الثورة المسلحة هي السبيل الوحيد للوقوف في وجه المستعمرين والحدّ من أطماعهم. .

وعرف أن الثورة تحتاج إلى تخطيط سياسي وعسكري، وإلى تعبئة الجماهير نفسيّاً لتأييد الثورة والاشتراك فيها، وإلى تنظيم سرّي ثوري يُربّىٰ فيه المقاتلون روحياً وعسكرياً وسياسياً..

ورأى القسام أن السياسة المتبعة مع الحلفاء، من محاولة التفاهم معهم وتقديم التنازلات لإرضائهم، لا تعني سوى خيانة الثورة ومساعدة المستعمرين..

وتبيّن للقسام أن المجاهد لا يمكن أن يثق بوعود المستعمرين، لأن الهدف منها هو إبعاد المجاهدين عن الثورة، ولهذا رفض القسام وساطة زوج خالته وبقي مشهراً للسلاح ضد المغتصبين..

وتبيّن للقسام أيضاً أن ضرورة أخذ الحذر والاحتياط واجب حتى من أبناء الثورة نفسها، فخيانة صبحي بركات أثبتت لبقية الثوار أن نجاح المستعمرين في شراء ذمّة ثائر أو قائد ممكنة الحصول.. لذلك نرى القسام يحتاط كثيراً في اختيار عناصر تنظيمه الجديد في فلسطين، ويطلب من إخوانه المجاهدين في معركة يعبد القسم على قتل الخائن الذي ينضم للانجليز ضد رفاقه..

كما تبيّن للقسام ضرورة الإعداد الروحي والنفسي للثورة، والتحضير لها فترة كافية من الزمن، وهذا ما اتّبعه الشيخ في فلسطين[٣٧].

(*) جبلة بلدة تقع على الساحل السوري جنوب اللاذقية وعلى مسيرة ثلاثين كيلومتراً منها، وهي بلدة قديمة فتحها العرب على يد عبادة بن الصامت. ويوجد فيها قبر العالم الزاهد إبراهيم بن أدهم.

(١) سميح حمودة، الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام، ص ٢١ . . نقلاً عن جريدة الجامعة الإسلامية ـ يافا، ٢٥ و ١٩٣٥/١١/٢٦ م، العدد ٩٧٧، صفحات لامعة من تاريخ الشهيد الشيخ عز الدين القسام ـ بقلم أمين سعيد.

(٢) علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام، جـ ١، ص ١١.

(٣) سميح حمودة، الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام، ص ٢٢.

(٤) عبد العزيز السيد أحمد، عز الدين القسام رائد النضال القومي في فلسطين، ص ٨.

(٥) عبد العزيز السيد أحمد، عز الدين القسام رائد النضال القومي في فلسطين، ص ١٠.

(٦) محمد المجذوب، الشيخ عز الدين القسام المجاهد والشهيد الفلسطيني الخالد. . جريدة الجامعة العربية ـ القدس، ٢٠ كانون الأول ١٩٣٥ م.

(٧) سميح حمودة، الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام، ص ٢٢.

(٨) يهوشع بورات، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٩)، ص ١٣٣.

(٩) علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام، جـ ١، ص ١٤ . . عن مقابلة شخصية مع محمد عز الدين القسام في ١٩٨١/١٢/٤ م في دمشق.

(١٠) د. عز الدين اسماعيل وآخرون، كتاب «عز الدين القسام»، ص ٢٧.

(١١) زهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين، ص ٨٢.

(١٢) أمين سعيد، مقالة بجريدة الجامعة الإسلامية.

(١٣) الموسوعة الفلسطينية ـ المجلد الثالث، ص ٢٢٩.

(١٤) سميح حمودة، السوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام، ص ٢٤ . . عن لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٣٦٦.

(١٥) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٣٦٨.

(١٦) زهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين، ص ٨٢.

(١٧) سميح حمودة، الوعي والثورة في حياة وجهاد القسام، ص ٢٦ . . عن يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ٥٢.

(١٨) يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ٩٥.

(١٩) غالب العياشي، تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب، ص ١٣٦.
(٢٠) ذكريات علي الطنطاوي، جـ ١، ص ٢١٧.
(٢١) ذكريات علي الطنطاوي، جـ١، ص ٢١٨.
(٢٢) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ١، ص ٤١.
(٢٣) شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرر العربية، ص ١٥٩.
(٢٤) يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ١٦٧.
(٢٥) أمين سعيد، ثورات العرب، ص ٣٧.
(٢٦) شوقي أبو خليل، الاسلام وحركات التحرر، ص ١٥٨.
(٢٧) حسني جرار، أعلام الجهاد في فلسطين «الحاج أمين الحسيني»، ص ٨٠.
(٢٨) أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، ص ١١٧.
(٢٩) د. عز الدين اسماعيل، كتاب «عز الدين القسام»، ص ٣٦.
(٣٠) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٢٨ . . مقابلة شخصية أجراها مع خيرية فخر الدين القسام في قرية بلعا ـ طولكرم بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٨٤ م.
(٣١) جريدة الجامعة الاسلامية ـ يافا، ٢٥، ٢٦/١١/١٩٣٥، صفحات لامعة من تاريخ الشهيد الشيخ عز الدين القسام ـ بقلم أمين سعيد.
(٣٢) غالب العياشي، تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب، ص ١٩٣.
(٣٣) أمين سعيد، صفحات لامعة من حياة الشهيد القسام.
(٣٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٦، ص٢٦٧.
(٣٥) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٣٢.
(٣٦) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٦، ص ٢٦٧.
(٣٧) صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٣٣.



الشيخ بدر الدين الحسني
الموجه الأول للثورة السورية الكبرى. والأب الروحي لها.

حسن الخراط
«بطل من الأبطال، لا يهاب الموت».

القائد الشهيد سعيد العاص



الشيخ محمد الاشمر
من أبطال معارك الغوطة.



الشيخ علي الدقر



محمد كامل بن أحمد القصاب

الفصل الثاني

نشاط القسام في فلسطين

- وصول القسام إلى سورية الجنوبية «فلسطين».
- فلسطين.. والانتداب البريطاني.
- نشاط القسام في حيفا:
  - ● العمل في مدرسة البرج الإسلامية.
  - ● العمل في جامع الاستقلال.
  - ● نشاط القسام في جمعية الشبان المسلمين.
  - ● العمل في وظيفة مأذون شرعي.
  - ● النشاط الشعبي للقسام.
- القسّام.. وعلاقاته العامة بالقادة والحركات المعاصرة:
  - ● علاقة القسام بمفتي فلسطين.
  - ● علاقة القسام بحزب الاستقلال.
  - ● علاقة القسام بالحزب العربي.
  - ● القسام.. والحركة الإسلامية المعاصرة.
- هوامش الفصل الثاني.



الفصل الثاني
نشاط القسّام في فلسطين

وصول القسّام إلى سورية الجنوبية «فلسطين»:

في أواخر عام ١٩٢٠ م توجّه الشيخ عز الدين القسام نحو سورية الجنوبية «فلسطين»، وذلك بعد سقوط الحكومة الفيصلية في دمشق[١]. وكانت نقطة البداية للشيخ القسام وأتباعه السّتة الذين رافقوه وهم «الحاج علي عبيد، والشيخ محمد الحنفي، وأحمد إدريس، والحاج خالد، وظافر القسام، وعبد المالك القسام» بلدة جسر الشغور، ومنها اتجهوا إلى بيروت مشياً على الأقدام، معتمدين على التنكر. . وفي بيروت أقاموا في الجامع العمري بمساعدة الحاج خليل سكر. ومن الجامع العمري إلى دمشق، حيث رتّب الشيخ القسام زيارة سريّة خاطفة لزميل دراسته في الأزهر عز الدين التنوخي الذي زوّده بجواز سفر مرور[٢]. ونظم الحاج خليل سكر أمر نقلهم من بيروت إلى صيدا بسريّة تامة عبر حنطور، ومن صيدا إلى عكا بواسطة قارب صغير، ولكن الشيخ أحمد إدريس عاد إلى سورية. وانتقل الباقون من عكا إلى حيفا، وصادف وصولهم عصر يوم جمعة، وأدّوا صلاة المغرب في جامع الجرينة، حيث قدّم الشيخ عز الدين درساً بعد الصلاة، لفت أنظار الحضور إليه. وقضوا ليلتهم في شقة من غرفتين قدّمها لهم قيّم المسجد، ونام الجميع على الحصيرة والتحف الشيخ جبته.

وعاش الشيخ القسام في حيفا، هو ورفاقه، واستقر في بيت الحاج عبد الواحد الحسن حتى مجيء زوجته وأولاده، الذين نقلهم سائق من بيروت، أدخل أسماءهم في جواز سفره. فقد قام بعض أصدقاء القسام السوريين بمهمة إحضار عائلته وعائلات رفاقه إلى حيفا. ونزلت عائلاتهم في بيت واحد لأنهم لم

يكـونوا يملكـون أجر بيت لكـل عائلة. ثم سكنت أسرهم في الحي القـديم من المـدينة، وهـو الحي الذي يجمـع فقراء الفـلاحـين النـازحـين عن قـراهم بعـد الاستيلاء عليها وتوطين اليهود المهاجرين إلى فلسطين.

وأبدى القسام اهتماماً حقيقياً بتحسين أحوال معيشة هؤلاء الفـلاحين، وبـدأ يكـافح الأميـة في صفوفهم من خـلال إعطاء دروس ليليـة، وسرعان مـا أصبح فـلاحـو وعمال المنطقة الشمالية يكنّون له المودة والاحترام بفضل زياراته المتكـررة لهم وبما يتسم به من أصالة في الخلق والتقوى.

وقد احتفى أهل حيفـا بالقسـام ورفاقـه[٣]، لما عـرفوا في الشيـخ من صلابـة وشجـاعة في الجهـاد، وتواضـع وصدق في القـول والسلوك.. وحاولـوا تـأمـين مخصصات شهرية لهم، لكن الشيخ ورفاقه رفضوا ذلك وأصروا عـلى أن يعيشوا من عملهم.. وعمـل الشيـخ في التـدريس ثم في إمـامـة وخـطابـة جـامـع الاستقلال، بينما اشتغل رفاقه في الميناء وفي الزراعة.

وبعـد شهرين من إقـامتهم، أصر الحـاج خـالـد ـ من جبـال صهيـون ـ عـلى العـودة إلى بلدته، ومن هنـاك يمكنه التـبرع بعائـدات عمله إلى حـركـة الشيـخ القسام، حيث أن الشيخ قـدم إلى فلسطين وفي نيتـه القيام بعمـل جهادي ضـد المستعمرين. وعاد الحاج خالد فعلا، وألقت القوات الفرنسية القبض عليه وهو في أطراف قرية «جبلة»، وأعدم بطريقة بشعة إذ جمع الفرنسيون سكان القرى، وسكبوا الكاز على الحاج خالد وأحرقوه حياً أمامهم[٤].

فلسطين.. والإنتداب البريطاني:

لقد خططت الحكومة البريطانية لاحتلال فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، وكـان انـدلاع تلك الحـرب عـام ١٩١٤ م، فـرصـة مـواتيـة لتنفيـذ المخـطط البريطاني. وقد عقدت الحكومة البريطانية من أجل تنفيـذ ذلك المخـطط سلسلة من المحادثات والإتفـاقيات انتهت بـإعلان تصريـح بلفور في الثـاني من نوفمـبر ١٩١٧ م. وكـان الهدف الأول من إصـداره هـو خـدمـة الأهـداف والمصـالـح البريطانية الخاصة.

ونص وعد بلفور على رغبة بريطانيا في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنها ستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية.

وجاء في مذكرة أرنولد توينبي الذي كان يعمل في دائرة الاستخبارات لوزارة الخارجية البريطانية بتاريخ تشرين الأول ١٩١٨ م، والتي يعالج فيها مستقبل فلسطين ما يلي:

«إن حكومة جلالته ترغب بصورة خاصة تأمين التسهيلات المعقولة في فلسطين للاستعمار اليهودي دونما إفساح المجال للرأي العام العربي أو الإسلامي في انتهاز فرصة اعتبار أن بريطانيا العظمى قد لعبت دور الأداة في تسليم أرض عربية أو إسلامية حرّة إلى غرباء»[٥].

وبعد أن دخلت القوات البريطانية فلسطين محتلة في كانون الأول ١٩١٧، ابتدأت السياسة العملية بتنفيذ الوعد، فجاء انتداب بريطانيا على فلسطين بقرار من عصبة الأمم، وأرسل اليهودي الصهيوني هربرت صمويل ليشغل منصب أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين، وجاء صك الانتداب واضحاً وصريحاً يحدّد نيّة بريطانيا بدقة بقوله: «بأن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال اقتصادية وسياسية وإدارية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي».

الانتداب البريطاني على فلسطين احتلال غير مشروع:

لو أجرينا مناقشة بسيطة لميثاق عصبة الأمم، وبنود صك الانتداب، لتبيّن لنا بشكل واضح وصريح أن الانتداب البريطاني على فلسطين كان باطلاً وغير مشروع، وأن ما حدث كان مؤامرة مكشوفة[٦]:

أولاً: إن نصوص المادة ٢٢ من صك عصبة الأمم لا تشمل بأي حال الانتداب على فلسطين وشقيقاتها من الدول العربية، وان أول خطأ تاريخي ارتكبته عصبة الأمم هو أنها اعتبرت فلسطين ممن يشملها الانتداب.. وهذا باطل للأسباب التالية:

١ ـ إن البلاد العربية كانت حليفة للحلفاء أثناء الحرب، وأعلنت الحرب على تركيا شأنها شأن أي دولة مستقلة أخرى.

٢ ـ إن عصبة الأمم فرضت الانتداب صراحة على الدول المتأخرة في المدنية والإدارة، والبلاد العربية لم تكن منها وقد مارس رجالاتها الحكم ووصلوا أعلى المناصب في الحكم العثماني.

٣ ـ إن البند الخامس والثاني عشر من تصريح الرئيس الأمريكي ولسون المؤرخ في ٨ شباط ١٩١٨ م الذي كان أساساً لشروط السلام جاء فيه بالحرف الواحد: «ان الأجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية يجب أن تضمن لها السيادة التامة، أمّا الشعوب الأخرى الخاضعة للحكم التركي فينبغي أن يضمن لها العيش بأمان واطمئنان وأن تتاح لها فرصة الرقي والتقدم في مدارج الحكم الذاتي دون ما تدخل أو إزعاج». وقد وافق مجلس الحلفاء على هذه التصريحات دون أي تعديل أو مناقشة.

ثانياً: عصبة الأمم لم تكن صاحبة السلطة في منح بريطانيا «امتياز» احتلال فلسطين.. ولهذا فإن صك الانتداب باطل، ويعتبر غير قانوني للأسباب التالية:

١ ـ إن الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من صك عصبة الأمم الذي فرض الانتداب يعطي الحق لسكان البلاد باختيار الدولة المنتدبة، وان عرب فلسطين لم يكن لهم رأي في اختيار بريطانيا.

٢ ـ إن صك الانتداب اشترك في وضعه جماعة من الصهيونيين ولم يؤخذ رأي العرب فيه بل لم يسمع رأي العرب عندما صدرت احتجاجاً على الكثير من بنوده المجحفة لحقوقهم.

٣ ـ إن مجلس الحلفاء هو الذي اختار بريطانيا منتدبة على فلسطين رغم أن ذلك لم يكن من صلاحياته بل هو شأن من شؤون «جامعة الأمم».. يقول هنري رولان في كتابه «الانتدابات الدولية»: إن ذلك لم يكن انتداباً كما نص عليه عهد الجامعة وإنما هو بيع تجاري!! وقال كاتم أسرار عصبة الأمم في

مذكرته إلى مجلس الجامعة المؤرخة في ٣٠ تموز ١٩٢٠ م في معرض استنكاره لهذا الانتداب: «إن توزيع الانتدابات من قبل الدول الكبرى ليس قانونياً ولا يمكن الاعتراف به».

٤ ـ لم يوافق مجلس اللوردات على التصديق على صك الانتداب، واتخذ قراراً بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٢٢ م هذا نصه: «لمّا كان صك الانتداب على فلسطين يناقض الوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب سنة ١٩١٥ م، ولا يتفق مع رغبات أهالي فلسطين العرب، فإن مجلس اللوردات البريطاني يقرر عدم التصديق عليه ورفضه».

من كل ذلك يتبين لنا بصورة لا تقبل المناقشة أن قرار عصبة الأمم لا يشمل الانتداب على فلسطين، ويتبين أيضاً أن صك الانتداب البريطاني على فلسطين يعتبر باطلاً وغير قانوني ولا دستوري.

ثالثاً: صك الانتداب كان مؤامرة مكشوفة. . فقد جاء فيه سبع مواد لانتزاع فلسطين من العرب وتسليمها لليهود. .

ورد في البند الثاني من صك الانتداب نص صريح يقول: «جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي». .

فالمادة الثانية: تسلب عرب فلسطين أراضيهم كلياً وجزئياً لتأسيس الوطن القومي اليهودي.

والمادة الرابعة: إيجاد وكالة يهودية لتسيير شؤون البلاد المالية والإدارية.

والمادة السادسة: تسهّل الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

والمادة الحادية عشرة: تعطي اليهود امتيازات خاصة وتمنعها عن العرب.

والمادة الثانية والعشرون: تعترف باللغة العبرية لغة رسمية في البلاد.

والمادة الثالثة والعشرون: تعترف بالأعياد والعطل اليهودية بأنها رسمية.

دور بريطانيا العملي في تنفيذ المؤامرة:

لو استعرضنا ـ باختصار شديد ـ بعض ما قامت به بريطانيا في فلسطين من

أجل تسليمها لليهود لتبيّن لنا أنها عملت من أجل ذلك الكثير. .

- فبريطانيا فتحت أبواب البلاد للهجرة اليهودية منذ الاحتلال العسكري، وأقامت مباراة بين المندوبين السامين لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وكان هناك نوعان من الهجرة، هجرة شرعية تتم تحت رعاية بريطانيا وإشرافها، وهجرة غير شرعية كانت تتم بصور متعدّدة منها التسلل عن طريق البحر، أو الدخول ببطاقات السياحة ثم التحول إلى مواطنين. وحسب تقديرات الحكومة فإن عدد اليهود الذين دخلوا من غير طريقها بلغ حتى عام ١٩٣٥ م [٤٦١٨](٧).

- وبريطانيا لم توافق على تشكيل أي مجلس تشريعي بنسبة عدد السكان لأن اليهود لم يكن لهم الأغلبية فيه.

- وبريطانيا منحت اليهود امتيازات استغلال العديد من المصادر الطبيعية في البلاد. وقدّمت لهم تسهيلات خاصة ومتعددة للكثير من الصناعات اليهودية، بحيث استطاعت أن تنافس أو تقضي على كثير من الصناعات العربية.

- وحكومة الانتداب رفعت قيمة الضرائب على الأراضي العربية حتى يضطر أصحابها لبيعها، وأحكمت خطة للاستيلاء على الأراضي، وأصدرت من القوانين ما يمكن اليهود من شراء أو الاستيلاء على كثير من الأراضي العربية. واتسعت مساحة الأراضي اليهودية تدريجياً بالهبات التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية مما كانت تطلق عليه الأراضي الأميرية، أو مما كانت تستولي عليه بحجة مشاريع التحسين والعمران، أو بحجة إقامة المعسكرات أو ما شابه ذلك(٨).

وكان مطمع الصهيونية الأسمى الاستيلاء على الأرض والاستيطان فيها، وبالذات الأراضي الخصبة في المناطق السهلية والساحلية. . ولإشباع الرغبة اليهودية بطريقة إدارية ناجحة تم تعيين اليهودي الكابتن «نورمان بنتويتش» نائباً عامّاً، أي رئيساً للإدارة التي تسن القوانين، فوضع هذا الصهيوني عدة قوانين تسهل استيلاء اليهود على الأراضي، وجعل المزارع العربي في حالة تضطره إلى

بيع بعض أو كل ما يملك من أرض[٩]. واتبعت بريطانيا عدة أساليب لتحويل ملكية الأراضي من العرب إلى اليهود، منها قيامها بعمليات تسوية الأراضي، وهي مشروع يرمي في ظاهره إلى حل مشاكل ملكيات الأراضي وخاصة التي كانت ما تزال باسم أملاك الدولة في العهد العثماني، فكانت محاكم الأراضي تعتبر كل كوشان يهودي صحيحاً، فتسجل باسم صاحبه كل شبر من الأرض يدعيه لنفسه، وأما عندما يكون الكوشان عربياً فالحكم ينقلب في النهاية إلى النقيض، إذ كانت المهمة الرئيسية لمأموري التسوية الذين منحت لهم صلاحيات قضائية واسعة أن يضعوا كواشين العرب محل اعتراض وادعاء[١٠].

وكانت تواجه الفلاح الفلسطيني مشاكل كثيرة أهمها مشكلة «الدَّيْن»، ففي التقرير الذي وضعه مستر كلاند من الإدارة الانتدابية عن الوضع الاقتصادي في فلسطين، نجد العبارة التالية:

«إنّ مصيبة الفلاح الفلسطيني في ديونه»[١١]. وحسب التقديرات البريطانية الرسمية فإن العائلة الريفية مدينة بمعدل (١٣٠) جنيه، ويدفع الفلاح فائدة على دينه تبلغ ٣٠٪، وحسب سجلات محكمة حيفا: كانت على ٦٤,٢٪ من مجموع العائلات العربية الساكنة في المدينة قضايا دين في المحكمة. وقالت سجلات المحكمة المركزية أنه خلال شهرين فقط من عام ١٩٣٠ م، أصدرت المحاكم في فلسطين عدا لوائي حيفا ويافا «٢٦٧٧» أمراً بالسجن على مواطنين فلاحين لم يستطيعوا سداد ديونهم[١٢].

وجاء في تقرير اللجنة الملكية (١٩٣٧ م): «إن الفلاح الفلسطيني يولد مديناً، ويعيش بالدين، ويموت غارقاً بالدين»[١٣].

وأوضح الخبير البريطاني «هوب سمبسون» الذي قدم إلى فلسطين عام ١٩٣٠ م، ووضع تقريراً مفصلاً عن الوضع فيها، أوضح نتائج هذه الحالة بقوله: «يستدل من الإفادات التي تيسرت لي من مصادر مختلفة أن الفلاح العربي في حالة يأس وقنوط فليس لديه رأسمال لمزرعته، بل بالعكس يرزح تحت عبء ديون طائلة، والاجار المطلوب منه أخذ يتصاعد وهو مكلف بدفع

ضرائب فادحة بلغ معدل ما يدفعه من الفائدة على ديونه درجة غير قابلة للتصديق»[١٤].

وإلى جانب الديون تم فرض حصار اقتصادي على الفلاحين، فقد عمدت الأجهزة الصهيونية بالتعاون مع حكومة الانتداب على ضرب المحاصيل الزراعية التي ينتجها العرب، بإغراق الأسواق المحلية بكميات كبيرة من المزروعات المستوردة، وبأسعار أقل من أسعارها المحلية[١٥].

هذه المشاكل المفروضة على الفلاح الفلسطيني أدّت إلى تسهيل عمليات الاستيلاء على الأراضي وطرد الفلاحين منها.. بيد أن العامل الأهم في نجاح اليهود في تسجيل كميات من الأراضي باسمهم، هو قيام ملاكين عرب غير فلسطينيين ببيع أراضيهم لليهود وهم خارج فلسطين طمعاً في المبالغ الكبيرة المدفوعة لهم من قبل اليهود.. فقد قام آل سرسق ـ وهم نصارى من لبنان ـ ببيع أراضي مرج ابن عامر، وهي من أجود وأخصب الأراضي الزراعية، وكانوا قد تولوا أمر إدارتها وزراعتها زمن الحكومة التركية. كما قام اسكندر سرسق ببيع أراضي الحارثية ـ قضاء حيفا التي اشترتها الشركة اليهودية للأراضي في بيروت وتبلغ مساحتها (١٢) ألف دونم، وكانت تزرعها عشيرة الزبيدات المؤلفة من (٦٠) عائلة فلاحة..

كما تم بيع أراضي جبل كنعان في صفد وأراضي قرية شطا التي أُخرج أهلها منها بالقوة وسلمت لليهود.

نشاط القسّام في حيفا:

كان لاتخاذ الشيخ القسام من مدينة حيفا مقراً للسكن والحياة، أثر واضح على نشاطه وحركته، ساعده بشكل كبير على المضي بدعوته ونشاطه بطريقة ناجحة..

فحيفا المدينة الجميلة الواقعة على البحر المتوسط كانت تعتبر المرفأ الأول لفلسطين، ومرسى كبيراً للسفن. وكانت من ناحية المواصلات تتصل عن طريق البحر، بمدن سورية ولبنان، وعن طريق البر كان يصلها الخط الحديدي

الحجازي بمدن فلسطين ودمشق.. وكانت ملجأ لعدد كبير من الفلاحين الذين نزحوا إليها بعد الاستيلاء على مزارعهم في مرج ابن عامر، ليعملوا في شركات السجاير، وسكة الحديد، وفي الميناء والتجارة. وفي حيفا القديمة كان هناك (١١) ألف فقير عاشوا في بيوت من الصفيح بعد أن سلبت منهم قراهم، وكان هؤلاء الفقراء أصدقاء للشيخ القسام وموضع ثقته، ومن خلاله وتحت قيادته كان لهم دور رئيسي في الثورة والقضية.. وحيفا كانت ملتقى لأقوام وجنسيات متعددة قدموا إليها للعمل..

وكانت حيفا قاعدة من قواعد التهويد، وقاعدة هامة لسلطات الانتداب البريطاني الذي جعل منها قاعدة لأسطوله، ونصب فيها المدافع وشيّد القلاع على جبالها وضواحيها، وجعل فيها عنابر ضخمة مليئة بالقنابل والقذائف والديناميت ومختلف أنواع الأسلحة[١٦]. فكانت قوة الانتداب وجبروته مختزنة في حيفا ومعروضة على جبالها وفي بحرها.. مما أصبغ عليها حساسية خاصة.

في هذا الجو المشحون بالحركة والمملوء بالتناقضات كان للشيخ القسام نشاط كبير، متعدد الجوانب، نأخذ منه في هذا الفصل ما يتصل بنشاطه العام.

العمل في مدرسة البرج الإسلامية:

بعد فترة من وصول القسام وأتباعه إلى حيفا، قامت الجمعية الإسلامية المسؤولة عن إدارة الأوقاف في منطقة حيفا بتأسيس مدرسة إسلامية، ودعت الشيخ عز الدين للتدريس فيها. وكان القسام قد تعرّف على أعضاء الجمعية عن طريق قريبه الحاج أمين نور الله.

وأثناء تدريس الطلاب كان القسام يربط النشاط المدرسي للتلاميذ بسيرة أبطال المسلمين أمثال خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من القادة المجاهدين، وكان يشرف على تمثيل روايات عن صلاح الدين ومعركة حطين ومعركة عين جالوت، وكان يهدف إلى تقريب الطلاب من فكرة الجهاد وربطهم بالقادة والأبطال من عظماء المسلمين..

وكان القسام من خلال هذا النشاط ومن خلال دروسه اليومية أيضاً يحرص

على لفت أنظار الطلاب إلى الدور المستقبلي الذي ينتظرهم.

احتل القسام مكانة مرموقة بين أهالي مدينة حيفا، واتجهت الأنظار إليه لتقديمه أسلوباً جديداً في التدريس مزج فيه بين أساسيات المنهج الدراسي وبين التحديات الخطيرة التي تواجه المسلمين، فنال بذلك سمعة طيبة بين الناس.

استمرّ الشيخ القسام مدرساً في مدرسة البرج الاسلامية حتى عام ١٩٢٥ م، حيث استقال من وظيفته وعمل خطيباً ومدرساً لجامع الاستقلال بحيفا.

العمل في جامع الاستقلال:

كان جامع الاستقلال في مدينة حيفا، ثمرة مباركة من نشاط الجمعية الإسلامية فيها، فقد بدأ العمل لانشائه في شهر أيلول من عام ١٩٢٣ م، وتم إنجاز المرحلة الأولى منه في آذار ١٩٢٤ م، وكانت عبارة عن طابق أرضي مؤلف من مخازن أنشئت لتأمين نفقات المسجد مستقبلاً. وتم بناء الجامع في بداية عام ١٩٢٥ م، وكان ذلك بفضل التبرعات التي جمعتها الجمعية من أهالي حيفا، ومن التبرعات التي ساهم فيها المجلس الإسلامي الأعلى في القدس[١٧]. وهذا ما تبيّنه الوثيقتان رقم (٣ و ٤) المثبتتان في آخر الكتاب.

وتولى الشيخ القسام الخطابة في جامع الاستقلال في نفس السنة التي تمّ فيها البناء «١٩٢٥ م». فامتلك الشيخ أداة فعالة استخدمها استخداماً ناجحاً في مجال مخططه لإيجاد حركة جهادية. واستطاع بخطبه خلال سنوات قليلة أن يجعل جامع الاستقلال من أكثر مساجد المدينة شهرة يؤمّه المصلون من مختلف أنحاء القضاء[١٨].

واستفاد القسام من هذا الإقبال الشعبي في تنبيه أبناء الشعب الفلسطيني المسلم إلى الخطر الصهيوني، وإلى الدعوة إلى الجهاد ضد الاستعمار وحلفائه، وتهيئة النفوس للثورة، واختيار العناصر الطليعية لحركة الجهاد.

وساعد على نجاحه في هذه الأمور قدرته الفائقة على الخطابة والتطرق إلى الموضوعات الهامة أثناء الخطبة.. فكان إذا صعد المنبر وخطب المسلمين في أيام الجمعة، يغرس في قلوب سامعيه حب الوطن، والإيمان بالله والجهاد في سبيله،

فكانت خطبه كلها مزيجاً من الدعوة الصريحة إلى محاربة الظلم، والتفاني في التضحية، والتدليل على أن المسلم غير مكلف بالخضوع لسلطان غير مسلم أو أجنبي عن أمته، وكان يردد دائماً الآية الشريفة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾، ويسهب في شرح معنى ﴿أولي الأمر منكم﴾.

وكان أكثر ما يحذر المصلين في خطب الجمعة، من التساهل مع الهجرة اليهودية، ويدعو إلى استقبال المهاجرين اليهود القادمين بعربات الانتداب البريطاني وحمايته، «كأعداء لا كمهاجرين أو ضيوف»[19]..

وفي عام ١٩٢٩ م دبّر اليهود خطة للهجوم على جامع الاستقلال، فطلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية أن ترسل قوة للمحافظة على الجامع من الهجوم المحتمل. فثار القسام ضد هذا الطلب قائلاً في خطاب ألقاه بتلك المناسبة: «إن جوامعنا يحميها المؤمنون منا.. إن دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين»، ووصف الطلب بالجبن والمروق ودليل على الخضوع والذل، ولما دعته السلطات للتحقيق لم ينكر شيئاً مما قال، وعندما أوقف أعلنت المدينة الاضراب فاضطرت السلطات إلى أخراجه من السجن.

لقد اتجه القسام إلى توعية الشعب الفلسطيني بالأخطار الماثلة أمامه، وكان يكثر من القول: «بأن اليهود ينتظرون الفرصة لإفناء شعب فلسطين والسيطرة على البلد وتأسيس دولتهم»[20]. وكان هذا الرأي الثاقب والادراك الواعي من القسام عام ١٩٢٧ م أي في فترة كان فيها الناس وكثير من القادة والسّاسة معهم ينظرون للمشروع الصهيوني على أنه حلم، ولم تكن الحركة الصهيونية قد وصلت إلى مراحل متقدمة من القوة العسكرية والنفوذ الاقتصادي في فلسطين.

ولم يقتصر القسام في خطبه على التحذير من الصهيونية وأطماعها، وإنما كان يتطرق إلى أطماع المستعمرين الغربيين في أجزاء الوطن الإسلامي، كالانتداب الفرنسي في سورية ولبنان، والبريطاني في فلسطين وشرقي الأردن والعراق وغيرها من البلدان..

كما جعل القسام من تجارب الثورة السورية وقادتها المجاهدين نماذج للحديث

في خطبه فكان كثيراً ما يتحدث عن أبطال الثورة السورية ضد الفرنسيين، دون أن يذكر أنه قاتل معهم[٢٠].

وكان للشيخ القسام دروس في المسجد تقام عادة بين الصلوات المفروضة، وقد جعل منها وسيلة لإعداد المجاهدين وصقل نفوسهم وتهيئتها للقتال في سبيل الله، معتمداً اختيار الكيفية دون الكمية. . روى أبو ابراهيم الكبير المجاهد القسامي المعروف قصة هذه الدروس فقال:

«كان للشيخ القسام حلقات يعلّم فيها المسائل الدينية، ولكنه كان أكثر المشايخ تطرقاً لضرورة الجهاد لمنع الصهيونية من أن تحقق أحلامها في بناء وطن قومي على أرض فلسطين، وكان يركز على الاستعمار البريطاني وعلى الصهيونية، وقد استجوبته السلطات البريطانية عدة مرات. ولما كان له شعبية كبيرة كانت الحكومة تتجنب اعتقاله. وكان من نتيجة وطنية الشيخ ودعوته للجهاد أن التف حوله جماعة من الرجال دفعتهم الوطنية والايمان»[٢١].

وكان الشيخ في حلقاته يشرح لأتباعه ومريديه الخطر الذي يهدد أرض الإسلام، حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين وموطن الإسراء والمعراج. ويبيّن كيد الانجليز، وأن هذا الخطر قد استفحل ولا يدفع إلا بالجهاد[٢٢].

ونماذج الدعوة إلى الجهاد في خطابات القسام كثيرة، وإن لم يحفظ التاريخ تسجيلات كاملة لها، فهناك مقتطفات بعينها تكفي للتدليل على الروح الجهادية لدى الشيخ، ودعوته الصريحة لقتال المعتدين. .

ألقى الشيخ القسام خطاباً في ١٩٣٥/٢/١٢ م، وصفه اليهودي الذي نقله للوكالة اليهودية بأنه خطاب مشبع بروح التمرد والثورة. . يقول القسام للمصلين موبخاً لهم على قعودهم عن القتال: «ما أنتم إلا شعب من أرانب، يخافون الموت والشنق، منشغلين بالأقوال الفارغة. . اعرفوا أن خلاصنا فقط في أيدينا»[٢٣]. . وحدّثهم عن علم إسرائيل الذي رفعه اليهود على ظهر سفينة تدعى (تل أبيب)، «كدليل على مطامعهم في فلسطين»، ثم طلب منهم التنظيم في مجموعات من أجل الإعداد والتحضير للعمل.

بهذه الكلمات وأمثالها وبهذا التحدي المباشر من القسام لإرادة وإيمان أبناء فلسطين، نجح في تهيئة عناصر كثيرة للثورة من رواد جامع الاستقلال وجعلهم من المؤمنين العاملين. وأصبحت كلماته تتردّد على ألسنة الناس وهي أقوال تدعو جميعها للجهاد، ومن هذه الكلمات:

«الجهاد رفيقه الحرمان»، «المجاهد رائد قومه والرائد لا يكذب أهله»، «أيها الرجال.. يا نساء وشباب فلسطين.. البلاد في خطر»، وكان يستشهد بآيات قرآنية دالة على معاني القتال: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال﴾، ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين درجة﴾، وكان شعاره الدائم: «جهاد.. نصر أو استشهاد».

وعمل الشيخ القسام إلى جانب الخطابة في مسجد الاستقلال على توسيع قاعدة اتصالاته بالمسلمين من سكان حيفا وقضائها، ومدن فلسطين القريبة منها، وعمل على تأسيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا سنة ١٩٢٨ م، كما تولّى وظيفة مأذون شرعي لدى محكمة حيفا الشرعية سنة ١٩٣٠ م، وخرج إلى قرى القضاء محرضاً على الجهاد.

من كلمات القسّام في جامع الاستقلال(٢٤):

«يا أهل حيفا.. يا مسلمون، ألا تعرفون فؤاد حجازي؟... ألم يكن فؤاد حجازي، وعطا المصري ومحمد جمجوم إخوانكم؟ ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال؟! إنهم الآن على أبواب المشانق، حكم عليهم الانجليز بالإعدام من أجل اليهود.

أيها المؤمنون: أين نخوتكم؟ أين إيمانكم؟ أين هي مروءتكم؟» وكانت هذه الكلمات الصادرة من القلب، وقوداً روحياً للمجاهدين فكبّروا، واهتزّت جنبات المسجد طرباً لتكبيرهم، لقد صاح مع الجميع: الله أكبر.. الله أكبر، مستذكرين قول فؤاد حجازي في السجن:

يا ظلام السّجن خيّم ... إنّنا نهوى الظّلاما
ليس بعد السّجن إلّا ... فجر بدرٍ يتسامى

وقال: «إن الصليبية الغربية الانجليزية، والصهيونية الفاجرة اليهودية، تريد ذبحكم، كما ذبحوا الهنود الحمر في أمريكا.. تريد إبادتكم أيها المسلمون، حتى يحتلّوا أرضكم من الفرات إلى النيل، ويأخذوا القدس، ويستولوا على المدينة المنورة، ويحرقوا قبر الرسول، إنّهم يريدون اللعب بأمهاتكم وبناتكم وأخواتكم، وتحويلهن إلى خدم لهم وسبايا!!

يا ويلكم ألا تفهمون؟ رسول الله ﷺ يقول: «إذا ديس شبر من أرض المسلمين، فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها، وعلى الرجل أن يخرج ـ للجهاد ـ بغير إذن أبيه»، أيها المسلمون ألا تفهمون؟

أيها المؤمنون، فرض الله علينا الجهاد ليحمينا به.. ليحمي أرضنا وعرضنا، قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ (سورة التوبة ـ آية ١٢٣)، لقد ملأ اليهود بلادكم.. لقد سرقوا أرضكم».

نشاط القسّام في جمعية الشبان المسلمين:

في العشرينات من هذا القرن برزت في الساحة الفلسطينية تحديات صارخة لمشاعر المسلمين.. كان إحداها تأسيس جمعيات الشبان المسيحية تحت رعاية الانتداب البريطاني، وقامت إدارة الانتداب بتعيين المستر «بومن» مدير معارف فلسطين، رئيساً لمجلس جمعية الشبان المسيحيين في القدس، وأباحت للموظفين المسيحيين الاشتراك في الجمعية، بينما أصدرت مرسوماً يحظر على الموظفين الاشتراك في جمعيات الشبان المسلمين وحضور اجتماعاتها، مهما كان القصد من تلك الاجتماعات.

وكانت هذه الجمعيات المسيحية تمهد الطريق للاستعمار، فكانت مجهزة ببرنامج اجتماعي خطير، تغزو من خلاله صفوف الشباب العربي غزوة خبيثة فتعمل بأساليبها الخاصة على تخدير نفوسهم وإغراقهم في الملاهي والتسليات المشبوهة..

وأخذ هذا البرنامج المرسوم لهذه الجمعيات، يؤدي دوراً خطيراً، مما جعل اللورد اللنبي يوليها عناية خاصة فيقوم بنفسه بافتتاح مبنى فرعها في القدس،

ويحشد لها جهوداً ضخمة[٢٥].

وهـذا الاهتمام الاستعـماري بها نفسـه جعل المسيحيـين العـرب في فلسـطين معادين لها، فقام أكثرهم بمقاطعتها ومقاطعة نشاطاتها.

أمّا التحدي الثـاني فهو انعقـاد المؤتمر التبشـيري العالمي في القـدس في أواخر آذار ١٩٢٨ م، في جبـل الـزيتـون بـرئـاسـة الـدكتـور «مـوط» رئيس المجلس التبشيري العالمي، وعضوية ٥١ دولة بحضور مطران الانجليز في القدس، دون أن يكون بينهم مندوب واحد يمثل المسيحيين العرب، وقوبل المؤتمر الذي يـدعو إلى تنصير المسلمين، بالمظاهرات وعرائض الاستنكار والبرقيات التي شارك فيهـا المسيحيون والمسلمون والتي تستنكر عقد المؤتمر وتدعو إلى إيقافه.

وفعلاً توقف المؤتمر، وتداعى الوطنيون إلى عقد مؤتمر النـوادي الإسلاميـة في يـافا «نيسـان ١٩٢٨»، وتقرر تـأسيس جمعيات الشبـان المسلمين في كـل أنحـاء البلاد، وابتدأت الخطوات العملية تأخذ طريقها لإنشاء هذه الجمعيات.

وكان الشيخ القسـام في طليعة المؤسسـين، إذكاء للروح الإسـلامية في أرض فلسطين التي تواطأ عليها الخصوم في الداخل وفي الخارج[٢٦]. فقام في شهر أيـار من عـام ١٩٢٨ بتأسيس فـرع للجمعية في مـدينة حيفـا بالتعـاون مع صـديقـه الوطني المجاهد رشيد الحاج إبراهيم(*). وفاز الشيخ القسام برئـاسة الجمعيـة في الانتخـابات الأولى التي جـرت في فرعهـا بحيفـا، وشـاركـه في عضـويـة الهيئة الإداريـة رشيد الحـاج ابراهيم وهـاني أبـو مصلح[٢٧]. ولـما اختـير رشيـد الحـاج إبراهيم رئيساً في الانتخابات الثانية، قدّم القسام وتنازل له عن الرئاسة لتقديـره له وثقته المطلقة به. وفي عام ١٩٣٢ م كان القسام ممثلاً عن جمعية حيفا في مؤتمر الجمعيات الرابع المنعقد بعكا، والذي اقترح فيه رشيـد الحاج ابـراهيم انتخاب الشيخ القسام رئيساً مؤقتاً للمؤتمر بصفته أكـبر الأعضاء سنّـاً، فوافق المؤتمـر على ذلـك، وانتخب الشيخ نمـر المصري سكرتيـراً مؤقتـاً للمؤتمـر. ثم أعلن الشيـخ القسام الصمت والوقـوف دقيقتين إجـلالاً لشهداء فلسـطين الثلاثـة «جمجوم، حجازي، الزير». وبعد أن تم التعارف بين المشاركين وقف القسام وألقى دعاء

حاراً تمنّى فيه للمسلمين الخير والنجاح. وبعد مناقشات المؤتمرين، اتخذ المؤتمر القرارات التالية:

١ ـ محاربة التبشير.

٢ ـ الدعوة لتدريس أبناء المسلمين في المدارس العربية وتجنيبهم المدارس التبشيرية.

٣ ـ نشر الوعظ والتعليم في القرى وفي جمعيات الشبان المسلمين.

٤ ـ إصدار منشور يناشد فيه المجلسيين والمعارضين بأن يتركوا الحزبيات ويتفاهموا لصالح الوطن[٢٨].

وفي آذار من عام ١٩٣٣ م، كان القسام ممثلاً عن جمعية الشبان المسلمين ـ حيفا، في الاجتماع الجماهيري العام المعقود في يافا.

وقد قام القسام من خلال نشاطه في الجمعية بتربية جيل من الشباب المسلم، الذين أنقذهم من دائرة الانحراف والضياع، وأدخلهم في دائرة العمل الجاد والمثمر لصالح الوطن. . كما أنه وثّق اتصالاته بقيادات المدن الفلسطينية الأخرى، وكسب عدداً من شباب المناطق المختلفة للانضمام إلى تنظم الجهاد.

وقد واظب القسام خلال وجوده في الجمعية على إعطاء محاضرة دينية مساء كل يوم جمعة، وكان يذهب كل أسبوع بمجموعة من الأعضاء إلى القرى، ينصح ويرشد ويعود إلى مقره. وقد تمكن من إنشاء عدة فروع للجمعية في أكثر قرى اللواء الشمالي من فلسطين، وكانت فرصة للّقاء بالقرويين وإعدادهم للدفاع عن أراضيهم. . ومن هذه الفروع التي لعبت دوراً بارزاً في العمليات العسكرية ضد المستعمرات اليهودية، فرع صفورية وزرعين وطوباس. .

وبناء على ما تقدّم يتبيّن لنا أن نشاط الشيخ القسام في جمعية الشبان المسلمين كان له دور كبير في الإعداد والتهيئة والتحضير للثورة[٢٩].

العمل في وظيفة مأذون شرعي:

كانت لدى الشيخ القسام رغبة في الالتقاء بجميع الناس، وكان لا يدع

فرصة تصله بالجماهير إلاّ وأقدم عليها. . لقد اتصل بالمصلين عن طريق المسجد، والتقى بقطاعات من الشباب والطلاب عن طريق جمعية الشبان المسلمين والمدرسة الإسلامية. . وجاءت فرصة جديدة ليلتقي بنوعيات أخرى من الناس عن طريق الأعراس. فقد تولى الشيخ القسام وظيفة مأذون شرعي لدى محكمة حيفا في عام ١٩٣٠ م بعد أن تقدم لامتحان خاص بطلبه هذه الوظيفة. ولا زالت ورقة الإجابة التي كتبها الشيخ محفوظة إلى الآن في أرشيف قسم إحياء التراث الإسلامي بالقدس. وقد أوردت في ملاحق الكتاب نصها وصورة لها، ويتبيّن من مراجعة الملف الخاص بمأذوني حيفا أن الشيخ القسام كان أول الناجحين في هذا الامتحان من بين المتقدمين وكان عددهم (١٤) شيخاً[٣٠].

ويبدو أن رغبة القسام في الاتصال بالناس والتحدث إليهم في كل المناسبات، والتأكيد على أن الإسلام ليس هو الانزواء والاعتكاف، واعتزال الناس في أفراحهم وأتراحهم، بل هو دستور الحياة اليومي والمرشد في كل الأمور. وقد حصل أن أفتى أحد مشايخ حيفا بمنع الأعراس بحجة أن الطبل يجمع الشياطين! وعندما سُئل القسام أجاب: «اعملوا عرساً واعزموني، فحتى الفرح يريدون إغلاقه؟ إذا لم يتنفس الشباب فكيف سيتحملون المسؤوليات الجادّة؟»[٣١]، وهذه الإجابة تبيّن الوعي الحركي والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام.

وقد كانت هذه الوظيفة ـ مأذون شرعي ـ للشيخ القسام، وسيلة من الوسائل التي اتصل عن طريقها بمختلف فئات المواطنين من شباب وشيوخ، وعمال وفلاحين، وطلاب وموظفين، وتجار وحرفيّين. . وتحدّث إليهم وأقام معهم علاقات قوية كان لها أثر كبير في اتساع دائرة حركته الجهادية.

النشاط الشعبي للقسّام:

الشيخ القسام عالم مجاهد، تطلّع إلى تحرير أمّته من الاستعمار، وكان قدوة عملية لأبناء أمته، ونال الشهادة في سبيل تحقيق غايته، ووصل درجة من التقدير والاحترام الشعبي قلّ أن يصله إنسان في زماننا المعاصر. . ولم يأت هذا

التقـدير والاحـترام من فراغ، فقـد عاش القسـام حياتـه بـين النـاس البسـطاء يشـاركهم أفراحهم وأتـراحهم، ويهتم بأحـوال الفقـراء منهم، ويسعى جـاهـداً لتعليمهم ومحـو الأمية من صفـوفهم. . فلما رأى حكومـة الانتداب تحـرم عـامّـة الناس من التعليم وتقصره على عدد محدود من الطلاب والشباب، قـام بتأسيس مدرسة ليلية لتعليم العمال الأميـين[٣٢]، الذين يشتغلون في النهـار، ولا يتمكنون من التَّعلم خلاله، وساعده في التدريس بهذه المدرسة الشيخ كامل القصاب(*)، وكان لهذه المدرسة أثـرها في نشر الـوعي والتعليم في صفوف عـمال حيفا الـذين كانوا من أبناء القرى المرهقة بـالضرائب أو من الذين طـردوا من أراضيهم بقوة السـلاح، فكان القسـام يسعى لاجتذاب هؤلاء نحـو العمل المنـظم والمثمـر. . يقول أحد الذين تعلّموا في هذه المدرسة واصفاً إحدى دروسها:

«خرجت عام ١٩٣١ م إلى مدينة حيفا لأعمل فيها وكان عمـري ثلاثـة عشر عـاماً، وحـدث أن ذهبت في إحدى الليـالي مع صـديق لي إلى المدرسـة الليليـة لتعليم الأميين، وكان الطلاب من العمال الذين يشتغلون في النهار، دخـل علينا الشيخ كامل القصاب، ـ وكان يشارك القسام في تدريس محو الأمية ـ وطلب منا إخراج الكتاب والدفتر، ثم سحب مسدسه وأشار إليه قـائلاً: تعلّم هـذا، قبل هذا وأشار إلى الكتاب، وأخذ بعدها يعطي درسه»[٣٣].

واهتم الشيخ القسام كثيراً بالشباب الذين دفعتهم قسوة الظروف الاقتصادية والسياسية نحو الانحراف الخلقي، فنجح في انقاذ الكثـيرين منهم وإعادتهم إلى طريق الصواب. فكان لسيرته وكلامه تأثير كبير على الشباب.

كان يقترب من الفقراء كثيراً، ويكثر من مجالستهم، وهو نفسه كان أقرب إلى الفقر في حياته، فقد أعال نفسه بقروش قليلة، وبعد استشهاده لم يترك بيتـاً ولا مالاً، وجيرانه يقولون عنه أنه كان يعيش بصعوبة.

ويروي عنه ابنه محمد القصة التالية حول تعامله مع الفقـراء: «جاء شخص يسأل عنه في البيت وكان غائباً. وبحث عنه في جامع الاستقلال وجمعية الشبـان المسلمين ولم يجده أيضاً. ودلّه أحد المارّة على مكانه، فوجده يتناول إفـطاره عند

قيّم الحمام «عامل بسيط في حمّام عام» حيث الأخشاب والدخان والشحبار، وتبين أن عامل الحمام ـ وكان معدماً ـ قد دعاه إلى تناول الافطار معه، فلبى دعوته باكراً»[٣٤].

كان الشيخ القسام حريصاً على معرفة الناس، والحديث معهم حول شؤونهم وقضاياهم ومساعدتهم والشعور معهم. . وكان لهذه الصفات أثر كبير في النفوس، وثقة في الشيخ لا نظير لها. . وقد عدّد المؤرخ أمين سعيد بعضاً من صفات القسام الدالة على عمق تأثيره في الشعب الفلسطيني فذكر أن من أظهر صفاته ومزاياه: «بعده عن الشهرة والاعلان عن النفس، فكان في حيفا كما كان في جبلة وفي جبال اللاذقية، وفي كل مكان نزله عنواناً للأخلاق الإسلامية الصحيحة، ومثالاً كاملاً للمسلم الحقيقي الذي تذوّق لذة الإسلام واستنار بنور الإيمان واليقين، فما عرف عنه ما يريبه أو يدنس سمعته أو يدل على انشغاله بالسفاسف والزخارف فأحرز مرتبة رفيعة ونال مقاماً ممتازاً»[٣٥].

وكان مما كتبه من عاصروه وعايشوه عن كثب شهادات في أخلاق القسام. . يقول أحمد الشقيري: «كنت على معرفة وطيدة بالشيخ عز الدين القسام، عرفته تقياً ورعاً، خطيباً دينياً صالحاً، واجتمعت به في مؤتمرات جمعيات الشبان المسلمين في حيفا وغيرها، ولم يكن يدور في خلدي أو في خلد غيري حتى من أصدقائه المقربين، أن هذا الشيخ المعمم إمام الجامع كان يهيىء نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضد السلطات البريطانية مباشرة»[٣٦].

وكتب الصحفي عبد الغني الكرمي عن مناقب القسام ومآثره فقال: «عرفته بعد أن أثقلت كاهله السنون وأربى على الستين، ولكن مجالدة الدهر، ومقارعة الحوادث وصروف الزمان، ما ألانت له قناة، وما أذلّت له جناحاً لأحد، وما زادته إلا ورعاً وتقوى. . كان يمشي مطأطىء الرأس من خشية الله، وكان يتكلم في هدوء وتواضع واتزان، كالعالم الواثق من نفسه، المؤمن برسالته، الحريص على تقوى الله، وبث تعاليم الدين الصحيحة بين الناس، وما سمعته على طول صلتي به يحب الاصغاء إلى لهو الكلام والمهاترة والاستغابة، فإذا أمعن المتحدثون في هذا الضرب من القول رفع رأسه وقال: استغفروا الله أيها

الناس، وانصرف عنهم»[٣٧].

وكان لأخلاق القسام ومزاياه دور كبير في تعلق الناس به وتعاطفهم معه وحبهم له. وقد تمثل هذا الحب والتعاطف في انجازات شعبية.. ومن أهم هذه الانجازات التي حققها القسام، تحويل الاحتفالات بالمناسبات الدينية من مجرد عادات يمارسها الناس دون أن يدرسوا معانيها، إلى أيام وليالي لا تنسىٰ، ومدارس في الجهاد والدعوة إليه، والتنبيه إلى الأخطار التي تحدق بالأمة.. وقد أعطت هذه الاحتفالات طاقة جديدة تؤثر في النفوس وتحفز على النهوض والعمل لدفع الأخطار.

لقد تمتع القسام بشعبية واسعة، واجتذب قلوب كل الناس.. اجتذب قلوب الفقراء والعمال والفلاحين، كما اجتذب الكثير من قلوب الأغنياء والمثقفين، فلم تقتصر دعوته على فئة دون ،ئة، وجماعة دون جماعة، إلا أنه مع هذا كان يرى الخير في الفلاحين لبساطتهم وقربهم إلى الفطرة. ولهذا فليس من المستغرب أن يكون الفلاحون والعمال أكثر الناس انقياداً وانتظاماً في حركته.

ومع اتساع شعبية القسام بين الناس، إلا أن الرجل لم يكن لديه الاستعداد لمجاراة العامة والسكوت على ظواهر التخلف والجهل بالدين. وكانت هذه من الظواهر المنتشرة في المجتمع الفلسطيني آنذاك. فعندما أثيرت في حيفا عام ١٩٢٥ م مشكلة حول رأي فقهي للقسام، لمخالفته ما جرت عليه عادة العامة من الناس من التهليل والتكبير بصوت مرتفع أثناء الجنائز، وحدثت مشادّة بين أحد أنصار القسام وبين آخرين أثناء السير بجنازة أحد الموتى، وكتبت جريدة اليرموك آنذاك تتهم الشيخ القسام بأنه السبب فيما حدث من اختلاف الرأي في المدينة وانقسام الناس، وكتب رئيس تحرير الجريدة «كمال عباس» مقالاً طويلاً هاجم فيه القسام واتهمه بالسعي خلف المناصب والشهرة، وأنه أفتى بحرمة رفع الصوت في الجنازة ليظهر أمام الملأ بمظهر العلماء الذين يحاربون البدع، وليؤثر على البسطاء لسفسطته ليتبوأ مقعداً من الزعامة الفارغة[٣٨].

وكتب الشيخ القسام رداً أديباً وقوياً في نفس الوقت وأرسله للجريدة

المذكورة فرفضت نشره، فأرسله إلى جريدة الكرمل ـ حيفا، فنشرته. ومن قراءة الرد، يتضح أن الذين أثاروا المشكلة هم بعض المتنفعين الذين اتخذوا ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم على القبور تجارة لهم، وهم الذين أثاروا الضجة ضد القسام بسبب فتوى يحرم فيها أخذ الأجر من جراء قراءة القرآن على القبور، وساعدهم في التحريض ضد القسام من أرادوا الحدّ من نفوذه الشعبي ومكانته بين الناس عن طريق منعه من الخطابة والتدريس في جامع الاستقلال. .

ومع أن الشيخ كامل القصاب وعلماء الأزهر أيدوا فتوى الشيخ القسام إلا أن بعض المشايخ المتنفعين في عكا واصلوا إثارة الفتنة بغية المحافظة على مكانتهم بين العامة من الناس.

هذا الموقف يدل على أن القسام اعتبر الشريعة الاسلامية فوق أهواء عامة الناس وميولهم، ورغم أنه كرجل مجاهد يهيىء الشعب لمواجهة مسلحة مع المستعمرين إلا أنه لا يتنازل عن فكرة الحق والصواب مقابل أن يرضى عنه الناس.

القسّام. . وعلاقاته العامة بالقادة والحركات المعاصرة:

منذ وصل القسام إلى حيفا عام ١٩٢٠ م، وفي نيّته تكوين حركة جهادية تقف في وجه الاستعمار البريطاني والصهيوني في فلسطين. . ورجل هذه فكرته وتلك تطلعاته لا بد أن يكون له علاقات كثيرة مع زعماء فلسطين والاتجاهات التي يمثلونها. ومهما طالت هذه العلاقات أم قصرت، ومهما كان حجمها اتساعاً أو ضيقاً، فإنها لا تعدوا أن تكون في خدمة حركته الجهادية. .

فالقسام صاحب دعوة مستقلة وأسلوب متميز وحركة جهادية رائدة، سبقت جميع الاتجاهات في ميدان الجهاد المعاصر في فلسطين. .

نعم. . كان للقسام علاقات مع مفتي فلسطين وكثير من العلماء، ومع عدد من رموز الحركة الوطنية في فلسطين. . وسوف نتطرق في هذا الفصل إلى أهم تلك العلاقات. .

علاقة القسام بمفتي فلسطين:

يبدو أن هناك علاقة ومعرفة كانت بين الشيخ عز الدين القسام والحاج أمين الحسيني، قبل قدوم الشيخ القسام إلى حيفا عام ١٩٢٠ م.. فالرجلان كان لكل منهما دوره في الجهاد والوقوف في وجه الغزاة والمستعمرين. فكان القسام وهو في سورية يعلم دور أمين الحسيني في الوقوف ضد أطماع اليهود والانجليز في فلسطين، وكان الحسيني بدوره يعرف الكثير عن جهاد القسام في الثورة السورية ضد الفرنسيين.

وبعد وصول القسام إلى حيفا كان أحد الموقعين على العريضة التي رُفعت من قبل وجهاء حيفا للمندوب السامي سنة ١٩٢١ م، تطالبه بتعيين الحاج أمين مفتياً للقدس. وقد وردت صورة للعريضة في كتاب سميح حمودة «الوعي والثورة» ص ١٣٣.

وكان لتلبية الحاج أمين دعوة مدرسة البرج الإسلامية لحضور حفلتها السنوية الختامية في حيفا، دور في تعزيز العلاقة بين الرجلين. كما كان لزيارات الشيخ القسام للحاج أمين في القدس دورها الهام في بحث كثير من شؤون المسلمين ومشكلاتهم، والتفاهم والتعاون على وضع خطة لحل هذه المشكلات.

وخلال فترة تولي الحاج أمين منصب الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، حصلت لقاءات ونقاشات مستمرة بين الرجلين. وكان من طبيعة القسام محاولة استقطاب كافة العناصر النشيطة والاستفادة منها في جهاد الأعداء، بينما كان المفتي يرى أنه زعيم فلسطين وممثلاً لعلمائها وقياداتها، وبالتالي لا بد من إقامة الجسور بينه وبينهم والتعاون معهم، وكان يرى أن في القسام مواهب ومزايا لا بدّ من الاستفادة منها لدعم الحركة الوطنية وتعزيز المقاومة الفلسطينية، فوافق على تعيين القسام مدرساً وواعظاً لجامع الاستقلال في حيفا، وأفسح أمامه مجالاً واسعاً للتعاون مع قادة الحركة الوطنية وزعماء المؤسسات الإسلامية في حيفا والقضاء الشمالي، فغدا القسام من صميمهم وفي الطليعة من رجالاتهم.

لقد تعرض كثير من الكتّاب الفلسطينيين للعلاقة بين الشيخ القسام والمفتي، وكانوا بين مؤكد للعلاقة بين الرجلين في أمور كثيرة، وبين منكر لهذه العلاقة. . وقد تبارى الفريقان بحشد الأدلّة والبراهين التي تثبت العلاقة أو تنفيها. والذي يطلع على هذه الأدلة والآراء يرى أن الكثير منها جانب الحقيقة وانتصر للهوى وتأثر بما يشيعه الأعداء، وقد ناقشت بعض هذه الآراء في كتابي الأول من هذه السلسلة والذي كان عن الحاج أمين.

والحقيقة التي لا يختلف عليها من كانت لهم صلة مباشرة بالأحداث تشير إلى أنّ هناك علاقة وثيقة بين الرجلين المجاهدين، وأن الفترة القاسية التي كانا يعيشانها، والظروف الصعبة التي كانت تحيط بهما، ونوعية العمل والنشاط الذي يدبّران له كان يفرض كتماناً شديداً على هذه العلاقة، بحيث لا يعلم أحد كنهها إلا القلّة من المتصلين بالرجلين.

وليس بالأمر الغريب أن يكون للرجلين المجاهدين هدف مشترك وتعاون في أمور تم الاتفاق عليها، ثم يكون لكل واحد منهما مخططه وأسلوبه الخاص في العمل. فسماحة المفتي كان يعمل في قنوات متعدّدة، وكان يشرف على مجموعات تعدُّ نفسها للجهاد ويتعامل مع جميع فئات الحركة الوطنية، وقد تطرّقت للكثير من نشاطه وجهاده في الكتاب الخاص به. .

أما الشيخ القسام فكان له أسلوبه المتميز في الجهاد، ويتلخص هذا الأسلوب في تربية جيل من المجاهدين، فكان يعقد اجتماعات سرية مكتومة في بيته، وفي بيوت بعض أصدقائه، يحضرها عدد من الأشخاص المغمورين (غير البارزين أو المعروفين في ميدان الحركة الوطنية) وكان يختارهم من الذين كانوا يحضرون باستمرار دروسه ومواعظه، ويقوم بتهيئتهم وإعدادهم للجهاد، ويكوّن منهم منظمة سرية لها صفة خاصة، وتقتصر عضويتها على نفر من المؤمنين الصادقين الذين لديهم الاستعداد الكامل للتضحية والفداء.

وتباحث الشيخ القسام مع سماحة المفتي بهذا الشأن وتم الاتفاق بينهما على أن يتابع القسام مهمة تأسيس هذه المنظمة، وقيادتها. . فقام بهذه المهمة خير قيام،

ووضع لهذه الحركة ميثاقاً إسلامياً، وأنظمة وقوانين داخلية في منتهى الفعالية والإتقان، جاءت شيئاً جديداً في عملية التنظيم السري..

يقول الأستاذ إميل الغوري ـ الذي عاصر هذه الفترة ـ في كتابه «فلسطين عبر ستين عاماً»: «وكان الزعيم السوري الشيخ كامل القصاب قد هاجر بعد الثورة السورية من دمشق إلى حيفا حيث جعل يمارس الأعمال التجارية فيها. وكان للقصاب صلة وثيقة وعلاقة متينة بالحاج أمين نشأت أيام الثورة السورية ونمت واتسعت على مرّ الأيام. وفي الوقت نفسه كان القصاب صديقاً حميماً للشيخ القسام، وكلاهما من المجاهدين في الثورة السورية. فاختير الشيخ كامل القصاب ليكون صلة الوصل بين الحاج أمين والقسام، ومعتمدهما في جميع الأمور المتعلقة بالمنظمة وأعمالها وتوجيهها. وكانت أعمال الشيخ القصاب التجارية قد امتدت إلى القدس، فاتخذ منها ذريعة للتردد على المدينة والاجتماع بالحاج أمين، فيبدو اجتماعهما المتكرر أمراً عادياً. وكان الشيخ كامل ينقل توجيهات الحاج أمين، وكذلك يتسلم المساعدات المطلوبة ويسلمها بدوره للشيخ القسام»[٣٩]..

وقد ورد في مجلة شؤون فلسطينية، ص ٢٦٩ من العدد السابع، مارس ١٩٧٢ م، مقال للقسّامي المعروف إبراهيم الشيخ خليل يؤكد فيه «أن سفارة الشيخ كامل القصاب بين حيفا والقدس كان معلومة إلى الكثيرين من الإخوان ـ اخوان القسام ـ». وهذا مما يؤكد كلام الغوري بأن القصاب كان حلقة الوصل بين الرجلين.

وورد أيضاً في كتاب الغوري «فلسطين عبر ستين عاماً» أن هناك تنظيمات للجهاد كان لها علاقة بالمفتي وهي: «تنظيم في شمال فلسطين برئاسة علي رضا النحوي، وتنظيم الشيخ القسام، وتنظيم في جنوب فلسطين برئاسة عبد القادر الحسيني»، وأن هذه التنظيمات كانت سرية لا تعرف شيئاً عن بعضها البعض لأنها كانت في طور الإعداد، وأن المفتي كان له علاقة بها جميعاً، وأن علاقته بالقسام كانت عن طرق الشيخ كامل القصاب..

يقول الدكتور عدنان النحوي في رسالة بعثها إليّ بتاريخ ١٩٨٦/٤/٢٩ م عن هذه العلاقة: «في عامي ١٩٣٤ م و ١٩٣٥ م كان هناك عمل حقيقي وإعداد لثورة عامة في فلسطين، يقوم بهذا الإعداد المفتي وعدد من إخوانه، وكان هذا العمل عملاً سرياً مغرقاً في السرية، وكان ينتظر اللحظة التي يطمئن فيها الجميع إلى قدرة البلاد على القيام بالثورة، قدرة تنظيم ومال وسلاح..

وحركة الشيخ القسام إما أن تكون مرتبطة بهذا التنظيم وإما أن تكون منفردة، والانفراد لم يكن في صالح العمل العام، لأنه إما أن يجهض العمل العام وإما أن يدفعه إلى الإسراع في الظهور قبل اكتمال قوته.. والذي أراه أن الشيخ القسام كان على صلة مع سماحة المفتي، وكان عمله يتم بالتنسيق ليكون جزءاً من الخطة العامة.. أما خروجه المبكر الذي أدّى إلى استشهاده بسرعة فيحتاج إلى معلومات غير متوافرة، ولكنه يحمل سمة البطولة.. ونعترف أن هناك غموضاً نحسن تأويله ولا نفترض أكثر من وجود خطأ في عمل بشري وكل بني آدم خطّاء».

وورد في كتاب سميح حمودة «الوعي والثورة» ص ٦٦، نقلاً عن الأرشيف الصهيوني: ملف «س ٢٥ /٤١٢٧» ـ أخبار الدائرة العربية، تقارير من حيفا ١٩٣٥/١/٢٥ م ما نصه: «حين حضر ـ القسام ـ مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في شهر كانون الثاني ١٩٣٥ م في القدس، ناقش في لقاء سري مع عدد من العلماء ومنهم المفتي ضرورة تنفيذ أعمال مسلحة ضد اليهود والانجليز، وقد عارض جميعهم مقترحاته ما عدا المفتي».

وبعد استشهاد القسام استمرّ مجاهدو العصبة في الجهاد، وأصبح الكثير منهم قادة لفصائل ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م، وقد تمكن الحاج أمين من استقطابهم والاستفادة من شجاعتهم وإقدامهم.. إلا أنهم على الرغم من اتّباعهم لأوامر القيادة العليا، فإنهم لم يتخلوا أبداً عن عصبتهم السرية..

إن هذا الاستيعاب للقساميين من قبل الحاج أمين بعد استشهاد قائدهم، يشير إلى علاقة سابقة بين الحاج أمين والقسام.. يقول المؤرخ الفلسطيني عزة

دروزة بهذا الشأن:

«أنا لا أعرف شيئاً يقيناً عن العلاقة بينهما، إنما القسام كان واعظاً في حيفا، والوعاظ كانوا مرتبطين بالمجلس الإسلامي الذي يرأسه الحاج أمين. وقد أرسل القسام شخصاً إليّ ذات يوم في موضوع الخلية الجهادية التي يرعاها، وقال أنه يريد أن يواجه الحاج أمين أيضاً، ولا أدري هل واجهه أم لا..

الحاج أمين كان يهتم كثيراً بالخلايا الجهادية فلا استبعد أبداً أن تكون له صلة بخلايا الجهاد التي أنشأها القسام.. وقيل أن القسام أرسل إلى الحاج أمين يستشيره في خروجه وأن الحاج أمين نصحه بالتريث حتى يكتمل الإعداد»[٤٠].

ولعلّ البيان التالي يؤكد العلاقة بين المفتي والقسام أو يبيّن بعض جوانبها.. فقد ورد في نشرة «فلسطين» التي كانت تصدرها الهيئة العربية العليا في بيروت، ورد في العدد الثالث، ص ٢٥ ـ ٢٦ بيان رداً على كتاب صبحي ياسين «الثورة العربية الكبرى في فلسطين»، والذي ينفي فيه وجود أي تعاون بين القسام والحاج أمين، ويستدل على هذا بأن القسام أرسل عام ١٩٣٥ م أحد إخوانه «محمود سالم» إلى الحاج أمين ليعلمه عن عزمه القيام بثورة في فلسطين، وأن رغبة القسام هي أن يشرع الحاج أمين في الإعداد للثورة في جنوب فلسطين، حيث يعدّ هو العدة في شمالها، فأجاب الحاج أمين أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل، وأن الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم[٤١].

أما بيان نشرة «فلسطين» الذي جاء على لسان مجموعة من زملاء الشهيد القسام الذين جاهدوا معه، فقد قالوا فيه: «ونظراً لما في مثل هذه الأقوال المستقاة من الكتاب المذكور، من افتراءات كاذبة وادعاءات ومزاعم باطلة، فقد رأينا من واجبنا، نحن الذين عملنا مع الشهيد الخالد الشيخ عز الدين القسام، وجاهدنا في سبيل فلسطين، أن نبادر خدمة للحقيقة وإنقاذاً لتاريخ الجهاد من التشويه، إلى تفنيدها، وتكذيب ما اشتملت عليه من ترّهات باطلة، وأن نعلن للرأي العام أن الشهيد العظيم وجميع إخوانه وزملائه وتلامذته وشركائه في

الجهاد، كانوا يعملون بتعاون تام مع سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني، وبتفاهم معه، وبتوجيه وتأييد منه». . ووقّع على البيان: عودة إبراهيم عودة، محمد حسن زعرورة، ديب محمد ديوان، صالح محمد النصر، حسن شبلاق، محمد عبد القادر موسى، علي الطوزة، محمد سعيد عبد الرحيم، حسين العلي، محمد محمود زعرورة، دليل سعيد، ورشيد طرفة[٤٢].

وبقي أن نعلم أن حسن شبلاق، وديب الديوان كانا من قادة القواعد في حركة القسام. وأن محمود زعرورة كان من القيادة المسؤولة مع القسام، وأن محمد سعيد عبد الرحيم من قدماء الحركة القسامية. . وهذا ما ورد في كتاب الباحثة السيدة بيان نويهض الحوت «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين»، ص ٨٨٦.

علاقة القسام بحزب الاستقلال:

تأسس حزب الاستقلال عام ١٩٣٢ م وتوقف عام ١٩٣٣ م، وكان أغلب أعضائه من المنتمين سابقاً - في العهد التركي - لحزب العربية الفتاة، ثم في العهد الفيصلي في سورية لحزب الاستقلال الذي تزعّمه فيصل بن الحسين.

كان حزب الاستقلال يرى ضرورة إعلان المعاداة للانجليز والنضال ضدهم، إلا أنه لم يمارس أي نضال فعلي، باستثناء المهرجانات والمؤتمرات الخطابية والتي كانت مظهراً احتجاجياً فقط على الانتداب والصهيونية، والمقالات التحريضية التي نشرت على صفحات جريدة العرب بأقلام زعماء الحزب وبإدارة أحد المؤسسين «عجاج نويهض». ولم يكن للحزب أي برنامج عسكري ضد الانجليز[٤٣].

والواضح من منهج الحزب وبرنامجه أنه يختلف تماماً عن منهج الشيخ القسام، ومع هذا فقد ادّعى بعض أعضاء الحزب أن الشيخ القسام كان أحد أعضائه المرتبطين به، ومن هؤلاء حمدي الحسيني وهاشم السبع وعزة دروزة[٤٤]. .

بينما نفى آخرون ارتباط الشيخ القسام بالحزب وكان على رأسهم عجاج

نويهض الذي ذكر في كتابه «رجال من فلسطين» أن القسام لم يكن تابعاً لأي حزب أو جماعة، وأنه كان يعمل بشكل مستقل تماماً[٤٥]. كما أن أكرم زعيتر ذكر في يومياته أن أتباع الشيخ القسام عملوا خلال الثورة على أنهم طرف مستقل لم تربطهم علاقات سابقة بأي حزب فلسطيني، ودلّل على قوله أن أطروحة الحزب القومية تجعل من الصعب التسليم بانتماء القسام للحزب. ثم إن القسام لم يشارك في أي مهرجان خطابي للحزب ولا حتى بمهرجان حطين الذي أقيم بحيفا في ١٩٣٢/٨/٢٧ م. وقد نتج الالتباس في الأمر، والظن بانتماء القسام لحزب الاستقلال، بسبب علاقة القسام القوية برشيد الحاج إبراهيم والشيخ كامل القصاب وصبحي الخضرة، وهم من رجال الحزب الوطنيين المتدينين.

علاقة القسام بالحزب العربي:

تم تأسيس الحزب العربي الفلسطيني في آذار ١٩٣٥ م برئاسة جمال الحسيني. وقد استقطب الحزب العربي غالبية الشعب الفلسطيني، لأنه كان يمثل الاتجاه الذي يتبناه الحاج أمين الحسيني، حتى عُرف بين الناس بحزب المفتي. وكان لهذا الحزب دور في النشاط الوطني وفي الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ م، فكان يتبنّى مجموعة من فصائل الثورة ضد الانجليز والصهيونية..

ويبدو أن الادعاء بأن القسام كان مرتبطاً بالحزب العربي هو كالإدعاء بأنه كان مرتبطاً بحزب الاستقلال.. ومع أن الأستاذ إميل الغوري ـ وهو أحد الشخصيات الكبيرة في الحزب العربي ـ ذكر أن القسام انضم إلى الحركة الوطنية الفلسطينية علانية، وكان أحد ممثلي مدينة حيفا في الاجتماعات الوطنية الخاصة التي كانت تعقد في القدس.. ولما تشكل الحزب العربي الفلسطيني في ربيع عام ١٩٣٥ م كان القسام أحد أعضائه البارزين، وانتخبه مؤتمر الحزب ممثلاً في لجنته التنفيذية عن حيفا بالإضافة إلى زميليه وصديقيه حكمت النملي والمحامي فؤاد عطا الله[٤٦].. إلا أن السيد كامل الدجاني ـ وهو أيضاً من كبار العاملين في الحزب العربي، نفى أن يكون القسام عضواً في الحزب[٤٧]. ويبدو أن علاقة القسام الطيبة بقادة الأحزاب الفلسطينية جعل بعضهم يعتبرونه أحد أفراد هذه الأحزاب..

والحقيقة التي نخلص إليها والتي تقال في هذا الموقف هي: أن الشيخ القسام رحمه الله مجاهد تميّز عن جميع الأحزاب بدعوته المستقلة وحركته الجهادية وأسلوبه المتميز.. ثم إن الرجل سابق لجميع الأحزاب الفلسطينية في ميدان العمل.. فمنذ وصوله إلى مدينة حيفا عام ١٩٢٠ م وفي نيته تكوين حركة جهادية ضد الاستعمار البريطاني والتغلغل الصهيوني. ومع هذا فقد كان القسام يتعاون مع كل إنسان مخلص لدينه ووطنه، مستعد للعمل ضد المستعمرين، سواء كان هذا الانسان مرتبطاً بالأحزاب الفلسطينية أو غير مرتبط بها.

القسّام.. والحركة الإسلامية المعاصرة:

كانت الحركة الإسلامية في مصر تتابع نشاط الشيخ القسام في فلسطين وتؤيد الحركة الجهادية التي يتبناها ويعمل لها.. وكان الإمام البنّا يسعى إلى تعزيز العلاقات مع القيادات التي تعمل على الساحة الفلسطينية، وفي مقدمتها الحاج أمين الحسيني.. وفي السادس من شهر آب عام ١٩٣٥ م، أعلن البنا عن إرسال اثنين من مساعديه، هما عبد الرحمن الساعاتي، ومحمد أسعد الحكيم في مهمة رسمية إلى فلسطين وسورية ولبنان. وكان البنا يهدف إلى تعزيز الروابط بين جماعة الإخوان والتحركات الإسلامية في هذه المناطق، وكان هدف المبعوثَيْن هو لقاء الحاج أمين الحسيني بهدف توطيد علاقات الإخوان المسلمين وقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية. وقيل أن البنا أرسل في تلك الفترة مجموعة من شباب الإخوان مع المجاهد محمود عبده للمساهمة في تدريب عصبة القسام..

ولما ثار الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦ م على التصرفات البريطانية الغاشمة التي تمالىء اليهود في كل شيء وتحرم العرب من كل شيء، أخذ الإخوان المسلمون يمدّون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح، كما نجح عدد من شبابهم في التسلل إلى فلسطين والاشتراك مع الثوار في جهادهم، وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع جماعة المجاهد الشهيد الشيخ عز الدين القسام.

ومنذ استشهاد القسام.. والإخوان المسلمون يعتبرونه رمزاً من رموز الحركة الإسلامية المعاصرة.. يلقنون الشباب سيرته العطرة، ويربونهم على منهجه في

الجهاد. وقد أثمرت الجهود التي قامت بها الحركة الإسلامية في تربية جيل جديد من أبنـاء فلسطين ليقـودوا الأمة في انتفـاضتهم المباركـة، ويسـيروا عـلى خُـطى القسام، ويرفعوا شعاره: «هذا جهاد.. نصر أو استشهاد».

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٦، ص ٢٦٧ . وأمين سعيد، ثورات العرب، ص ١١٧ .

(٢) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، ص ٣٢ .

(٣) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٩٣ .

(٤) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، ص ٣٢ .

(٥) د. محمد سلامة النحال، سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، ص ٣٢ .

(٦) عرفات حجازي، الأخطبوط، ص ٨٣ - ٩٣.

(٧) حسن صدقي الدجاني، تفصيل ظلامة فلسطين، ص ٤٤ .

(٨) حسني جرار، كتاب الحاج أمين الحسيني، ص ٣٦ .

(٩) يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، ص ١١٦ .

(١٠) بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٢٨١ .

(١١) ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطين، ص ١٥ .

(١٢) واصف عبوشي، العربي العصري، ص ٨٧.

(١٣) د. صلاح الدين البحيري، أرض فلسطين والأردن، ص ٦٢ .

(١٤) هوب سمبسون، تقرير حول الزراعة والهجرة والاستيطان في فلسطين، ص ٩٥.

(١٥) يوسف هيكل، القضية الفلسطينية، ص ٩٩.

(١٦) سميح حمودة، الوعي والثورة، نقلاً عن جريدة الدفاع - يافا، في ١٩٣٦/١/٢ م.

(١٧) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٤٤، عن أرشيف دائرة الأوقاف الاسلامية بالقدس، ملف جامع الاستقلال.

(١٨) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام - مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٦، أيار ١٩٨٢ م، ص ٨٨.

(١٩) مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٦، أيار ١٩٨٢ م، ص ٨٨.

(٢٠) أمين سعيد، مقالة في جريدة الجامة الإسلامية.

(٢١) د. كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٣٧٥ .

(٢٢) أحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص ١٤٥.
(٢٣) سميح حمودة، الوعي والثورة ص ٤٦، نقلاً عن الأرشيف الصهيوني ـ القدس، ملف (س ٢٥، ٤١٢٧).
(٢٤) شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرر العربية، ص ٢١٠ ـ ٢١١.
(٢٥) جريدة الدفاع ـ يافا، في ٢٠/١/١٩٣٦ م.
(٢٦) جريدة الدفاع ـ يافا، العدد ٤٩٧ في ٥/١/١٩٣٦ م.
(*) رشيد الحاج ابراهيم: ولد في حيفا عام ١٨٩٠ م، وكان رجل حيفا، وواحد من شخصياتها الأولى.. عمل مديراً لفرع البنك العربي فيها، وكان رئيساً للجمعية الإسلامية ثم رئيساً في جمعية الشبان المسلمين، وعضواً في المجلس البلدي عام ١٩٣٥ م، وهو من مؤسسي حزب الاستقلال (١٩٣٢ ـ ١٩٣٣).. ورشيد الحاج ابراهيم مثّل بلده في معظم المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت لمناوءة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي. ونفته بريطانيا مع من نفتهم من رجالات فلسطين إلى سيشل عام ١٩٣٧ م، ولما أطلق سراحه استأنف جهاده في سبيل وطنه. وفي عام ١٩٤٨ م تزعّم شؤون القتال في حيفا.. وبعد النكبة توفي في عمان في ٢٨ آذار عام ١٩٥٣ م. ووصفه حنا خميس في ملحق جريد النهار البيروتية بقوله: «هو الزعيم الشعبي الكبير ذو الرأي النافذ والكلمة المسموعة. كان لا يعلو على قوله قول في حيفا وقضائها».
(٢٧) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، ص ٩٦.
(٢٨) جريدة الجامعة العربية ـ القدس، العددان ٨٦٩ و ٨٧٠، في ٢١/٧/١٩٣٢، ٢٢/٧/١٩٣٢ م.
(٢٩) صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٣٠.
(٣٠) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٥٠.
(٣١) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، ص ٩٠.
(٣٢) عمر أبو النصر، جهاد فلسطين العربية، ص ٢٧٠.
(*) الشيخ كامل القصاب: عالم سوري من مدينة حمص، ولد في دمشق بعد أن انتقل والده إليها. وكان في بداية حياته منصرفاً إلى الفتوّة، حتى دخل ذات مرة مسجد حي «العقيبة» بدمشق، واحتل غرفة فيه وانقطع إلى العلم، وأمضى في اعتكافه أعواماً تفقه فيها وبرع في علوم العربية والقراءات، وأصبح إنساناً آخر. وبدأ القصاب حياته السياسية في العهد العثماني بنشاطه في الحركة القومية العربية، فأنشأ المدرسة «الكاملية» التي كانت من عوامل بعث القومية العربية في دمشق.

ولما نشأت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ م كان القصاب من أعضاء جمعية «العربية

الفتاة» السرية، فانتدب للسفر إلى مصر، ومقابلة أنصار تحرير البلاد العربية من سلطان الأتراك، والاتفاق معهم على خطة لهذا العمل.

وكان السوريون بعد وقوع ظلم جمال باشا السفاح عليهم، قد أعلموا فيصل باستعدادهم لقتال الترك والثورة عليهم بشرط ضمان استقلال العرب استقلالاً تاماً، وطلبوا منه إبلاغ والده بهذا في رسالة. . ثم انتدبوا الشيخ القصاب للسفر إلى الحجاز فسافر إليها سنة ١٩١٥ م تحت ستار أداء فريضة الحج، ليبلغ الرسالة شفوياً للحسين وليقيم لديه كأداة اتصال بينه وبينهم.

أقام القصاب بعد موسم الحج في المدينة المنورة، ومنها بدأ يتلقى الرسائل من دمشق ثم يبلغها للشريف حسين، وبقي وسيطاً بين الطرفين إلى أن علم بصدور أمر باعتقاله، فسافر على الفور إلى مكة، واشترك في الثورة التي أعلنها الحسين، وعيّن بعدها مديراً للمعارف في الحجاز. وفي أوائل عام ١٩١٧ م غادرها إلى القاهرة، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى (١٩١٨) رجع القصاب إلى دمشق فعمل مع الجمعية الوطنية وأصبح رئيساً لها، وكان لهذه الجمعية دور كبير في مقاومة الفرنسيين في سورية. وبعد معركة ميسلون اجتمع المجلس الحربي للجيش الفرنسي وأصدر حكماً بإعدام (٣٧) شخصاً كان القصاب في مقدمتهم. فغادر القصاب سورية إلى الحجاز حيث ولاه الملك عبد العزيز إدارة المعارف في الحجاز، فأقام قليلاً ثم انتقل إلى حيفا واستقرّ بها. وفي حيفا عمل القصاب بالتجارة، وتولى مدرسة الجمعية الاسلامية «البرج».

ولما وصل القسام إلى حيفا وبدأ يعدّ لحركته الجهادية، كان القصاب وسيطاً بينه وبين الحاج أمين الحسيني، وكان يكثر من التنقل بين القدس وحيفا من أجل هذا الغرض، وحتى يخفي هذا العمل عن الانجليز أقام له تجارة في حيفا وأخرى في القدس.

وبقي القصاب في فلسطين إلى أن صدر في دمشق عفو عام عن المحكومين بالإعدام، فرجع إلى سورية وعاش فيها إلى أن توفّاه الله في دمشق وانتقل إلى رحمته.

(٣٣) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٦١.
(٣٤) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٦١.
(٣٥) جريدة الجامعة الإسلامية ٢٦/١١/١٩٣٥ م.
(٣٦) أحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية، ص ١٣٩.
(٣٧) جريدة فلسطين في ٢٢/١١/١٩٣٥ م.
(٣٨) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ٦٤. . نقلاً عن جريدة اليرموك ـ حيفا، العدد ٦٤، ص ٢.
(٣٩) إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص ٢٥١.

(٤٠) بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٣٢٦.

(٤١) د. عبد الستار قاسم، كتاب الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ص ٣٧.

(٤٢) نشرة فلسطين ـ العدد «٣»، ص ١٠.

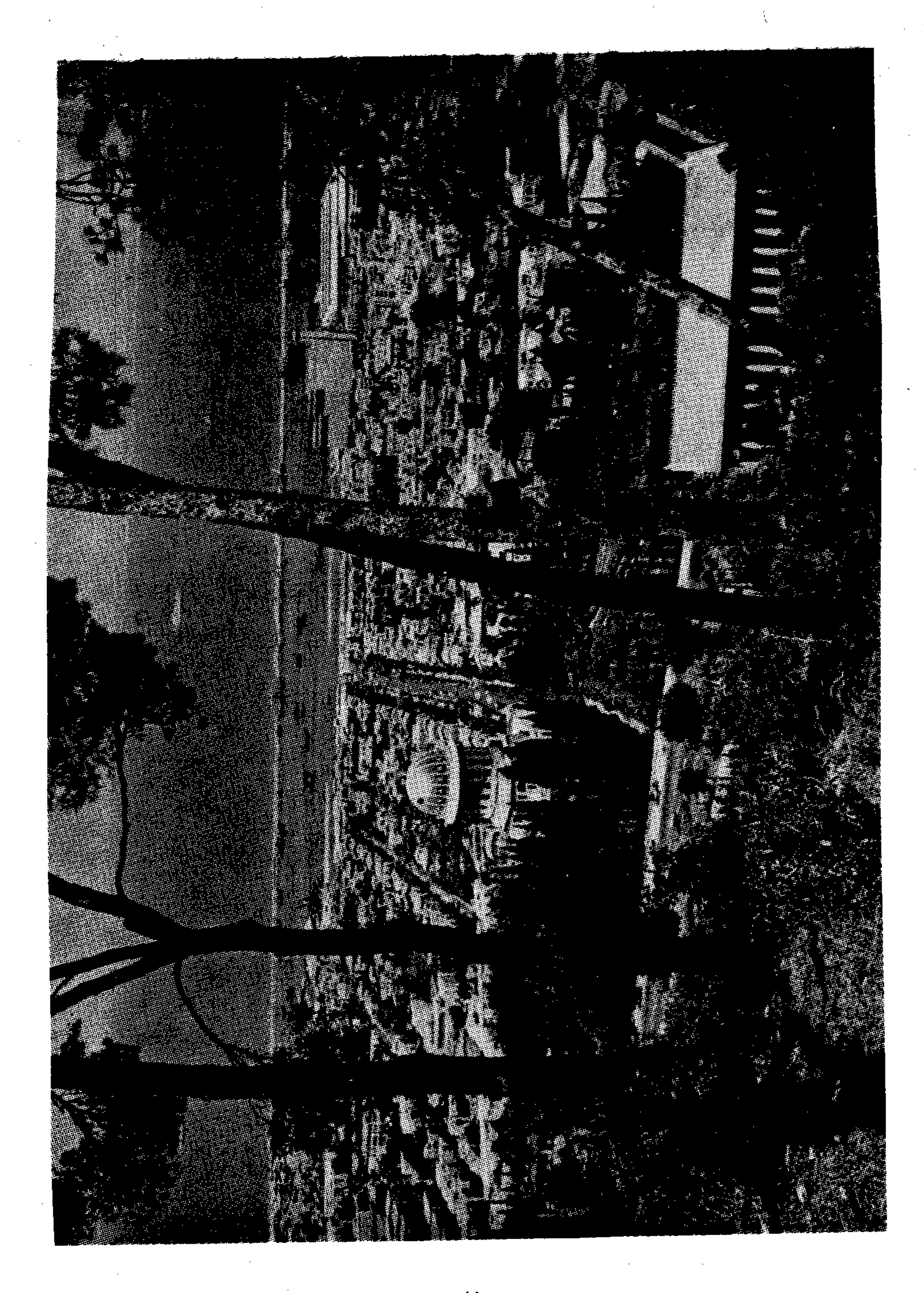
(٤٣) سميح حمودة، الوعي والثورة، ص ١٢١.. نقلاً عن الرابطة العربية، العدد ٢٤ في ١٩٣٦/١١/٤م، ص ٢٢.

(٤٤) علي حسين خلف، تجربة عز الدين القسام، ص ٩١.

(٤٥) مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد ٧، ص ٢٦٧.

(٤٦) إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص ٢٥٠.

(٤٧) د. كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٣٧٣.



حيفا



الفصل الثالث

القسام.. حركة وتربية وجهاد

- تقديم.
- المراحل الرئيسية لحركة القسّام:

أولاً: مرحلة التنبيه إلى الخطر الصهيوني، والدعوة إلى الجهاد ضد الاستعمار.

ثانياً: مرحلة الإعداد والتّهيئة النفسية للثورة.

ثالثاً: مرحلة اختيار العناصر الطليعية للحركة.

تكوين الوحدات الجهادية.

رابعاً: مرحلة العمل العسكري التجريبي ضد المستعمرات اليهودية.

خامساً: مرحلة إعلان الثورة المسلمة عام ١٩٣٥ م:

الدوافع الأساسية لخروج القسام وإعلان الثورة.

جولة الشيخ القسام قبل الخروج.

قرار الخروج للجهاد.

- هوامش الفصل الثالث.



الفصل الثالث

القسام.. حركة وتربية وجهاد

تقديم:

عز الدين القسام مجاهد مؤمن.. آمن أنّ الجهاد هو السّمة المميزة للأمة الإسلامية في طريقها الطويل، وهو الطريق المرسوم إلى الهداية والتمكين في الأرض وإرضاء الله تعالى..

قَدِمَ الشيخ المجاهد إلى فلسطين وفي نيته تكوين حركة جهادية تحرّر الوطن من الاغتصاب والاستعمار. وكانت بريطانيا في ذلك الوقت تقوم بدور صليبي حاقد تهيء من خلاله البلاد لإقامة وطن قومي لليهود.. وكانت حيفا يومئذ مرفأ فلسطين الأول، وفيها يتجلّى معترك عنيف بين المسلمين واليهود..

وتطلّع القسام إلى هذا الأفق فلم يطمئن إليه قلبه.. إذ أصبح يرى مشروع الوطن القومي اليهودي عن كثب، يُبنى لبنةً لبنة، ويرى مع هذا حرص الانجليز على كسر شوكة المسلمين.

وبدأ الشيخ يفكر بالثورة والجهاد.. فقد آمن أن الثورة المسلحة هي وحدها القادرة على إنهاء الانتداب، والحيلولة دون قيام دولة صهيونية في فلسطين.. ومن الطبيعي أن الجهاد في الإسلام له مقدّماته ومقوّماته من الإعداد المستمر معنوياً ومادياً، وأنّ الثورة المسلحة تحتاج إلى تخطيط سياسي وعسكري، وإلى تعبئة الجماهير نفسياً لتأييد الثورة والاشتراك فيها، وتحتاج إلى تنظيم سرّي ثوري يُربّى فيه المقاتلون روحياً وعسكرياً وسياسياً.. وكانت الثورة المسلحة المنظمة أمراً غير مألف بعد في صفوف الحركة الوطنية آنذاك.

وحدّد القسام ثلاثة أهداف للجهاد والثورة المسلحة، وهي:

- طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين.
- منع إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين.
- إقامة دولة عربية إسلامية تعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بين الدول العربية.

وتلفّت الشيخ من حوله إلى أوضاع البلاد العربية فإذا هي ممزّقة، يعيث فيها الاستعمار فساداً، وكل شعب منشغل بحاله وبالمشكلات التي أوجدها له الإستعمار، فكان قوله: «إنّ علينا نحن عرب فلسطين، الاعتماد على أنفسنا، وعلى إمكاناتنا الذاتية، لا ننتظر حتى تهبط علينا النجدات من السماء، ولا حتى تصلنا من وراء الحدود»[1]. وبدأ العمل لتنفيذ فكرته بخطوات ثابتة وعمل متواصل ومراحل مدروسة.

المراحل الرئيسية لحركة القسّام:

أولاً: مرحلة التنبيه إلى الخطر الصهيوني، والدعوة إلى الجهاد ضد الاستعمار:

عندما قَدِمَ القسام إلى حيفا عام ١٩٢٠ م أحسّ بخطر الصهيونية، وعرف أنها جادة في الوصول إلى هدفها، لذلك كان يدعو الناس إلى الوقوف في وجهها بلمّ شعثهم واتحاد كلمتهم والعودة إلى تعاليم السلف الصالح.

وامتاز القسام على غيره في تلك الفترة بتركيزه على الاستعمار البريطاني، وإدراكه بوضوح وجلاء أن هذا هو العدو الرئيسي الذي تجب محاربته ومقاومته. وكان هذا مما ميّز القسام عن غيره، وأعطى حركته صفة خاصة.. فقد ملك القسام هذا الوضوح في تحديد العدو في الوقت الذي كانت فيه الدول العربية تتجنب الصدام مع بريطانيا، وتسعى إلى مفاوضتها.

وكان القسام من خلال عمله ونشاطه يحذر الناس من الخطر الصهيوني، ففي إحدى خطب الجمعة عام ١٩٢٧ م، حذّر المصلين من التساهل مع الهجرة اليهودية ووصفها بقوله: «إنها تحتلّ البلاد وأنتم فيها» ودعا إلى استقبال اليهود المهاجرين القادمين بعربات الانتداب البريطاني وحمايته «كعدو لا كمهاجر أو

ضيف». وكان يدعو إلى هذا في خطبه ودروسه في المسجد والمدرسة وجمعية الشبان المسلمين وفي جولاته في القرى.

ولم يقتصر القسام في خطبه على التحذير من الصهيونية وأطماعها، بل كان يتطرق إلى أطماع المستعمرين الغربيين في بلاد الشام وفي باقي أجزاء الوطن العربي والإسلامي، ومن أمثلة ذلك الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان، والبريطاني في فلسطين وشرقي الأردن والعراق ومصر والسودان. وقد جعل القسام من تجارب الثورة في سورية وقادتها المجاهدين نماذج للحديث في خطبه، فكان كثيراً ما يتحدّث عن أبطال الثورة وجهادهم ضد المستعمرين[٢].

يقول أحد الملازمين لخطب الشيخ القسام:

«كان القسام ـ رحمه الله ـ إذا صعد المنبر وخطب المسلمين في أيام الجمعة، يغرس في قلوب سامعيه حب الوطن، والإيمان بالحق، والجهاد في سبيل الله. فقد كانت خطبه كلها مزيجاً من الدعوة الصريحة إلى الانتفاض عن الظلم، والتفاني في التضحية، والتدليل على أن المسلم غير مكلف بالخضوع لسلطان غير مسلم أو أجنبي عن أمته، وكان يردّد دائماً الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾ ويشرح معنى «أولي الأمر» شرحاً وافياً. وما أظن أنني سمعت له خطبة لم يذكر فيها الآية الكريمة: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[٣].

وروى أحد رفاق القسام الذين قبض عليهم في معركة يعبد عن دروسهم مع الشيخ، فذكر كيف «أنهم كانوا يصلون الفجر مع الشيخ، ثم يجلسون حوله في حلقة صغيرة، ويتحدث فيها الشيخ عن فضائل الجهاد في الإسلام وثواب الاستشهاد في الآخرة. ويروي أيضاً أن الشيخ كان في اجتماعاته وحلقاته يشرح لأتباعه ومريديه الخطر الذي يهدد وطن الإسلام، حيث أولى القبلتين وثالث الحرمين وموطن الإسراء والمعراج، ويبيّن كيد الإنجليز ـ أعداء الاسلام ـ وأن هذا الخطر قد استفحل ولم يعد يدفع إلا بالجهاد، وأن الجهاد فريضة الله على عباده»[٤].

كما أن الشيخ القسام كان في خطبه يهاجم السماسرة وباعة الأراضي لليهود، فكان يجهر بكلمة الحق يصدم بها الباطل وأهله من ذوي النفوس الضعيفة والضمائر الفاسدة.

ثانياً: مرحلة الإعداد والتهيئة النفسية للثورة:

بعد أن استقر القسام في حيفا ونبّه الناس إلى الخطر الصهيوني، بدأ منذ عام ١٩٢٢ م يعمل في الإعداد النفسي للثورة، وقد ساعده في هذه المرحلة عدد من العاملين المؤمنين، ومن هؤلاء الشيخ كامل القصاب وهاني أبو مصلح، والأول سوري والثاني لبناني. ولكن القسام وقد تلقن درساً من الحكم العسكري الفرنسي في سورية آثر السرية المطلقة لدعوته في فلسطين، فكانت أعماله الخارجية من وعظ وتدريس ستاراً لعمله الأساسي، وهو اختيار الصالحين من هؤلاء التلاميذ والمريدين. وكذلك سعى إلى عقد صلات مع سكان القرى المجاورة، عن طريق مهمته كمأذون شرعي.. وهكذا أخذت السنوات تمر، والأنصار المؤمنون يتكاثرون من حوله، ومعظمهم من فلاحي القرى وعمال حيفا. وكان يختار هؤلاء الأنصار بعد اختبار سنوات طويلة[٥].

كان القسام ذا شخصية جذابة، حسن السيرة والمعاشرة، محدثاً لبقاً وخطيباً بارعاً، وكان بمقتضى وظائفه ونشاطاته يتصل بسائر أبناء الشعب لا فرق بين متدين وغيره، اعتقاداً منه أن إصلاح المستهترين أولى من إصلاح غيرهم..

وكان يراقب المصلين وهو يخطب فوق منبر المسجد، ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد إلى زيارته في منزله، وتتكرّر الزيارات حتى يقنعه بالعمل لإنقاذ فلسطين مما يهددها من أخطار، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا يزيد عدد كل منها عن خمسة أفراد، وكان يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان، ولا يبوح بالسّر الكبير الذي يحمله وهو الدعوة إلى الثورة لمنع إقامة وطن قومي يهودي في أرض فلسطين، إلا لأشخاص قلائل بعد أن يدرس نفسياتهم دراسة كافية لمدة قد تطول عدة سنوات[٦].

وبهذه الوسائل تسنّى للشيخ الاتصال بمختلف فئات المواطنين من شباب

وشيوخ، وعمال وفلاحين، وطلاب وموظفين، وتجار وحرفيين. .

وكان القسام في تهيئة الشباب للانضمام لحركته يكثر من نصحهم بقوله: [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص]، وكان يردّد على شفتيه في كل مناسبة آيات من كتاب الله الحكيم تتعلق بالجهاد والقتال والاستشهاد، ويجعل من دروسه التي تقام في المسجد عادة بين الصلوات المفروضة، وسيلة لإعداد المجاهدين وصقل نفوسهم وتهيئتها للقتال في سبيل الله، معتمداً اختيار الكيف دون الكم.

ويروي بعض المعاصرين للقسام أنه كان يطلب من الناس شراء السلاح والتدريب عليه، ويطلب في خطبه من المصلين أن يقاوموا العدو، ولما وقف أحد المصلين وسأل: «بماذا نقاوم العدو ونحن لا نملك شيئاً» فأجاب الشيخ: بقتلهم وأخذ السلاح منهم[٧].

ولما تزايدت الهجرة اليهودية في أواخر عام ١٩٣٤ م وازداد التسلط البريطاني على الفلاحين وأراضيهم، وأصبحت البلاد تمر في ظروف صعبة. . في هذه الفترة كان القسام يشتعل غضباً وثورة، وكانت كلماته من على منبر جامع الاستقلال تلتهب وكأنها حمم من النار، وفي إحدى خطبه سأل المصلين جهاراً: «هل أنتم مؤمنون؟» ثم أجاب «لا أعتقد» وسكت قليلاً، فسرت ضجة وهمهمة والأنظار كلها مشدوهة نحوه توّاقة لسماع تفسيره. . «لأنكم لو كنتم مؤمنين لكانت عندكم عزة المؤمن، فإذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني فستهرولون نحوه»[٨].

بهذه الكلمات وهذا التحدي المباشر من القسام لإرادة وإيمان أبناء فلسطين، نجح في تهيئة عناصر كثيرة للثورة من رواد جامع الاستقلال وجلّهم من الفئات المؤمنة، فأصبحت كلماته تتردد على ألسنة الناس وهي أقوال تدعو جميعها للجهاد مثل[٩]: «الجهاد رفيق الحرمان»، «المجاهد رائد قومه والرائد لا يكذب أهله»، «أيها الرجال! يا نساء وشباب فلسطين! البلاد في خطر»، وآيات قرآنية دالة على

معاني القتال: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال﴾، ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة﴾، وكان يكثر من دعاء «ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك».

وفي إطار التهيئة النفسية للثورة خرج الشيخ القسام إلى قرى حيفا وجنين، وقرى شفاعمرو وصفورية في الجليل الأدنى. . وكان يتردد على سيلة الظهر وسيلة الحارثية ونورس وطوباس وبرقين ويعبد وبورين والزّينة، ويستخدم مساجد هذه القرى في الدعوة إلى مقاومة بيع الأراضي، ومحاربة السماسرة. . يروي أحد شيوخ قرية السيلة الحارثية قضاء جنين أن الشيخ القسام قدم في عام ١٩٣٤ م إلى القرية وبرفقته الشيخ كامل القصاب والشيخ فرحان السعدي وأعطى درساً دينياً، دعا فيه إلى محاربة السماسرة وباعة الأراضي لليهود[١٠].

وأقام القسام علاقات قوية مع منطقة «العبهرية» حيث يوجد عرب المنسي، وأبي زريق والسعديين. وزار عرب الرمل في أوائل عام ١٩٣٥ م وتحدث معهم عن ضرورة مقاومتهم للشرطة في مسائل الأرض المتنازع عليها، والتي يحاول اليهود الاستيلاء عليها وطردهم منها[١١].

وفي ظل هذه الجولات المثمرة بنى القسام علاقات قوية مع قرى عديدة في منطقة حيفا واللواء الشمالي ومرج ابن عامر وجنين، ساعدت في تجنيد عدد من المجاهدين، وتهيئة قواعد في هذه القرى للعمل العسكري.

وفي هذه المرحلة حدّد القسام طبيعة الرجال الذين يريدهم. . إنه يريد الرجل المقدام الصبور على الأذى، الحافظ للسر، المجدّ المثابر، الصادق في السر والعلن، المستقيم الخلق، الذي ينكر ذاته، ويحب خدمة الآخرين، القوي الحجّة والمنطق، القادر على الاقناع، الذي يطلب الموت فتوهب له الحياة[١٢].

ثالثاً: مرحلة اختيار العناصر الطليعية للحركة:

اتصف الشيخ القسام بقدرة فائقة في التنظيم واختيار الأعضاء والقيادة وسبل الإمداد والتسليح. وقد كان إيثار التنظيم السري أمراً هاماً يعتمد على الدّقة والرّويّة ووضع المرشح الذي يتوسم فيه الخير والاستعداد زمناً تحت المراقبة، إلى

حين دعوته للعمل في التنظيم من أجل إنقاذ فلسطين. . وساعد القسام عمله مدرساً وخطيباً وإماماً ومأذوناً شرعياً، على معرفة الناس وسبل إقناعهم والتأثير فيهم. وقد ربط القسام الجانب الجهادي بالجانب الاجتماعي، فكان يهتم بتحسين أحوال الفقراء ومساعدتهم ويسعى إلى مكافحة الأمية بينهم، إيماناً منه بأن ذلك يعمق الوعي بين الجماهير ويزيدها إيماناً بالثورة ويشحذ عزمها للكفاح المسلح.

وقد صرف القسام السنوات الطوال في اختيار العناصر وإعدادها تحت لواء الجهاد، واهتم كثيراً بالعمال والفلاحين، كما اهتم بالمنحرفين من الطبقة الكادحة، فكان يؤمن بأن جرأة المنحرف أو السارق أو القاتل من الممكن أن تتحول إلى شجاعة وثورة حقيقية في نفسه إذا ارتدّ عن غيّه وآمن بالله إيماناً صحيحاً وبالجهاد في سبيل الله، وقد أكّد هذه الحقيقة المجاهد حسن الباير في إفادته الرسمية عندما استسلم للبوليس إثر معركة يعبد، فقال[١٣]:

«أنا من قرية بلقيس وكنت من قبل أسرق وأرتكب المحرمات فجاءني المرحوم الشيخ عز الدين القسام وأخذ يهديني ويعلمني الصلاة وينهاني عن مخالفة الشرع الشريف وأوامر الله تعالى. .

وقبل مدة أخذني المرحوم الشيخ عز الدين إلى أحد جبال بلقيس، وهناك أعطاني بندقية فسألته لم هذه؟ فأجاب: لأجل أن تتمرن عليها وتجاهد مع إخوانك في سبيل الله».

والعناصر الكادحة التي انضمت إلى العصبة كثيرة، فمن هؤلاء أبو دُرّة بياع الكاز على الطنبر، وأبو خليل الذي كان ينقي عود الفحم، والغلاييني الذي كان يلحم التنك والحديد، وهو الذي أصبحت مهمته بحكم مهنته صنع القنابل البدائية. وقد وصف جمال الحسيني بيت الزيباوي في خطاب له بأنه بيت في أطراف المدينة من أخصاص التنك الممزق، وغارق في الوحل. . ثم انتقد الزعيم السياسي ـ بصدق وعفوية ـ موقف السياسيين من أمثاله نقداً ذاتياً حين قال[١٤]:

«ثورة القسام كانت ثورة علينا جميعاً، شباناً وشيوخاً وكهولاً، إذ يقول كل واحد منّا في قلبي إيمان وفي نفسي إخلاص وعزيمة ولكني مثقل ووراثي عائلة كبيرة أخاف إن خرجت أن يتخطفهم الذل والعار والموت، وليس لديّ ما يدفع عنهم عوادي الزمن... يسمع القسام وصحبه هذا فيثورون عليه ويخرجون..
يخرجون عمّن؟ يخرجون عن أعشاش فيها قطع من اللحم كأفراخ العصافير ينتظر كل منها معيله ليسقط في منقاره ما يسدّ بها جوعه ويروي عطشه... فيندفع القسام وصحبه من تلك الأعشاش لتثبيت المبدأ وإحقاق الحق وإعلاء شأن الإيمان، ونحن إذ نرى منهم ذلك لا يسعنا إلا أن نشعر بتبكيت الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الإيمان».

ويروي الصحفي الفلسطيني عبد الغني الكرمي قصة حصلت له مع الشيخ القسام فيقول[١٥]: رآني القسام بعد أسبوع من تعليق الأبطال الثلاثة على المشانق في ١٧/٦/١٩٣٠م، ألعب النرد في جمعية الشبان المسلمين، وسمعني أسخر بقروي جاء ليتداوى في عيادة «الجمعية الإسلامية» إذ أشكل عليه التفريق بين الإسمين «الجمعية الاسلامية» و«جمعية الشبان المسلمين» لتقاربهما فانتهرني وأخذ بيد القروي إلى العيادة ولم يتركه حتى اشترى له العلاج!..

وقال لي ذات يوم: يمين الله أن شباب العصر الأخير ابتعدوا كثيراً عن النهج القويم وأمعنوا في الضلال فلم يبق على هذه الأمة إلا أن تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وإيمان وبُعد عن بهارج مدنيتكم الزائفة وعلومكم وآدابكم التي تقصي الإنسان عن الفطرة المستحبة. فقلت له: أتدري أنهم يتهموك بالشيوعية إذا سمعوك؟

فقال: انظر لقد اشتعل رأسي شيباً وخبرتي الطويلة تجعلني أرجو خيراً من الفلاحين والعمال فهم واثقون بالله، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأجرأهم على الإقدام، أضف إلى ذلك أنهم أقوى بنية وأكثر احتمالاً للمشاق والمتاعب. وفي عام ١٩٣٢م سُئل الشيخ القسام عن رأيه في أهل الشعراوية وجبل نابلس، الذين يقطعون الأشجار ويسممون الحيوانات، وينعتهم الناس بالحرامية وقطّاع الطرق،

فأجاب: «دعهم يعملون لأن في عملهم رجولة سنحولها في يوم من الأيام إلى جهاد. وما دام المستعمر يرغب في إماتة نفوسنا، فإن هؤلاء أقرب إلى الله وإلى حب الجهاد من المستكينين».

ولهاتين الروايتين دلالتهما.. فالقسام كان يعتقد أنّ المدنيّة الحديثة التي غزت العالم الإسلامي أذابت أغلب الفئات المثقفة بالثقافة الغربية. وجعلتها بعيدة عن روح الفطرة السليمة. فلم تستطع التصدي للغرب وعساكره، لأنها أولاً مبهورة بمُثُله، ولأنها ثانياً متمسكة بالقيم المادية لا الروحية.

ومن خلال الاتصالات التي قام بها الشيخ عز الدين، وممن وجد فيهم الصفات المطلوبة شرع بالمرحلة الثالثة للحركة عام ١٩٢٥ م، وأخذ يختار طلائع الحركة وأعضاءها.. وكان الشخص الذي يقع عليه الاختيار يخضع لتجربة ومراقبة تمتحن خلالها عزيمته وقدرته على حفظ السر..

وكان للعضوية شرطان[١٦]:

الأول: أن يقتني العضو السلاح على حسابه من خاص ماله.

والثاني: أن يدفع اشتراكه الشهري البالغ عشرة قروش، ويتبرع بما يستطيع من دخله.

بعد ذلك ينتظم كل خمسة أعضاء في خلية سرية، ويتم تثقيفهم وتزويدهم بالمعلومات والخبرات التي تخدمهم في عملهم الجهادي، فيدرسون تجارب السابقين من المجاهدين وخاصة سير أبطال المسلمين وقادتهم، ومعارك الاسلام الشهيرة. واهتم الشيخ بحصول كل عضو في التنظيم على الثقافة الدينية والوعي السياسي والتدريب العسكري.. وزيادة في الحرص والحيطة كان الأعضاء يتعاملون بأسماء حركية، وكانت كل خلية لا تعرف شيئاً عن سواها.

وفي هذه المرحلة انتشرت طلائع القسام في أوساط الشعب على نطاق واسع ولكن بحذر شديد، يبصّرون المواطنين بأبعاد الهجرة اليهودية إلى البلاد وآثارها في المستقبل. وفي الوقت نفسه عمل الشيخ وإخوانه روّاد الحركة الجهادية على نشر روح المحبة والتآلف بين المواطنين، وبدأت روابط الوحدة الوطنية تقوى

وتشتد بعد أن كان الانجليز قد مزقوها بما أثاروا من حزازات وعداوات عشائرية وقبلية.

تكوين الوحدات الجهادية[١٧]:

اهتم القسام بالتنظيم الدقيق وتوزيع الأدوار والمهمات.. فعندما تم إنشاء العصبة السرية للجهاد بشكل متكامل، كانت تحتوي على وحدات منظمة مختلفة المهمات، وكانت:

الأولى: وحدة خاصة بشراء السلاح، ويرأسها الشيخ حسن الباير والشيخ نمر السّعدي.

والثانية: وحدة للاستخبارات ومراقبة تحركات العدو البريطاني واليهودي، وكان يرأسها الشيخ ناجي أبو زيد. وقد تمكنت الحركة من بناء جهاز سري من العمال الذين يعملون في المصالح الحكومية وخاصة في دوائر البوليس، والعمال الذين يعملون مع اليهود لمعرفة النشاط السري للأحزاب اليهودية.

والثالثة: وحدة خاصة بالتدريب العسكري، ويشرف عليها الشيخ «جلادات» وهو ضابط سابق في الجيش العثماني.

والرابعة: وحدة للدعاية في المساجد والمجتمعات، وأبرز أعمالها الدعوة إلى الجهاد، وكان الشيخ كامل القصاب موجهاً ومستشاراً لها.

والخامسة: وحدة العمل الجماهيري والاتصالات السياسية، ويشرف عليها الشيخ محمود سالم المخزومي.

والسادسة: وحدة جمع المال من الأعضاء والأنصار، ورعاية أسر المعتقلين والشهداء. وكان للمرأة دور بارز في هذا المجال..

ولم يكن القسام يرى اتباع الإكراه لجمع المال من الشعب، لهذا اكتفى بأن يدفع الأعضاء اشتراكات مالية لتغطية نفقات التسليح والتدريب.. أما الشعب فسيدفع بعد إعلان الثورة، وسيمدها بكل ما تريد بعد أن يعرف أهدافها ويشاهد انتصاراتها.

يقول إبراهيم الشيخ خليل أحد أفراد العصبة القدامى بأن المال للثورة كان له مصدران: مصدر الاشتراك الشهري، ومصدر التبرع التطوعي. ويأتي التبرع من أصدقاء القسام الذين كان الكثير منهم في وضع مالي جيد، فكان منهم المزارع الكبير والتاجر والمقاول، وهؤلاء كثيراً ما كانوا يتبرعون بأرباحهم بعد اكتفاء عائلاتهم. وبالإضافة إلى هذا كان المال يأتي أيضاً تبرعاً من بعض الأثرياء الوطنيين عن طريق الأصدقاء أيضاً. ويؤكد إبراهيم على حقيقة، وهي أن جمع التبرعات حتى في سنة ١٩٣٨ م لم يكن يتم أبداً إلا بعد الوثوق من الشخص الذي يطلب منه التبرع وثوقاً تاماً[١٨].

وكان القسام يرى أن إمكانات الشعب الفلسطيني لا بد أن تُسخّر للجهاد، وكان ينتقد ويقاوم بشدة إنفاق أموال الأوقاف في تشييد الأبنية والفنادق وتزيين المساجد، حتى ولا المسجد الأقصى المبارك، لأن إعداد الشعب وتسليحه للجهاد ولخوض المعركة أفضل وأحق من الأمور الشكلية التي يمكن إنجازها في أوقات أكثر مناسبة، فمئات الألوف من الجنيهات كان بالإمكان تسليح خمسة آلاف مجاهد بها آنذاك.

لقد زاد عدد أعضاء عصبة القسام على ثلاثمائة مجاهد. . وبعد استشهاده وانفجار الثورة ارتفع العدد إلى أضعافهم. .

أما القيادة العليا في العصبة فلم تكن للقسام وحده، بل كانت قيادة جماعية تتألف من اثني عشر عضواً، كانوا أعضاء «الجمعية»، وقد بقيت الجمعية مؤلفة من هذا العدد بعد استشهاد القسام وحتى سنة ١٩٤٨ م، وبقي مركزها مدينة حيفا. وكانت هذه «الجمعية» هي المسؤولة عن اتخاذ جميع القرارات المهمة، ومن بينها القرارات باغتيال الجواسيس والخونة، إلّا أنه لأسباب دينية لم يكن يكتفى بإجماع «الجمعية» بل كان لا بد من رفع قرار الاغتيال إلى عالم ديني كي تصدر الفتوى عنه[١٩].

وقد ورد في كتاب «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين» ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ م، جدولاً بأعضاء عصبة القسام السرية في الثلاثينات كما

يلي[20]:

القيادة المسؤولة:

- الشيخ عزالدين القسام.
- الشيخ خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير).
- الشيخ سليمان عبد القادر حمام.
- الشيخ عطية أحمد عوض.
- سرور برهم العودة.
- محمود زعرورة.
- توفيق إبراهيم (أبو ابراهيم الصغير).
- الحاج حسن حمادة.
- محمد محمود غزلان (أبو محمود الصفوري).

قادة القواعد والفروع:

- الشيخ فرحان السعدي.
- الشيخ نمر السعدي.
- الشيخ محمد عبد الرحيم.
- الشيخ محمد الحنفي.
- الشيخ عارف أحمد.
- الشيخ ناجي أبو زيد.
- الشيخ حسن الباير.
- الشيخ ذيب الديوان.
- داود علي خطاب.
- حسن شبلاق.
- أبو خضر عارف إبراهيم.
- أحمد أبو ذان المزرعاوي.
- شريف السيلاوي.
- صالح أبو حشمة.
- أحمد الغلاييني.
- أحمد التوبة.
- عيسى البطل.
- عبد قاسم أبو طه.
- محمد سيلاوي.
- سعيد عطية.
- محمود صالح.
- ممدوح العلي.

واستمر الشيخ القسام في الإعداد للثورة سنين عدداً، والطلائع تلتف من حول حركته التي تستميل المخلصين والوطنيين الغيورين على كرامتهم وبلادهم

ومقدساتهم. . وأطلق على حركته اسم «الجهادية».

وحدث أن برزت أحداث خطيرة في هذه الفترة كان لها أثر كبير على الحركة، وأهم تلك الأحداث:

- في سنة ١٩٢٩ م وقعت «ثورة البراق» وأقدم الانجليز على إعدام ثلاثة من المجاهدين العرب وهم: فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير. . وكانت ثورة البراق عبارة عن منبه لأبناء فلسطين بأنّ أمراً خطيراً يُدبّر.

- وفي سنة ١٩٣٠ م عندما ازدادت هجرة اليهود إلى فلسطين بتنظيم من الانجليز، ذهب وفد عربي من قادة الرأي في البلاد إلى لندن ليستجدي «العدل» ويستعطي «العطف»، ورجع بخفي حنين. . وعلى هذا المنوال كان فشل جميع الوفود العربية. فالانجليز ماهرون في فن الاستعمار، كانوا يستقبلون الوفود ويشكلون اللجان لدراسة الأوضاع ويصدرون البيانات، وبهذا يقتلون الوقت ولا يفعلون إلا ما يكفل لقافلة اليهود اطّراد المسير. . أما القسام فكان على بيّنة من أمره، عالم بمكر اليهود والانجليز، ماض في حركته السرية، وكان على يقين بأن جميع وفود العرب ومؤتمراتهم لن تجدي شيئاً، وأن الطريق الوحيد لإنقاذ أرض الإسراء والمعراج هو الجهاد في سبيل الله.

- وكان الانجليز يدربون اليهود على القتال، ويسهلون لهم عملية استيراد الأسلحة. . وحدث أن قام اليهود خلال الحرب العالمية الثانية باستيراد الأسلحة من بلجيكا بمقادير كبيرة مخفية في براميل الإسمنت وصناديق البضاعة، ووصلت إلى حيفا باسم بعض المحلات التجارية اليهودية، فتحطم منها صندوق على الرصيف، فإذا به يحتوي على مسدسات وقنابل وبنادق سريعة الطلقات، وعلم سكان حيفا بالأمر، وذُعر الناس وقامت التظاهرات والاحتجاجات. . أما القسام ورجاله فلم يعبأوا بهذه التظاهرات وواصلوا عملهم واستعدادهم لإعلان الجهاد وبدء المعركة.

روى الشيخ نمر الخطيب للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، في لقاء تمّ بينهما في فندق أميّة بدمشق عام ١٩٤٢ م، فقال[٢١]:

«لقد استفاد يهود فلسطين من الحرب العالمية الثانية حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتائب تتدرب على القتال، وأمدتهم بالأسلحة والذخائر، واتفق أن وصلت إلى حيفا خلال سني الحرب صناديق كبيرة باسم بعض المحلات التجارية اليهودية على أنها تحمل أقمشة وسلعاً. وذكر الشيخ الخطيب قصة هذه الصناديق التي أشرنا إليها سابقاً. . ثم قال: فعلم سكان حيفا بالأمر مما جعل الشهيد عز الدين القسام رحمه الله يعتزم القيام بثورته مع إخوانه ومريديه، وقد كان يعمل لها سراً منذ سنين. . أقول، ولقد حضرت له درساً في بعض مساجد حيفا ليلة الإسراء والمعراج وكنت في طريقي إلى القاهرة فأدهشتني قوة روحه وتوجيهه وما يبثه في الناس من آيات الفداء والاستشهاد على تقدّمه في السن. . وكان مما قال: إن الوضع في فلسطين خطير ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل أبسط أنواع السلاح».

رابعاً: مرحلة العمل العسكري التجريبي ضد المستعمرات اليهودية:

اهتم الشيخ القسام بإعداد عناصر الحركة الجهادية روحياً ومعنوياً وعسكرياً، وكان يعمل على تدريبهم بالقدر المتاح لهم. . وفي عام ١٩٢٨ م حدثت صدامات بين العرب واليهود تبيّن خلالها أن اليهود يقتنون السلاح ويتقنون التدريب عليه. . وجاءت حادثة البراق لتدفع حركة القسام إلى الانتقال من الكلام إلى العمل والتدريب على السلاح. . ويصف المجاهد خليل محمد العيسى (أبو إبراهيم الكبير) بداية التدريب فيقول[٢٢]:

«اشترينا بندقية عام ١٩٢٨ م وأحضرنا مدرباً اسمه محمد أبو العيون، وكانت تبدأ الجلسة بأن يلقي الشيخ دروسه ثم تحولت دروس الشيخ من دروس دينية إلى تحريض على الجهاد. وكان المدرب في آخر الجلسة يقوم بتدريب الموجودين على البندقية واحداً واحداً».

وفي عام ١٩٢٩ م نشبت ثورة البراق وقام اليهود بتنظيم مظاهرة ضخمة في تل أبيب بمناسبة ذكرى تدمير الهيكل، وقاموا بمظاهرة أخرى في اليوم التالي في شوارع القدس متوجهين نحو حائط المبكى حيث رفعوا العلم الصهيوني

وأنشدوا النشيد القومي «الهاتكفا». .

وفي اليوم التالي كان يوم جمعة وصادف ذكرى المولد النبوي الشريف، فتجمع المسلمون في باحة المسجد الأقصى وتوجهوا بعد الصلاة في مظاهرة كبيرة حطموا فيها أدوات اليهود عند الحائط، وحدثت اشتباكات دموية بين المسلمين واليهود استمرت أسبوعاً كاملاً، سقط فيها عشرات القتلى والجرحى[٢٣].

ولم يشترك الشيخ القسام في هذه الثورة لأن برنامج توعيته لم يأخذ درجة الانتشار في جميع أوساط الأمة وفي جميع مدنها، وكذلك لأن رجاله لم ينهوا تدريبهم واستكمال تسليحهم[٢٤]. ولم تكن العصبة قد مضى على تشكيل أول قيادة لها سوى بضعة شهور. .

وفي بداية الثلاثينات كان هناك نشاط عسكري واضح للعصبة في مجال التدريب على استعمال السلاح ومن ثم تنفيذ العمليات الفدائية ضد المستعمرات اليهودية. وكانت التدريبات العسكرية تتم في رحلات ليلية، كما كانوا يقومون بحركات استطلاعية يتمرنون خلالها على إصابة الهدف[٢٥]. وذكر أحد المجاهدين وهو من سيلة الحارثية أنه تدرب مع القساميين على السلاح ولم يكن عمره يزيد على الرابعة عشرة، في مكان يدعى وادي رشم يقع في مدخل مدينة حيفا الجنوبي، وكان القسام يشارك بنفسه في هذه التدريبات، وكان يخرج ليلاً إلى جبل الكرمل ويدرب الأعضاء على الأسلحة ويوجههم في أساليب الكفاح المسلح.

ويصف حسن شبلاق ـ أحد الذين تدربوا على يد الشيخ ـ خطوات التدريب فيقول: «كنا نجتمع قبل الخروج إلى جبل الكرمل في واحد من الجوامع الثلاثة: الاستقلال، الجامع الكبير «الجرينة»، والجامع الصغير. وكان الخروج عادة على مستوى الحظيرة ثلاثة أشخاص يعرفون بعضهم بعضاً، والحجة القانونية التي كنا نتسلح بها في خروجنا وجود المحاجر، ومعظم الحجّارة كانوا من القساميين، وكان القسام يخرج مع كل حظيرة ويعلمها فك وتركيب البندقية وتنظيفها وكيفية استخدامها»[٢٦]. كما أن القسام استفاد من عضويته في هيئة

جمعية الشبان المسلمين للتستر على التدريب العسكري تحت حجة النشاط الرياضي والكشفي، وكثيراً ما كان ينام على كرسي الجمعية ولا يعود إلى البيت.

وفي هذه الفترة تعرّف الشيخ القسام على الشيخ فرحان السعدي، وانتظم الأخير في صفوف الحركة وتمت بينهما زيارات ولقاءات. وفي إحدى زيارات القسام لقرية المزار اتفق الاثنان على تدريب مجموعات من الشباب في الجبال المحيطة بالقرية حيث كان السعدي يخفي عدداً من البنادق في المغاور، كما تم إحضار كمية من الأسلحة من سورية، عبر الأردن وتم تكليف الشيخ فرحان بتمريرها بواسطة أصدقائه من شيوخ البدو في شرقي الأردن.

ولما قطعت الحركة شوطاً من الإعداد، تم فيه تهيئة المقاتلين للجهاد، ابتدأت عصبة القسام تنفيذ عمليات فدائية ضد المستوطنات اليهودية عن طريق إعداد كمائن والهجوم على أفراد محددين ومستوطنات معيّنة، بهدف دفع اليهود في الخارج إلى وقف الهجرة إلى فلسطين.

وكانت أولى العمليات موجهة ضد مستعمرة الياجور، ففي ليلة الخامس من نيسان عام ١٩٣١ م كمنت مجموعة من المجاهدين على الطريق الرئيسي المؤدي للمستوطنة، وبينما كانت قافلة سيارات يهودية تسير باتجاه المستوطنة، وتقلّ عدداً من الشبان والفتيات اليهود العائدين من إحدى الحفلات، أطلق المجاهدون النار عليهم، فقتلوا ثلاثة منهم وعادوا من حيث أتوا، دون أن يتركوا أي أثر يدل عليهم. وأعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها أربعماية جنيه لمن يدلي بمعلومات تقود للقبض على الفاعلين، ولكن جهودها ذهبت أدراج الرياح[٢٧].

ونفذ القساميون عمليتهم الثانية بتاريخ ١٩٣١/٤/٧ م، فأطلقوا النار على موشي فليبتس في مستعمرة «نهلال» وأصابوه برجله.

والعملية الثالثة كانت في السادس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٢ م حيث قاموا بقتل يوسف بورنشتيان في مستعمرة «بلفوريا». وفي الخامس من آذار من العام نفسه قتلوا «شموئيل جوترمان» في «كفار هاسيديم». كما قاموا بعمليات أخرى في مستعمرة عثيلت ومستعمرة العفولة في المرج.

وتوّج القساميون عملياتهم بالعملية الفدائية التي نفذوها في مستوطنة «نهلال» في مرج ابن عامر ـ للمرة الثانية ـ، والتي أثارت الانجليز واليهود وأفقدتهم صوابهم، ففي ليلة ١٩٣٢/١٢/٢٢ م ألقيت قنبلة على منزل يوسف يعقوبي في هذه المستعمرة التابعة رسمياً لقضاء حيفا، فأصيب صاحب المنزل وابنه داود بجراح خطرة كانت سبباً لوفاتهما فيما بعد، فثار اليهود بسبب هذه الحادثة وحوّلوا جنازة اليعقوبي إلى شبه مظاهرة قادها الدكتور ارلوزوروف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية. كما أعلنت الحكومة عن تخصيص مكافأة قدرها خمسماية جنيه فلسطيني لأي شخص يقدّم إخبارية تؤدي إلى إلقاء القبض على منفذي العملية[٢٨].

وكان إعلان الحكومة عن هذه المكافأة الضخمة دليل على غضب السلطة الشديد، وعلى إدراكها أبعاد العملية.

أما لماذا اختار القسام «نهلال» بالذات هدفاً لهذه الضربة فربما يعود ذلك إلى أن نهلال تعتبر رمزاً كبيراً من رموز الصهيونية، وقد اعترف «وايزمن» بذلك في زيارة له لفلسطين قام خلالها بجولة واسعة من أجل التمهيد لعقد مؤتمر مائدة مستديرة مع العرب والانجليز مستغلاً نجاح المفاوضات بين الوكالة اليهودية والحكومة البريطانية حول الكتاب الأبيض، وهي تلك المفاوضات التي انتهت بالتعديل إلى كتاب أسود، كما نشرت جريدة «الجامعة العربية» جزءاً من خطاب «وايزمن» في حفلة أقيمت على شرفه في مستعمرة نهلال في ١٧ آذار ١٩٣١ م حيث قال[٢٩]: «إنّ نهلال مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري لأنني منها أبتدىء بسياحتي وبها أختمها، وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر، ولست أبالغ إذا وصفتها بأنها قلب المرج، وعندما تقترب مني الأيام الصعبة أتطلع إلى نهلال لأستمد منها التعزية».

وأما خطوات تنفيذ العملية.. فقد بدأت عندما استطاع القسامي أحمد الغلاييني والذي كان يعمل سمكرياً، استطاع أن يصنع قنابل في معمله الصغير، وكانت إحدى الخلايا القسامية تعمل في صفورية وتقوم بإطلاق النار من بنادق حربية تابعة للعصبة على اليهود، وضمت هذه الخلية خليل محمد

العيسى (أبـو ابراهيم الكبـير)، أحمد الغـلاييني، مصطفى عـلي الأحمـد، وأحمـد التوبة. وبعد أن تمت صناعة القنابل، أخذ مصطفى قنبلتين وضـع إحداهمـا في منزل حراس المستعمـرة «يعقوبي وابنـه» وحين انفجـرت أدّت إلى قتل الاثنـين. وبعدها قـام القساميـون بتسيير قـطيع من الغنم عـلى طريق المستعمـرة لإضاعـة الأثر.

ورغم جهود الشرطة المكثفة لمعرفة الفاعلين، إلا أنها لم تستـطع الكشف عن المجاهدين إلا بالصدفة، فقد قـامت بعد ستـة شهور من الحـادثة بتفتيش قـرية صفورية، وعثرت في منزل مصطفى الأحمد على قنبلة مماثلة لتلك التي انفجـرت في نهلال، وصادرت بندقية حربية من نفس المنزل، واعتقلت مصـطفى الأحمد، ثم قـامت باعتقـال خليل محمـد العيسى، وأحمد الغـلاييني. وبقي الثلاثـة رهن التحقيق الـذي كـان يشرف عليـه الضـابط أحمـد نـايف والضـابط كـلايتـمان، واستطاع الاثنان كشف النقـاب عن منفذي العمليـة، وكذلـك أسماء الأعضـاء النشيطين في العصبة».

ونشرت صحيفة دافار اليهودية تفـاصيل عن التحقيقـات التي أجريت حـول نهلال، فقـالت ان من بين الـذين ألقي القبض عليهم: خليـل محمـد العيسى، حسين محمد حمدي، محمود زعرورة، عز الـدين القسام، ذيب الـديوان، أحمـد الحسن، الحاج مصطفى، والشاب عبد الطه[٣٠].

وعلى الرغم من كل التحقيقات الـطويلة والشهادات التي تم جمعهـا فلم يتم تقديم كل المتهمين للمحكمة، واسقطت التهم عن القسام وآخرين لعدم وجود أدلة كافية. ولكن المحكمة حاكمت ثلاثـة من القساميـين خلال شهـري تشرين الثـاني وكانـون الأول عـام ١٩٣٣ م وهم: «مصـطفى الأحمـد، وحكمت عليـه بـالإعدام ونفـذ الحكم. وأحمد الغـلاييني، وحكمت عليه بـالسجن ١٥ عامـاً، قضاها وخرج عام ١٩٤٤ م. وبرأت ساحة أبو إبراهيم الكبير».

وخـلال المحكمة انكشفت بعض أسرار عصبـة القسام، وأصبحت تحـركاتـه ونشاطاته موضع شك لدى المخابرات والبوليس الـبريطاني، وكـان لشهادة عبـد

الطه أثر سيء في كشف مجموعة من أسرار الجماعة، وقد نقلت صحيفة دافار نص شهادته أمام المحكمة وقالت أنه «كشف النقاب عن كافة أسرار المنظمة السرية التابعة لجمعية الشبان المسلمين في حيفا».

وقد أدى كشف مخططات الجماعة وأهدافها العسكرية إلى إيقاف نشاط العصبة إلى أن يتم تجاوز المرحلة الحرجة وحالة الاستنفار لدى المخابرات الانجليزية واليهودية. واستمرت حالة التجميد هذه حتى قرب نهاية عام ١٩٣٥ م.

ومهما كانت نتائج هذه العمليات العسكرية التجريبية فإننا نستطيع أن نقول عنها أنها ألقت الرعب في نفوس اليهود إذ رأوا لأول مرة عملاً جديداً من حديد ونار، وهذا لم يتعوده اليهود في فلسطين بعد. . وازدادت الحكومة واليهود ذعراً وبثوا الأرصاد ونشروا الجواسيس في الليل والنهار، وصار الاعتقال لمجرد الشبهة.

وكانت عمليات القسام هذه بمثابة الروح التي سرت في أوصال الأمة، فحرّكت الهمم وشدّت العزائم وحفزت الناس إلى العمل. .

ولم تكن أعمال جماعة القسام خلال هذه المرحلة مهاجمة المستعمرات فحسب، وإنما قاموا بمجموعة أعمال أخرى ذكرها الأستاذ إميل الغوري في كتابه «فلسطين عبر ستين عاماً»، فقال:

أما الأعمال التي قام بها القساميون فكانت من أروع ما قام به المجاهدون في فلسطين، وعلى الرغم من كثرتها وتعدد أشكالها ومظاهرها، فإنها ظلت محاطة بالسرية والكتمان، إلى مدى كان معه أكثر الناس يجهلون مصدر هذه الأعمال، بل كانوا لا يعرفون إطلاقاً بوجود حركة القساميين. وكان من هذه الأعمال: ملاحقة وتأديب الذين يخرجون عن الشعب ومصالحه، من مثل التعاون مع الحكومة ضد الحركة الوطنية، أو التجسس لحساب المخابرات البريطانية، أو بيع الأراضي لليهود أو السمسرة عليها للأعداء. . وكان من أعمال القساميين العديدة الواسعة النطاق، التصدي لدوريات الجيش والشرطة، وقطع طرق

المواصلات والإغارة على ثكنات الجيش ومراكز الشرطة، ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية وزرع الألغام والمتفجرات فيها.

خامساً: مرحلة إعلان الثورة المسلحة عام ١٩٣٥ م:

بعد حادثة البراق عام ١٩٢٩ م كان بعض رجال القسام يرون أن الوقت قد حان للبدء بالثورة.. ولكن الشيخ القسام لم يكن متعجلاً أمر إعلان الثورة، وإنما كان يؤمن بالتأني والحاجة إلى استكمال التهيئة والإعداد، ولهذا رفض أن يبدأ التنظيم بالثورة العلنية بعد حادثة البراق، لاقتناعه بأن الوقت لم يحن بعد.

وقد أشارت بعض المصادر إلى حدوث انقسام من أجل البدء بإعلان الثورة.. ولكن إبراهيم الشيخ خليل، أحد رفاق القسام نفى هذا الخبر وقال: «لم يحدث انشقاق على الاطلاق بين القائد الشهيد وإخوانه في عام ١٩٢٩ م، بل كان الوفاق على أتمه. والانشقاق بمفهومه لم يحدث لا في حياة القائد الشهيد ولا بعد استشهاده أيضاً، والسبب بسيط جداً، فإن القائد الشهيد كان يدعو إلى الجهاد على أساس ديني، والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع المظالم عن المواطنين. ومفهوم الجهاد على أسس دينية لا يوجد به إشكالات ولا تعقيدات ايدلوجية أو نفسية، ولا أعماق ولا أبعاد، وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة.. كان هناك شعار واحد تنطوي تحته كل مفاهيم الثورة: «هذا جهاد.. نصر أو استشهاد».. والذي حدث بالفعل كان خلافاً بسيطاً على توقيت إعلان الثورة»[٣١].

وبعد العمليات العسكرية التجريبية التي قامت بها عصبة القسام، والتي أدت إلى كشف مخططاتها وأهدافها العسكرية بعد حادثة نهلال في أواخر عام ١٩٣٢ م، تم إيقاف نشاط العصبة إلى أن يتم تجاوز حالة الاستنفار لدى المخابرات البريطانية واليهودية، واستمرت حالة التجميد هذه حتى قرب نهاية عام ١٩٣٥ م.

ولكن الظروف الصعبة التي أخذت تمر بها البلاد في تلك الأعوام، دفعت الشيخ القسام للعودة إلى العمل.. فقد دخل إلى فلسطين خلال عام ١٩٣٤ م

وما قبله حوالي «٤٢» ألف يهودي، بإشراف الحكومة ومباركتها. . هذا عدا الذين دخلوا بهجرة غير شرعية، وامتلك اليهود مع بداية العام نفسه «٦٢» ألف دونم من أراضي فلسطين تسربت إليهم عن طريق الحكومة والسماسرة، مما أدى إلى المزيد من تشريد عدد كبير من الفلاحين وتهديد آخرين بقرب تشريدهم.

وقبل نهاية ١٩٣٥ م كتب «واكهوب» إلى وزارة المستعمرات يقول: «إن خمس القرويين قد أصبحوا بالفعل دون أراضي يمتلكونها، كما أن عدد العمال العاطلين في المدن آخذ في الازدياد، وأن الاستياء من الحكومة أخذ يتصاعد يوماً بعد يوم»[٣٢]. وبالاضافة إلى ذلك لم تكن هنالك أية تطورات تدعو إلى الأمل فقد ضرب مجموع المهاجرين اليهود عام ١٩٣٥ م رقماً قياسياً مقداره «٦٠» ألف مهاجر، كما أن زيادة عدد العاطلين عن العمل حمل واكهوب على استنتاج أن هذا الرقم «يتجاوز الطاقة الاستيعابية للبلاد». ثم إن الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكري السافر، ومهاجمة الفاشيين اليهود من أتباع جابوتنسكي للقرى العربية أثار غضب الرأي العام العربي. . وجاء اكتشاف شحنة كبيرة من الأسلحة المهرّبة لليهود مؤيداً لأسوأ المخاوف التي يعانيها أبناء فلسطين، ولما لم يكن هنالك أمل بأن تستجيب الحكومة لمطالب العرب بشأن الهجرة وبيع الأراضي والحكومة الذاتية البرلمانية، أصبح من الواضح أن البديل الوحيد الذي بقي أمام العرب للحيلولة دون إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو اللجوء إلى الثورة المسلحة.

إن توالي الأحداث في عام ١٩٣٥ م أجبر القسام وأتباعه المجاهدين على البدء بالإعداد لثورة مسلحة ضد الانجليز والصهاينة. . ففي بداية ذلك العام أعاد القسام اتصاله بأتباعه في صفورية والمنطقة الشمالية، وأرسل إليهم بعض البنادق وعدداً من القنابل، وأوعز إلى المجاهدين هناك بالانتظار إلى أن تصل أوامر أخرى بتنفيذ العمل. وحين حضر القسام مؤتمر علماء فلسطين المنعقد في شهر كانون الثاني ١٩٣٥ م، ناقش في لقاء سري مع عدد من العلماء ومنهم المفتي ضرورة تنفيذ أعمال مسلحة ضد اليهود والانجليز، وقد عارض جميعهم مقترحاته ما عدا المفتي[٣٣].

الدوافع الأساسية لخروج القسام وإعلان الثورة:

يمكن تلخيص الأسباب التي دفعت القسام إلى الخروج والتعجيل بإعلان الثورة بما يلي:

١ ـ ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين واتساع مساحة الأراضي التي استولى عليها اليهود. وعدم استجابة الحكومة البريطانية لمطالب العرب بوقف عملية الهجرة وبيع الأراضي.

٢ ـ خشية القسام من اعتقاله واعتقال النخبة التي يعتمد عليها من إخوانه، بعد أن رأى شدة مراقبة الانجليز له ومتابعة تحركاته.. يقول إبراهيم الشيخ خليل ـ وهو أحد مجاهدي العصبة ـ مؤكداً هذا السبب:

«في أوائل عام ١٩٣٥ م رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة، وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من إخوانه ويفسد جميع مخططات الثورة قبل أن تظهر للمواطنين، وكان يرى الخروج إلى الجبال والطواف بالقرى، وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة»[٣٤].

وقد أكّد هذا الرأي عدد من أتباع القسام ومنهم حسن شبلاق وغيره، وذكروا أن الحركة كانت في وضع حرج وكانت معرضة لضربة من الانجليز، وأن إحساس القسام بهذا الأمر دفعه لاتخاذ قرار الخروج.

٣ ـ تهريب الأسلحة لليهود: وكان هذا من أشد العوامل التي دفعت القسام إلى إعلان الثورة.. فقد تم اكتشاف عملية تهريب ضخمة للأسلحة الحديثة مرسلة لليهود عن طريق ميناء يافا، بتاريخ ١٦/١٠/١٩٣٥ م، وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن هذا الحادث من أقوى الدوافع لثورة القسام. وقد صرّح بهذا المجاهد القسامي عربي البدوي وذكر أن القسام قال بعد اكتشاف الأسلحة المهربة: «إذا لم نهاجم اليهود فإنهم سوف يهاجموننا»[٣٥].

وتم اكتشاف عملية التهريب هذه عندما رست السفينة «ليوبولد الثاني» في

ميناء يافا في ١٦ أكتوبر ١٩٣٥ م، والتي كانت تحمل بضاعة قيل أنها «٥٣٧» برميلاً من الاسمنت، لم تكن في حقيقتها سوى إحدى الوسائل التي استعملها اليهود لتهريب السلاح إلى فلسطين. وتبين أثناء إنزال الاسمنت المرسل من بلجيكا إلى المدعو «أ. كاتان» من تل أبيب، أن البراميل تحوى كمية قليلة من الاسمنت تشكل غطاء تمويهياً لآلاف المسدسات والبنادق، وعشرات الرشاشات والكميات الهائلة من الرصاص.. فعندما انكسر أحد البراميل نتيجة لوقوعه على الأرض لوحظ أن محتواه هو السلاح وليس الاسمنت، فقامت إدارة الميناء بإعادة الكمية التي كانت قد وضعت في المخازن تمهيداً لتسليمها لكاتان، وأجرت عملية تفتيش تبين بعدها أن «٣٥٩» برميلاً من أصل «٥٣٧» تحتوي أسلحة وذخيرة. وقدّر عدد البراميل التي وصلت ميناء يافا قبل هذه الحادثة وبحجة احتوائها على الاسمنت بـ «١٦٦٦» برميلاً[٣٦]. وبهذا فإن كميات هائلة من الأسلحة لليهود دخلت البلاد دون أن يشعر بها أحد.

وكان قد تمّ اكتشاف طريقة أخرى في عام ١٩٣٠ م استعملها اليهود لتهريب الأسلحة، وهي إرسال الأسلحة في صناديق حديدية لحفظ الأموال، ووصلت هذه الصناديق إلى ميناء حيفا، وحين فتحت وجد بها مئات البنادق وآلاف الخراطيش. وبعد أن قامت السلطات البريطانية باعتقال اليهودي المرسلة باسمه وموظف الجمارك الضالع بعملية التهريب، عادت وأطلقت سراحهما ثم أقفلت الملف.

وفي عام ١٩٣١ م قامت السلطات البريطانية بتسليح المستعمرات اليهودية وأباحت لسكانها التمرين على السلاح، وحين عقد في نابلس مؤتمر لمعالجة تسليح اليهود، قبضت الحكومة على بعض المشاركين في المؤتمر، وحظرت على الصحف ذكر كلمة سلاح أو تسليح مما اضطر الأهالي إلى الإضراب أسبوعاً[٣٧].

ولقد أحدث انكشاف أمر براميل الاسمنت دوياً هائلاً في فلسطين من أقصاها إلى أقصاها، ودعا الحاج أمين الحسيني الأحزاب الفلسطينية إلى الائتلاف ومواجهة هذا الوضع الخطير على مستقبل البلاد، وفعلاً تشكلت لجنة موحدة للأحزاب في ١٩٣٥/١٠/٢١، ضمت رؤساء الأحزاب، وقابلت

المندوب السامي وطالبته بسحب الأسلحة من المستوطنات اليهودية، ومواصلة التحقيق للقبض على المهربين وشركائهم، واتخاذ التدابير اللازمة لمنع إدخال السلاح في المستقبل، وإنشاء حاميات عربية لحراسة السواحل. أما اليهود فقد شنوا حملة صحافية على هذه المطالب، وطلبوا من الحكومة وضع حدّ للتحرك العربي الجديد.

وانتظرت لجنة الأحزاب رد المندوب السامي على طلباتها، وشعرت بالحرج أمام الجماهير، ولما تأخر الرد طالبت بالسماح لها بإعلان الإضراب في فلسطين في ٢٦/١٠/١٩٣٥، ولكن المندوب رفض الطلب، فزادت حراجة موقفها أمام الجماهير، وعاد الخلاف بينها إلى سابق عهده.

٤ ـ وصول الوضع العام في فلسطين إلى حالة يرثى لها بسبب الخلافات والمهاترات التي أثارتها الأحزاب، وخاصة كتلة المعارضة.

جولة الشيخ القسام قبل الخروج:

في أواخر عام ١٩٣٥ م قام الشيخ عز الدين القسام بجولة في عدد من المناطق ليختار أماكن في جبالها وغاباتها تصلح قواعد جديدة للانطلاق منها إلى القرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة.. وزار الشيخ في تلك الجولة بعض القرى كان من بينها: قرية المزار حيث التقى بالشيخ فرحان السعدي، وقرية يعبد وكان يرافقه المجاهد معروف الحاج جابر. وزار قرية صانور والتقى فيها بالمجاهد كامل الحاج حسين، وبالشيخ الجليل موسى السيد.. وفي مقابلة أجريتها مع الأستاذ طاهر أحمد حسين في صيف ١٩٨٦ م أخبرني فيها أن المجاهد كامل الحاج حسين اتصل بالشيخ القسام في أواخر عام ١٩٣٥ م وعرض عليه أن يجعل من صانور قاعدة له وأن يبدأ الثورة ضد الانجليز من جبالها، وأن الشيخ القسام عندما زار المنطقة لم يجد فيها الأحراش الكثيفة الكافية التي تمكن المجاهدين من الاختفاء فيها، لتحميهم من طائرات العدو.. وفي مقابلة أخرى أجريتها مع الشيخ فريز جرار في صيف ١٩٨٦ م أيضاً، أخبرني فيها أن الشيخ القسام عندما زار صانور في أواخر عام ١٩٣٥ م

التقى بالشيخ الجليل موسى السيد وتباحث معه في موضوع تدريب المجاهدين والثورة ضد الانجليز.

وقيل أن القسام أرسل إلى الحاج أمين يستشيره في خروجه وإعلان الثورة وأن الحاج أمين نصحه بالتريث حتى يكتمل الإعداد.. وذكر صبحي ياسين أن الشخص الذي أرسله القسام لمقابلة المفتي وإعلامه عن عزمه القيام بالثورة قبل قيامها بأشهر هو «محمود سالم»، وقد اتصل بالمفتي بواسطة الشيخ موسى العزراوي ـ أحد أعوان المفتي ـ وأعلمه عن رغبة القسام وهي أن يشرع الحاج أمين في الإعداد للثورة في جنوب البلاد بينما يعدّ هو العدة للثورة في شمالها، فكان جواب المفتي بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل(٣٨).

قرار الخروج للجهاد:

بعد حادثة تهريب الأسلحة في ميناء يافا، وما لحقها من غضب جماهيري عمّ جميع أنحاء فلسطين، وجد الشيخ القسام الفرصة ملائمة لإعلان الثورة ضد الانجليز، ورأى ضرورة عدم فقدان هذه الفرصة وأنّه يجب القيام فوراً لزعزعة الانجليز واليهود سوية. فابتدأ بتهيئة أهل بيته وزوجته لخروجه، «فكان يقول لزوجته كلاماً يهيئها به لتلقي الصدمة إذا بلغها خبر مصرعه، واستلف منها كل ما كان معها من مال ومصاغ وحلي واشترى به سلاحاً»(٣٩). ثم بدأ يتصل بأتباعه من المجاهدين ويتحدث معهم بشأن قراره إعلان الثورة.. يقول عربي البدوي(٤٠): «قبل الخروج كنا لمدة أسبوع نتباحث، ونجتمع في بيوت متفرقة، وأخيراً قرّرنا الخروج». وأرسل القسام حسن الباير إلى «أبو ابراهيم الكبير» ليستشيره في الأمر، وكان أبو إبراهيم قد خرج من السجن، بعد أن أمضى فترة في المعتقل بسبب حادثة نهلال، ثم التقى به في حيفا، وقال أبو إبراهيم للشيخ القسام: إننا بما في أيدينا لا نستطيع الوقوف في وجه الانجليز، فعلينا الاستمرار في عملنا كما هو الآن ـ أي الاستمرار بالغارات ليلاً والعمل نهاراً ـ فقال القسام: إنما نريد أن نتسلح ونخرج إلى القرى، كي نحثها ونحضها على الجهاد. وبعد مشاورات ومداولات في الأمر وافق أبو إبراهيم ووافق الجميع على الخروج.

وكـان من أفراد المجمـوعة الـذين قرّروا الخـروج للجهاد: محمـد أبو قـاسم خلف، الذي باع في الخامس من تشرين الثاني (٥/١١/١٩٣٥ م) كل أغراضه وأعلن أنه سيذهب للموت في سبيل الله، وعطيفة أحمـد المصري الذي كـان قد اشترى لزوجته أساور من ذهب بنحو «٨٠» جنيهاً مما اقتصده من ميـاومته، فلما دعـاه داعي الجهاد لبى وأخـذ الأساور من يـدي زوجته وبـاعها واشـترى بثمنها بضع بنادق له ولإخوانه المجاهـدين وترك زوجتـه حامـلاً[٤١]. . وهو الـذي كان قبل تعرّفه بالقسام من المنحرفين بتعاطي المخدرات وتهريبها.

ولاستكـمال لوازم الثـورة وشراء الأسلحة، يقـول عربي البـدوي أن القسـام أرسل رسالة إلى الحاج أمين الحسيني بواسـطة محمود سـالم المخزومي قـال فيها: «الأمور لا تطاق، واليهود يتسلحون. وقد أصبح الجهاد فرض وإعلانه فـرض، وأنـا سأقـوم بإعـلان الجهاد، وأنت عليـك كرئيس للمجلس الإسـلامي الأعلى وحسب إمكـانياتـك وميـزانيـة الأوقـاف أن تمـدّنـا بثمن الأسلحـة». . ويضيـف البدوي إلى كلامه أن الحاج أمـين أرسل مبلغـاً من المال للقسـام، دون أن يبادر إلى إعلان الثورة في منطقة الوسط حيث كان نفوذه القوي.

وبعد هذه الاستعدادات، استقال القسام من رئاسـة جمعية الشبـان المسلمين بحيفـا، ودعا قـادة حركتـه وعقد معهم آخـر اجتماع في مـدينة حيفـا، وتدارس معهم الموقف. . وكان قرار بدء الثورة، وتبعه الأمر القيادي الأول:

«ليتوجّه كل إلى أهله، يستودعهم الله ويعاهدهم على اللقاء في الجنّـة». . ثم وقف للمرة الأخيرة خـطيباً في جـامع الاستقـلال، وخطب في جمـع من المصلين وفسّر لهم الآية الكريمة: ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخـراج الرسـول وهم بـدؤوكم أول مـرة. أتخشـونهم؟ فـالله أحق أن تخشـوه إن كنتم مؤمنـين﴾ (التوبة ١٣ ـ ١٤)، وكان في صوتـه تهدّج وحمـاسة، وفي نـبراته رنـين ألم ممض، وفي عينيه بريق من بأس وقوّة[٤٢].

ويقول يوسف الشايب الذي استمع إلى الخطاب أن آخر كلمات قالها القسام في خطبته: «أيها الناس: لقد علّمتكم أمور دينكم، حتى صار كل واحـد منكم عـالماً بهـا، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهـاد، ألا هـل بلّغت؟

اللهمّ فاشهد، فإلى الجهاد أيها المسلمون، إلى الجهاد أيها المسلمون»[٤٣] وما أن أنهى القسام خطابه حتى كان الحاضرون قد أجهشوا بالبكاء وأقبلوا على الشيخ يقبلون يديه ويعاهدونه على القتال في سبيل الله.

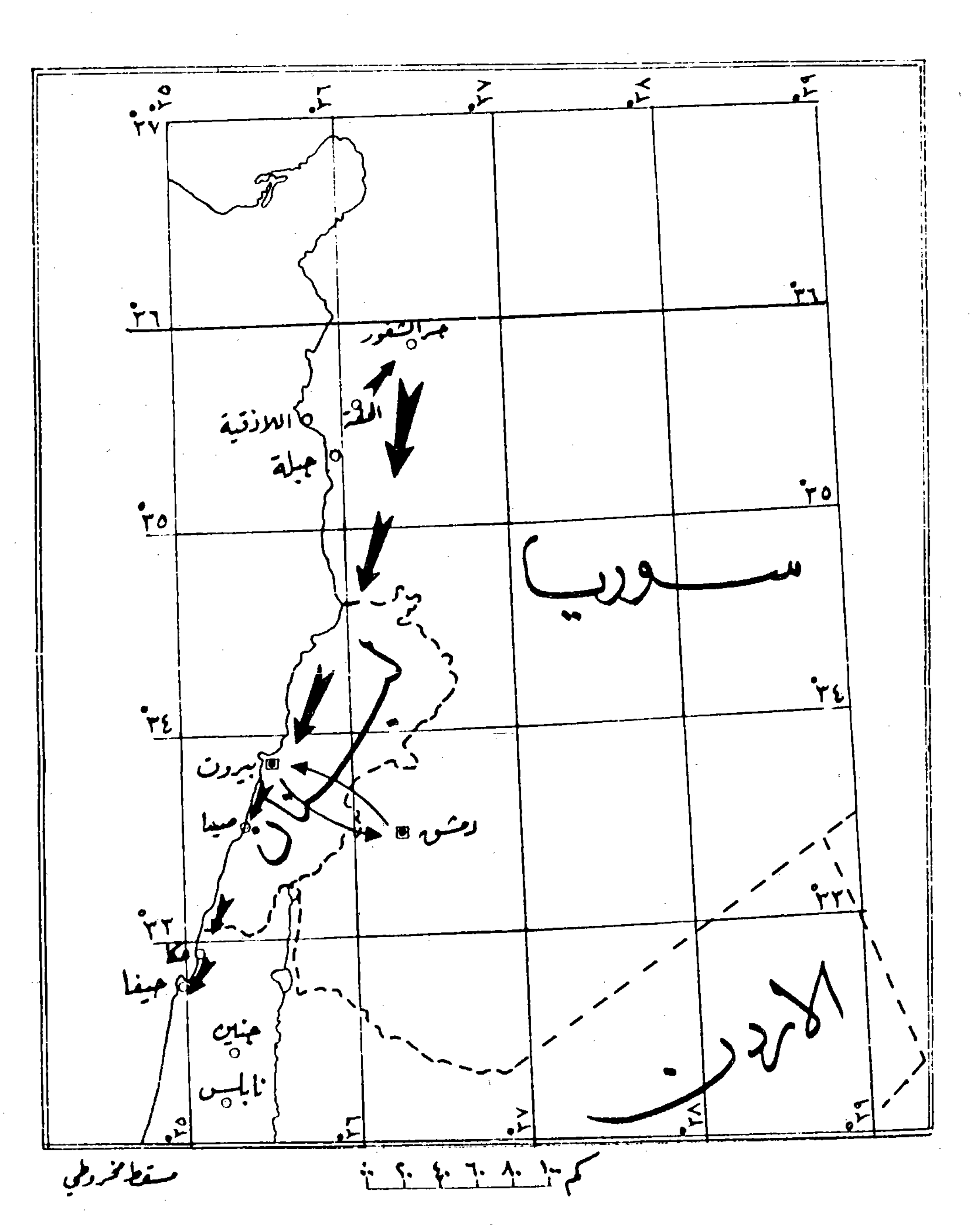
وبعد ساعة من إلقاء الخطبة أخذت السلطة تفتش عن الشيخ القسام للقبض عليه ومحاكمته، ولكنه كان قد ودّع أهله وإخوانه، وحمل بندقيته وذهب وصحبه إلى الجبال ليجاهدوا وليستشهدوا[٤٤].

ويؤكد الشايب خروج القسام بعد هذه الخطبة وأن سيارة كانت تنتظره خارج المسجد، وأنه لم يشاهده أحد في حيفا بعد ركوبه فيها.

وكان القسام قبل مغادرته حيفا قد كتب إلى أخيه وصديقه رشيد الحاج إبراهيم يقول: «إني واثق من نفسي، وإن صوتي سيجد صداه في كل مكان عند أوّل صيحة، ونستودعك الله، راجين من المولى تعالى أن يوفقنا في أعمالنا لتحرير الوطن»[٤٥].

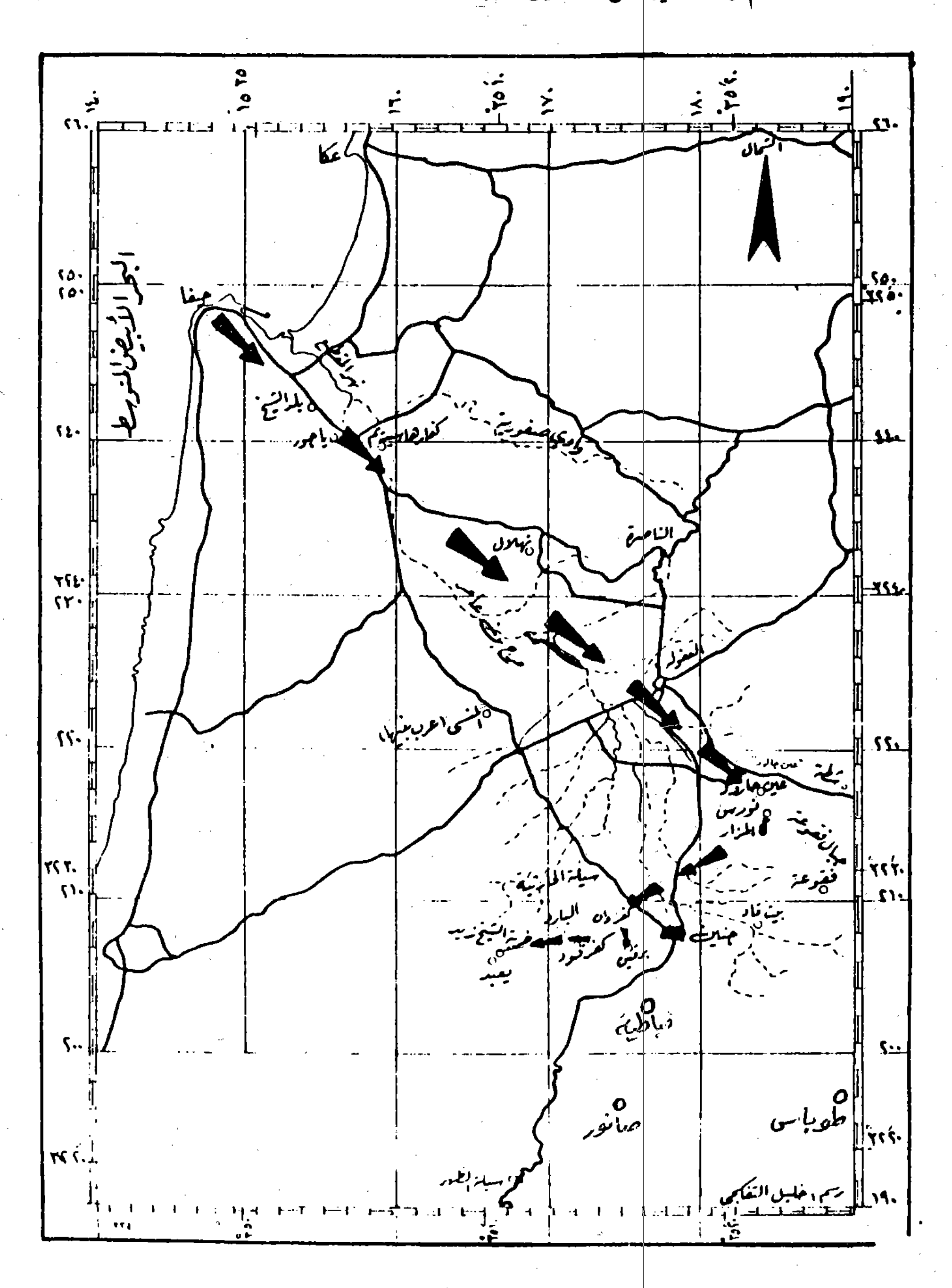
خارطة رقم (١)

خط سير القسام من سوريا إلى فلسطين ١٩٢٠[٤٦]



خارطة رقم (٢)

منطقة نشاط القسّام وخط سيره من حيفا إلى يعبد[٤٧]



(١) عبد العزيز السيد أحمد: كتاب «عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين»، ص ٢٢.
(٢) غالب العياشي: تاريخ سورية السياسي، ص ١٣٦.
(٣) يوسف الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص ١٨٣.
(٤) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٢٢.
(٥) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٢٠ ـ ٢١.
(٦) مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد ٦ عام ١٩٧٢ م، ص ١٨١.
(٧) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٤٧.
(٨) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٢٢.
(٩) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٤٧ ـ عن يوسف الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص ١٦٧.
(١٠) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٢٧.
(١١) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٢٨.
(١٢) عبد العزيز السيد أحمد: «عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين»، ص ٢٥.
(١٣) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٣٢٢.
(١٤) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ١٧٢٥، ٧ كانون الثاني ١٩٣٦ م.
(١٥) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٥١ ـ عن أمين سعيد في جريدة الجامعة الاسلامية في ٢٥/١١/١٩٣٥ م.
(١٦) عبد العزيز السيد أحمد: «عز الدين القسام رائد النضال»، ص ٢٥.
(١٧) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(١٨) إبراهيم الشيخ خليل: رسالة من مجاهد قديم ـ مجلة شؤون فلسطينية، ٧ آذار ١٩٧٢ م، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(١٩) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٣٢٤.. مقابلة مع حسن شبلاق في بيروت في ١٠ شباط ١٩٧٣ م.
(٢٠) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦.
(٢١) د. مصطفى السباعي: الاخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص ١٧.
(٢٢) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٥٤.

(٢٣) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٢٢٢.
(٢٤) عرفات حجازي: فلسطين ـ أرض البطولات، ص ٥٤.
(٢٥) سميح حمودة: الوعي والثورة ـ عن نمر الخطيب: أحداث النكبة.
(٢٦) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٩٣.
(٢٧) عجاج نويهض: رجال من فلسطين، ص ١١٣.
(٢٨) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ٩٨١، في ٢٩ كانون الأول ١٩٣٢ م.
(٢٩) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ٥٥٣، ٢٠ آذار ١٩٣١ م.
(٣٠) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٥٨ ـ عن صحيفة دافار، ملحق المساء في ١٩٣٥/١١/٢١ م.
(٣١) شؤون فلسطينية ـ العدد السابع، مارس ١٩٧٢ م، ص ٢٦٧.
(٣٢) د. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٩٤.
(٣٣) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٦٦.. عن الأرشيف الصهيوني، ملف «س ٤١٢٧/٢٥» ـ أخبار الدائرة العربية، تقارير من حيفا ١٩٣٥/١١/٢٥ م.
(٣٤) مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد السابع، ٧ آذار ١٩٧٢ م، ص ٢٦٧.
(٣٥) سميح حمودة: الوعي والثورة.. مقابلة شخصية أجراها السيد حمودة مع عربي البدوي في منزله بقرية قبلان قضاء نابلس، بتاريخ ١٩٨٤/٤/١ م.
(٣٦) د. كامل خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.
(٣٧) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٧.
(٣٨) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٢١ ـ ٢٢.
(٣٩) جريدة الأهرام ـ القاهرة، ١٩٣٥/١١/٢٣ م.
(٤٠) مقابلة أجراها سميح حمودة مع عربي البدوي في قبلان بتاريخ ١٩٨٤/٤/١ م.
(٤١) الرابطة العربية ـ العدد ٢٤، في ١٩٣٦/١١/٤ م.
(٤٢) الرابطة العربية ـ العدد ١٧، في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ م، ص ٢٤.
(٤٣) مقابلة أجراها سميح حمودة مع يوسف الشايب ـ عصيرة الشمالية، بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٤ م.
(٤٤) الرابطة العربية ـ العدد ١٧، في ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ م، ص ٢٤.
(٤٥) عجاج نويهض: رجال من فلسطين، ص ١١٤.
(٤٦) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٢٣٣.
(٤٧) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٢٣٤.



الفصل الرابع

معركة يعبد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ م

أسبابها ـ أحداثها ـ نتائجها ـ آثارها

ـ الطريق إلى يعبد.
ـ أحداث المعركة.
ـ نتائج المعركة.
ـ الحقائق التي تركتها المعركة في نفوس الناس.
ـ معركة يعبد في الصحف الفلسطينية:
  - وصف جريدة فلسطين لمعركة يعبد.
  - وصف جريدة الجامعة العربية لمعركة يعبد.
  - وصف جريدة الجامعة الإسلامية لمعركة يعبد.
ـ الآثار التي نتجت عن استشهاد القسام:
  - آثار في المحيط العربي.
  - آثار في المحيط الصهيوني والانجليزي.
ـ هوامش الفصل الرابع.



الفصل الرابع

معركة يعبد (٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ م)

الطريق إلى يعبد(*):

خرج الشيخ عز الدين القسام من حيفا ومعه مجموعة من المجاهدين، أكثرهم ينتمون إلى قرى تنتشر في منطقة جنين ومرج ابن عامر. ولم تتفق المصادر التاريخية على تحديد عددهم، لكن بعض الصحف الفلسطينية في تلك الفترة ذكرت أسماء عدد منهم، كما أن بعض المصادر التاريخية ذكرت مجموعة من تلك الأسماء، ومن بينها كتاب الباحثة التاريخية السيدة بيان الحوت «القيادات والمؤسسات السياسية»، وكتاب السيد سميح حمودة «الوعي والثورة»، وكتاب السيد شوقي أبو خليل «الإسلام وحركات التحرر العربية»..

ويمكن تحديد أسماء الذين ورد ذكرهم من الذين تركوا المدينة ورافقوا الشيخ بما يلي[1]:

١ ـ يوسف عبد الله الزيباوي ـ من قرية الزيب.
٢ ـ عطيفة أحمد المصري ـ من سكان حيفا.
٣ ـ محمد أبو القاسم خلف ـ من قرية حلحول.
٤ ـ نمر حسن السعدي ـ من شفا عمرو.
٥ ـ حسن الباير ـ من برقين.
٦ ـ أحمد الحاج عبد الرحمن ـ من عنبتا.
٧ ـ محمد اليوسف ـ من سولم.
٨ ـ أسعد مفلح الحسين ـ من أم الفحم.
٩ ـ محمود سالم ـ من زرعين.
١٠ ـ صالح أسعد ـ من صفورية.

١١ ـ داود خطاب ـ من الكبابير.
١٢ ـ معروف الحاج جابر ـ من يعبد.
١٣ ـ يوسف أبو دُرّه ـ من سيلة الحارثية.
١٤ ـ داود الشيخ أحمد ـ من بيتا.
١٥ ـ عربي البدوي ـ من قبلان.
١٦ ـ الحاج أحمد الخليل.

وقيل أن مجموعات أخرى من المجاهدين انتشرت في مناطق أخرى وخاصة المنطقة الشمالية من فلسطين، وأن بعض المجموعات بقيت في حيفا، وكان من بينهم محمد العيسى (أبو إبراهيم الكبير).

وكانت خطة القسام بعد الخروج أن يبدأ هؤلاء بالطواف في القرى لتجميع الرجال وتسليحهم، ثم بعد استكمال الاستعدادات يتم مهاجمة مدينة حيفا واحتلالها[٢]. ويذكر صبحي ياسين نقلاً عن مجموعة من إخوان القسام القياديين «بأن قيادتهم قرّرت أن تبدأ المعركة الأولى باحتلال حيفا أكبر ميناء فلسطيني، ومنطقة الصناعات البترولية، بقصد إحراز مكسب عسكري كبير يكون حافزاً للجماهير العربية للإلتحاق بالثورة منذ بدايتها، ثم لإرهاب السلطات البريطانية منذ الضربة الأولى، وإشعار الصهيونية بقوة الثورة.. ويقول بأنه جرى للخطة دراسة كاملة، وإحصاء لقوات بريطانيا وأسلحتها، فقدّروا أن باستطاعتهم الاحتفاظ بالمدينة لمدة ثلاثة أيام»[٣].

وتوجهت المجموعة بقيادة القسام إلى منطقة جنين التي تبعد عن حيفا نحو ٤٠ كيلومتراً، حيث ينتظرهم الشيخ فرحان السعدي في قرية نورس، وهناك أقاموا في مغارة تقع في إحدى جبال القرية.

وفي تلك الليالي وقع حادث مفاجىء كشف أمر الجماعة.. وقد وصف خليل محمد العيسى (أبو إبراهيم الكبير) ذلك الحادث بقوله: «في إحدى الليالي هاجم مجهولون إحدى المستعمرات، ومرّوا أثناء رجوعهم بالقرب من مركز الشيخ في «مغارة نورس»، وفي الصباح مرّت دورية من ثلاثة أشخاص: انجليزي ويهودي وعربي، مع كلب أثر، فما كان من محمود سالم إلا أن أطلق النار، فقتل

الشاويش اليهودي. وعندما سمع الشيخ إطلاق النار، استفسر عن السبب، فأخبر بما جرى، فنادى جماعته وقال لهم: لنرحل على الفور حتى لا نصطدم بالقوات البريطانية، ومنذ تلك اللحظة بدأت الجماعة مسيرتها، ولكن الجواسيس انتشروا في المكان، فما أن وصلت جماعة الشيخ إلى أحراش يعبد حتى كانت مطوقة»[٤].

وهناك رواية ثانية تقول أن الجماعة أعدّت كميناً للشاويش روزنفلد بتدبيرها عملية قطف الثمار من المزروعات التابعة للمستعمرة، وعندما وصل روزنفلد إلى الغارة، سقط في الكمين وتم اغتياله.

وورد في جريدة فلسطين في ١٠/١١/١٩٣٥ م أن إدارة الأمن العام أذاعت بياناً في ٩/١١/١٩٣٥ م ذكرت فيه أن هذا الحادث حصل يوم ٧/١١/١٩٣٥ م، وقال البيان أن روزنفلد مع اثنين من رجاله ذهبوا من مخفر «شطة» للتحقيق في حادث سرقة قطف ثمار من بساتين مستعمرة عين حارود، فتعقبوا الأثر إلى أن وصلوا إلى شرق المستعمرة، وعندما أرسل الشاويش روزنفلد أحد رجلي البوليس إلى جهة قريبة وأبقى الآخر معه، وذهب هذا للبحث عن رجل شاهده، وما كاد يبتعد حتى سمع عيارين ناريين ولما عاد مسرعاً وجد الشاويش طريحاً على الأرض وبه جرح قاتل.

وتبيّن حسب تحقيقات الشرطة التي أجريت بعد مقتل «روزنفلد» وجود الشيخ القسام ومحمود سالم وشخص ثالث في قرية زرعين أثناء عملية الاغتيال ـ وهي على مقربة من المغارة ـ حيث عقدوا اجتماعاً قرّروا فيه اغتيال شخصيات يهودية بينها «روزنفلد»، وكذلك مهاجمة «١٥» مستعمرة يهودية، وعندما سمع القسام حادث الاغتيال غضب لتلك الخطوة التي كانت متسرعة وتتناقض مع خطته..

وهناك روايات أخرى عن الحادث.. والذي نستطيع أن نستنتجه من مجموع الروايات هو أن قتل الشاويش اليهودي تم دون علم القسام ودون اطلاعه، ويبدو أن الذين هاجموا المستعمرة اليهودية وقطفوا من ثمارها هم مجموعة غير

مجموعة القسام، ومرّوا أثناء هروبهم قرب المغارة التي تمركزت فيها الجماعة، وعندما وصل البوليس إلى المكان حصل الصدام مع المجاهدين دون وجود القسام في الموقع ـ والأرجح أنه كان في زرعين ـ فتصرف أحد المجاهدين وهو «أحمد عبد الرحمن حسن» بناء على اجتهاده الخاص فأطلق النار على روزنفلد. فالقسام لم يكن قد مضى على خروجه سوى فترة قصيرة، وهذا يعني أن خطته بتجميع المجاهدين وتسليحهم استعداداً للثورة، لم تنفذ بعد.. وبالتالي فإن أي خطوة متسرعة تكشف مكان وجوده ومجموعته.

والأرجح أن المجهولين الذين ذكرهم أبو إبراهيم الكبير وغيره، كانوا من تنظيم شمال فلسطين الذي كان يقوده علي رضا النحوي بتوجيه من المفتي، وذلك كما ذكر الأستاذ الغوري في كتابه «فلسطين عبر ستين عاماً»، وعندما مرّ هؤلاء المجهولون بالمنطقة لم يكن لديهم علم بوجود الشيخ القسام وجماعته فيها.

كانت السلطات البريطانية تراقب تحركات الشيخ ورفاقه قبل خروجهم من حيفا، وقد خصصت لذلك عدداً من رجال البوليس السري، كان أبرزهم الضابط أحمد نايف.. وبعد مقتل روزنفلد اهتمت دائرة البوليس بالحادث اهتماماً بالغاً، فتوجه من القدس معظم ضباط البوليس إلى الشمال للتحقيق، وسافر بصفة خاصة «المستر رايس» مدير البوليس لهذه الغاية[٥]. ويبدو أن إدارة البوليس ربطت بين غياب القسام عن حيفا وبين الحادث، وقد كانت لديها شكوك حول علاقته بالعمليات المسلحة التي حدثت في أول الثلاثينات.

وقامت الشرطة بوضع حوافز مادية لتشجيع القرويين على الإدلاء بمعلومات للبوليس فوضع «المستر سبايسر» مفتش البوليس العام مكافأة مقدارها «٢٠٠» جنيه لأي شخص يقدّم أخباراً تؤدي إلى اعتقال قاتل أو قاتلي روزنفلد[٦]. ونشرت الشرطة خبراً أن المجموعة المطاردة في جبال جنين هي عصابة لصوص، وذلك لتضليل الناس والحصول على معلومات عن تحركها.

أما الجماعة المجاهدة فقد توجهت من كفردان إلى برقين ومنها إلى جبال قريتي البارد وكفرقود.. ويصف عربي البدوي ما حصل هناك فيقول[٧]: «أثناء النهار كنت حارساً على الجماعة في موقعة البارد، وكان الشيخ وبقية المجاهدين

يستريحون في مغارة، وبينما كنت أراقب الطريق، أتى رجل معه عصى طويلة في رأسها قطعة حديد يجرّ بها الأرض أثناء سيره، أوقفته وسألته ماذا يريد؟ وكان متجهاً نحو المغارة، فقال أنه حارس لمزروعات القرية. فأبلغت الشيخ القسام بالخبر فأمرني بتركه، فتركته.

وبعد برهة أدركت أنه جاسوس جاء يتجسس علينا ـ يبدو أن الرجل كان مقتنعاً بأن المطاردين عصابة لصوص ـ، وكان البوليس على الجبل المقابل لنا يتعقبوننا دون أن يعرفوا المكان بالتحديد.

أرسلوا عسكرياً كي نشتبك معه وينكشف مخبؤنا، فأمر الشيخ كلًا من معروف الحاج جابر، ومحمد أبو قاسم خلف، بالذهاب وأخذ بارودة العسكري، وحين اصطدموا معه، ابتدأت المعركة بينهم وبين باقي أفراد البوليس، وسمعنا إطلاق النار، فهيأنا أنفسنا وتوزعنا بانتظارهم. واستشهد أثناء المعركة محمد أبو قاسم خلف الحلحولي، واستطاع معروف الحاج جابر الانسحاب والعودة إلى حيفا..

أما كيف عرف البوليس أن الجماعة موجودة قرب كفرقود؟.. فقد راجت إشاعات حول عدد من الوشاة الذين غرّرت بهم دائرة البوليس، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم بعلاقة أحد ممن روّجت الإشاعات حول علاقتهم بالوشاية، ولكن من المؤكد أن نشاط وجهود أحمد نايف، وحليم بسطة واستخدامهم للكثيرين من البسطاء الذين لم يدركوا حقيقة وهوية الجماعة المطاردة هي التي ساعدت بالكشف السريع والمبكر عن القسام ورفاقه. وقد يكون في وثائق حكومة الانتداب ودائرة البوليس المحفوظة في لندن ما يساعد على معرفة الوشاة والجواسيس المتعاونين مع الانجليز..

يقول كوهين[٨]: «إن إخبارية وصلت للشرطة في السابع عشر من تشرين الثاني تفيد أن هناك حوالي «٣٠» مسلحاً يختبؤون في مغارة قرب قرية كفرقود بالقرب من جنين، فخرج من حيفا حوالي ٢٠٠ شرطي مسلح، نصفهم بقي في شرطة جنين قوة إحتياط، والباقي توجه إلى المكان. وحسب وصفه لتتابع

الأحداث فإن محمد أبو قاسم خلف كان مع اثنين آخرين من المجموعة نائمين في المغارة، بينما نجح «٢٥» واحداً منهم بالتمركز في مواقع خلف الزيتون، حين عرفوا بوجود البوليس في المكان.

وحين سمعوا إطلاق النار فرّ الاثنان الموجودان مع «أبو قاسم خلف» ولحقا بالبقية، بينما تأخر محمد إلى أن استيقظ، ولم يجد مفراً، فوجه بندقيته حالاً نحو الشرطة وأطلق عدة طلقات، فأطلق عليه شرطي بريطاني النار من مسدسه وأرداه قتيلاً. ثم بدأ بعدها سماع طلقات من طرف الجماعة على الشرطة. فأصدر الضابط الانجليزي «هاوس» الذي كان قائداً للفرقة، أصدر أمراً بعدم إطلاق النار تخوفاً من وقوع كارثة بين أفراد الشرطة لأن الظلام قد حلّ وأصبح هناك خطر بأن يطلق أفراد الشرطة النار على بعضهم ولم يكن معهم فتّاش يضيء المنطقة حولهم».

بيان دائرة البوليس.. وتضليل الرأي العام:

اهتمت دائرة البوليس كثيراً بتضليل الرأي العام في فلسطين، وتأثّر الناس بهذا التضليل، وأنّ المطاردين هم عصابة لصوص حتى بعد استشهاد محمد أبو قاسم خلف، فنشرت صحيفة فلسطين التي كانت تصدر في يافا بياناً حول مقتله من دائرة البوليس جاء فيه:

«إن دائرة البوليس علمت بوجود «عصابة أشقياء!!» بين نابلس وجنين، وهي تظهر بأسلحتها الكاملة وتهدّد الأمن العام، فأرسلت قوة من البوليس بعد ظهر أمس (١٧/١١/١٩٣٥ م) وعلى رأسها المستر هاوس، وأخذت تقوم بالتحري عن العصابة. وفي سفح جبل واقع على بعد «٨» كيلومتر عن جنين عثرت على آثار لأفرادها فتابعت السير حتى وصلت إلى كهف في الجبل فرأت واحداً يخرج منه ويطلق النار من بندقيته عليها، فقابلته بالمثل وقتلته، ثم تقدّمت القوة إلى داخل الكهف فلم تجد فيه أحداً. ولكنها عثرت على بقايا طعام وآثار واضحة تدل على أنه كان هناك عدة أشخاص سكنوه حديثاً»[٩].

ويتابع المجاهد عربي البدوي كلامه عن خط سير الجماعة بعد حادثة كفرقود

فيقول:

في الثامن عشر من تشرين الثاني كان القسام يقود جماعته بعد أن انسحبوا أثناء الليل من جبال كفرقود، وكانت وجهته خربة الشيخ زيد قرب يعبد حيث الشيخ سعيد الحسان وهو أحد أفراد جماعة المجاهدين. وفي الطريق لاحظ عربي البدوي متابعة الجواسيس لخطواتهم، فطلب من القسام التريث قليلاً لأخذ قسط من الراحة ولبحث مشكلة الجواسيس.. يقول عربي: كان القسام يحترم أفكاري رغم صغر سني. أخبرت الجماعة عن ملاحظتي وأن هذه القرى مليئة بمن يتعقبون آثارنا، واقترحت أن ننقسم إلى قسمين، قسم يتجه إلى الشمال ويعود إلى حيفا والناصرة، يقوم أثناء سيره بتخريب سكك الحديد وقطع خطوط الهاتف التابعة للانجليز واليهود، ثم يذهبون إلى نورس حيث الشيخ فرحان السعدي ويأتون به لملاقاتنا في الوادي الأحمر بين نابلس والغور، وهناك نملك حرية أكثر وتخف ملاحقة الجواسيس لنا. فأعجبت الفكرة الشيخ القسام وطلب الانقسام إلى مجموعتين: ذهبت الأولى إلى الشمال وهي مكونة من عشرة أفراد، ويدلهم على الطريق الشيخ داود الخطاب وأذكر منهم: الشيخ أحمد من بيتا، يوسف أبو درة، محمود سالم، صالح أسعد، وداود خطاب..

أمّا الباقون فهم: الشيخ القسام، حسن الباير، عربي البدوي، أحمد عبد الرحمن جابر، محمد يوسف، نمر السعدي، عطيفة المصري، أسعد المفلح، ويوسف الزيباوي، فقد توجهنا نحو الغرب إلى يعبد، وفي الطريق نفذ الماء وكانت أحمالنا ثقيلة، فكل رجل منا يحمل بندقية، و «٦٠» مشط فشك، وحربة «صنعها الشيخ القسام عند أحد الحدادين وكانت على طريقة الصحابة للاقتداء بهم»، بالإضافة إلى الأغطية وأدوات السفر الأخرى والطعام.

وفي الليل أرهقنا التعب والعطش فطلبت من الشيخ أن نستريح لنشرب فقال لا يوجد لدينا ماء، ولن نستطيع أن نشرب، فأصررت على أن نرتاح ونشرب فكرّر الشيخ سؤاله: ومن أين نشرب؟.. وكان الشيخ حسن الباير يعرف المنطقة شبراً شبراً، وقال للقسام لا يوجد هنا ماء، وأقرب منبع للماء يبعد عنا حوالي «١٠» كيلومتر. رغم هذا أمرنا الشيخ بالراحة وأرسل معي اثنين

حملوا أوعية ماء وقال لهم الحقوا به، فسرت أمامهم دون أن أدري أين أنا سائر ولم نكد نقطع مسافة ستين متراً حتى أتينا صخرة وإذ بها حفرة «معصرة» حجمها متر مربع مليئة بالماء فشربنا وملأنا الأوعية ورجعنا، فشرب إخواننا واسترحنا، ثم واصلنا السير حتى وصلنا خربة الشيخ زيد.

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني أصبحت تحركات الجماعة تلاقي صعوبة شديدة، فالمعلومات التي حصل عليها البوليس الانجليزي نتيجة للتحقيقات المكثفة أصبحت تساعد أكثر فأكثر على تحديد مكان الجماعة، وعدد أفرادها وأسمائهم وأسلحتهم. وقد ابتدأت التحقيقات من قرية فقوعة المحطة الأولى التي ابتدأ القسام رحلته منها، فاستدعى البوليس في ١٨/١١/١٩٣٥ م ثمانية أشخاص من القرية وحقق معهم في شأن المجاهدين، ووصل إلى جنين عدد كبير من رجال التحقيق وانبثوا بين القرى وبين الناس ومعهم عدد من الضباط ليسترقوا الأخبار عن المجاهدين، وكان كل واحد منهم يلبس زيّاً خاصاً كعامل أو فلاح أو زبّال.. ونحوه، ووصف مراسل صحيفة فلسطين في جنين، قضاء المدينة بقوله[١١]: إنه أصبح ساحة حرب لكثرة استعدادات البوليس وازدياد عدد رجاله من رسميين وسريين.

وفي نفس اليوم شيعت مدينة جنين الشهيد محمد أبو قاسم خلف الحلحولي، وكانت الشرطة قد أبقت جثته مكانها بعد استشهاده يوماً كاملاً إلى أن تمّ تشخيصها. وقد سار في الجنازة عدد كبير من تجار ووجهاء وشباب مدينة جنين وقضائها، وأظهر المشيعون تعاطفاً مع الشهيد رغم أنه لم يكن معروفاً وقتها أن المطاردين هم جماعة مجاهدة وليست عصابة لصوص، وكان للأقوال التي انطلقت من أفواه الناس دلالتها بشأن احترام الخارجين على قانون الانتداب والمتحدّين له بقوة السلاح.

أحداث المعركة:

وصل الشيخ القسام وجماعته خربة الشيخ زيد في التاسع عشر من تشرين الثاني، ونزلوا في بيت الشيخ سعيد الحسان حتى صبيحة الأربعاء

١٩٣٥/١١/٢٠ م . . وكانت قد وصلت معلومات لدائرة بوليس نابلس تفيد أن أفراد الجماعة موجودون في أحراش يعبد . . وقامت الصيحة عند الأعداء، فإن أخوف ما يخافه الانجليز واليهود هو عودة الأمة إلى عقيدة الجهاد . . وجرّد الانجليز عليهم قوات كثيفة جمعوها من حيفا ونابلس والناصرة وبيسان وطولكرم، ووصلت القوات إلى المنطقة القريبة من يعبد[١١]، وطوقت قرية الشيخ زيد والطرْم عند الفجر، وقامت بتفتيش المنطقة بحثاً عن المجاهدين، وكان المجاهدون قد انتقلوا بعد صلاة الفجر إلى الأحراج . . وقامت جماعة القسام بإطلاق النار باتجاه فصيل الشرطة، وكان ظن الشيخ أنه فصيل منفرد، ولكن تبيّن أنه فصيل متقدّم لكشف الطريق أمام قوة هائلة من الشرطة، ومع بداية إطلاق النار استطاعت الشرطة تحديد موقع إطلاق النار، فقامت بمحاصرة المكان . .

وفي الساعة السادسة صباحاً تجوّل الكابتن «رايس» ـ نائب مدير الشرطة ـ مع أحد أفراد المخابرات في الشمال فوق المنطقة داخل طائرة، وأعطوا الإشارات حول مكان المجاهدين. وقدّرت بعض مصادر الحكومة عدد أفراد البوليس المهاجمين بـ «١٥٠» فرداً من الشرطة الانجليز والعرب بالإضافة إلى قوة الاحتياط التي بقيت في نابلس وجنين، وكان هناك عشرة من أفراد الشرطة بقوا في مكان قريب من موقع المعركة لحراسة الشارع[١٢].

وبدأت المعركة، ووزع القائد رجاله في مواقع حصينة وسط الصخور العالية والأشجار الكثيفة بحيث يسهل عليهم الدفاع. وكان في مقابل كل بطل منهم ما يزيد على الأربعين من جنود العدو. واحتدم القتال، والرصاص ينهال عليهم من كل صوب، والمجاهدون صامدون كالنسور في مواقعهم، يقاومون بضراوة وإيمان، مع ما بأيديهم من سلاح وعتاد محدود . .

وحين عرف الشيخ القسام أن أفراد الشرطة يقتربون من مواقعهم أعطى لأتباعه أمراً بعدم إطلاق النار بأي شكل من الأشكال على أفراد الشرطة العرب بل إطلاق النار باتجاه الانجليز. وكان الضباط الانجليز قد وضعوا البوليس العربي في ثلاثة مواقع أمامية، ولم يكن هؤلاء يعرفون حقيقة الجهة التي أُحضروا

إليها[١٣]، وحقيقة الجماعة التي يطاردونها.

واتخذت المعركة بين الطرفين شكل عراك متنقل، وساعدت كثافة الأشجار على تنقل أفراد الجماعة من موقع إلى آخر، واستمرت إلى ما قبل العصر بقليل، وكان الشيخ القسام من الفعالين في القتال، فقد حارب ببندقيّة ومسدس بالتناوب، في الوقت الذي كانت شفتاه تلهج بالدعاء..

لقد ثبت المجاهدون، وأبوا الفرار وكانوا يستطيعونه.. وبدت أمامهم فرصة للنجاة، عندما ناداهم الضابط البريطاني:

ـ استسلموا تنجوا..

ـ ولكن الشيخ صرخ في وجهه: لا.. لن نستسلم، هذا جهاد في سبيل الله. ثم التفت إلى أصحابه وهتف بهم: موتوا شهداء..

فردّد الجميع، وردّدت سفوح الجبال من حولهم النداء: لبيك يا فلسطين.. لبيك يا فلسطين.. جئناك مستشهدين.. الله أكبر. الله أكبر[١٤]..

وكانت معركة رهيبة بين المجاهدين والبريطانيين، صمد فيها رجال القسام، وقاتل شيخهم قتال الأبطال، وظلّ يكافح حتى خرَّ صريعاً في ميدان الجهاد.. شهيداً كريماً في سبيل إعلاء كلمة الله فوق أرض فلسطين.. استشهد وهو يقول:

في الجُبْن عارٌ وفي الإقبال مكرمةٌ
والمرءُ بالجُبن لا ينجو من القَدَرِ

واستشهد في المعركة بعض إخوان القسام، وجُرح آخرون منهم وتمّ أسرهم..

ويصف المجاهد عربي البدوي أحداث المعركة في المقابلة التي أجراها معه السيد سميح حمودة ـ والتي مرّ ذكرها ـ فيقول:

«كان يوم أربعاء وكنت أقف خفيراً على طرف الحرش، حرش يعبد قرب خربة الشيخ زيد، ورفاقي داخل الغابة، الشيخ عز الدين وعصبته.. ومع

طلوع الشمس رأيتهم يهجمون علينا وهم على ظهور الخيل ويتصايحون «عليهم.. عليهم»، أوعزت لرفاقي بأن يتوزعوا ويأخذوا أماكنهم، وبدأتهم بالرصاص، فجعلوا يتركون الخيل ويأخذون مواقع لهم على بطونهم خلف الحجارة والرجوم من أكوام الحجارة..

وابتدأت المعركة، والمعركة غير متكافئة.. نحن تسعة وهم جعلوا يتوافدون عشرات، عشرات إلى أن اكتمل عددهم من مايتين إلى أربعماية، معظمهم يحمل شارة بندقيتين على ذراعه وهذا يعني أنه قنّاص لا يخطىء. مكثت مدة تزيد على عشرين دقيقة أو نصف ساعة وأنا أطلق الرصاص واقفاً بطول قامتي لا يحجبني عنهم حجر أو سلسال أو شجرة، والمسافة بيني وبينهم لا تزيد عن خمسين متراً، أقف هدفاً لمئات البنادق من بنادق الصيادين، وعبثاً حاولوا أن يقتلوني أو يصيبوني برصاصة واحدة.. الرصاص ينهمر ويزأر ويصفر ويرن حول أذني وفوق رأسي وحول جسمي، بين أرجلي ومن تحت إبطي وحول عنقي، تماماً لو هاجت عليّ مئات الخلايا من النحل الهائج في يوم شديد الحرارة، لم أُصب ولم أجرح!! ولم أُقتل!! لأنه ليس مكتوب لي أو مقدّر علي أن أموت في ذلك اليوم أو على وجه تلك الأرض، وأخيراً انتبه الشيخ رحمه الله، وصاح بأعلى صوته: خذ الأرض، لن تموت شهيداً إذا متّ على هذه الحالة، أنت منتحر إذا لم تأخذ الأرض.

لقد كنت فعلاً أتمنى الشهادة وأحاول عبثاً الحصول عليها. فلم ينطل الأمر على الشيخ وهو أخبر من غيره بشروط الشهادة ووسائل الحصول عليها. تلقينا أمراً بالانسحاب والتوغل داخل الغابة، وجرح الشيخ أسعد المفلح من أم الفحم، حاولت حمله فرفض الشيخ قائلاً: أتركه واعتن بنفسك. وفي داخل الغابة وجدنا صخوراً تصلح لأن تكون استحكامات قويّة. ضيّقوا علينا الخناق وأحكموا نطاق الطوق إلا من جهة واحدة، جهة الشمال وكانت مكشوفة، والانسحاب منها معروفة نتائجه، فقرّرنا المقاومة حتى مجيء الظلام.

ويصف عربي البدوي مقتل الشرطي الانجليزي «ر. س. موت» وجرح رفيقه «فرانك ريدر»، بعد أن حاول الوصول لمكان الجماعة والاقتراب أكثر من

ذي قبل. ويقول أنه بعد مقتل «موت» استشهد الشيخ القسام فالزيباوي وعطيفة المصري وجرح نمر السعدي جروحاً بليغة. ثم سلّم الباقون أنفسهم وهم: حسن الباير، عربي البدوي، أحمد عبد الرحمن جابر، ومحمد يوسف، بعد أن وجدوا أنه لا مجال للمقاومة، وكان الوقت قبل العصر بقليل». أما البيان الرسمي للحكومة فقد ذكر أن المعركة انتهت الساعة العاشرة.

ولا بد هنا أن نفتقد المجاهد الشيخ فرحان السعدي في هذه المعركة.. فقد علمت من ابنه عبد الله السعدي في مقابلة أجريتها معه بمدينة عمان في صيف ١٩٨٦ م، علمت أن الشيخ القسام قبل أن يغادر مغارة نورس ويتجه إلى أحراش يعبد، كان قد أرسل الشيخ فرحان إلى نهر الشريعة ليحضر أسلحة من شرقي الأردن. وبعد إحضار السلاح وعودته إلى أحراش يعبد، علم باستشهاد الشيخ القسام، فاخترق الطوق الذي فرضته القوات البريطانية على المنطقة، وألقى نظرة على قائده الشهيد، وعاد إلى الجبال ليجمع المجاهدين ويواصل الجهاد الذي بدأه القسام.. وفي اليوم التالي من استشهاد القسام خرج الشيخ فرحان مع جماعة من أصحابه إلى جبال صفد ورابط هناك، وبدأ يغير على المستعمرات اليهودية في مرج ابن عامر وشمال فلسطين، كما بدأ بعمل كمائن لضرب الانجليز في منطقة نابلس.

نتائج المعركة:

رغم المقاومة الباسلة التي أبداها القسام ورفاقه، فقد كانت نتيجة المعركة بالنسبة للمجاهدين كما يلي[١٥]:

الشيخ عز الدين القسام ـ (شهيد).
يوسف عبد الله الزيباوي ـ (شهيد).
عطيفة أحمد المصري ـ (شهيد).
أحمد سعيد الحسان ـ (شهيد).
محمد أبو قاسم خلف ـ (استشهد قبل المعركة برصاص البوليس).
الشيخ نمر السعدي ـ (جرح في المعركة).

أسعد المفلح ـ (جرح في المعركة).
حسن الباير ـ (أسر في المعركة).
أحمد الحاج عبد الرحمن ـ (أسر في المعركة).
عربي البدوي ـ (أسر في المعركة).
محمد اليوسف ـ (أسر في المعركة).

وبعد انتهاء المعركة، تعمّد قائد قوات البوليس «فتسجيرالـد» ـ مدير بوليس نابلس ـ إهانة جثة الشهيد القسام، ويقال أنه داس على رقبته[١٦].

أما نتيجة المعركة بالنسبة للانجليز. . فقد قُتل الشرطي «ج. ر. س موت»، بعد إصابته في رئته. وجرح الشرطي «فرانك ريد» في يده، بعد تقدّمه لمساعدة «موت» حين أصيب.

وتعود قلة خسائر الانجليز إلى إصرار القسام وجماعته على عدم إطلاق النار باتجاه الشرطة العرب، وتوجيه بنادقهم نحو الانجليز فقط، وكان الانجليز قد أخذوا مواقع خلفية[١٧].

الأسباب التي أدّت إلى هذه النتائج:

أولاً: عدم تمكن القسام من تنفيذ خطته التي خرج من حيفا عازماً عليها، فلم يجد الفرصة التي يتمكن فيها من الاتصال بالقرى وشرح الخطة التي ينوي تنفيذها، والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.

ثانياً: انكشاف أمر الجماعة في المكان الأول الذي وصلت إليه في مغارة نورس حين تم قتل «موشي روزنفلد» دون علم القسام. . وهذا مما لفت أنظار الشرطة إلى المكان الذي تختفي فيه الجماعة، وأفسد إمكانية التجول بين القرى دون ملاحقة البوليس، وأضاع أيضاً عنصر مباغتة الانجليز ومفاجأتهم بثورة مسلحة دون أن يكونوا على علم مسبق بها.

ثالثاً: قيام الانجليز بتضليل الرأي العام في فلسطين بعد الاشتباك الجانبي في كفرقود، وإيهام الناس بوجود عصابة لصوص في المنطقة. . هذا ولم يكن أحد من الناس يعلم بخروج الجماعة من حيفا لأنها خرجت في ظروف فرضت

عليها السرية التامة والتكتم الشديد.

رابعاً: الاشتباك الأوّل في أحراش يعبد مع مجموعة صغيرة من الشرطة ظنّاً من المجاهدين أنها تضم جميع عناصر البوليس المطاردة لهم، وكذلك عدم مقدرة المجاهدين على معرفة حجم القوات المهاجمة لهم.

خامساً: استنفار الانجليز لقوات كثيرة من نابلس وطولكرم وحيفا وجنين، وإحكام الطوق حول أحراش يعبد، وعدم معرفة الأهالي بما يجري داخل الأحراش.

الحقائق التي تركتها المعركة في نفوس الناس:

بعد المعركة عرف أبناء فلسطين حقيقة الجماعة التي خرجت من حيفا جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن عقيدة الإسلام، وعرفوا أن أفراد الجماعة قد التزموا في أثناء مرورهم بين القرى بشعائر الإسلام وأخلاقه، وكانوا في الليل يشعلون النار ويجلسون يتلون القرآن ويسمعون من شيخهم أحاديث الجهاد والشهادة في سبيل الله.. وحين استشهد مَنْ استشهد منهم، وأُسر مَنْ أُسر، وُجد مع كل واحد منهم نسخة من كتاب الله المجيد «القرآن الكريم»(١٨)، ووجد مع الشيخ القسام دعاء كان يضعه في عمامته، كتبه على النحو التالي: «أعوذ بالله من كيد الشيطان الرجيم في كل ما أنا عازم عليه. أعوذ بعزة الله وقدرته من قدرة الكافر وآلاته الناريّة، ومما يقدرون. أعوذ بعزة الله وقدرته من كل عزّة وقدرة تعاديني في أمري. سبحانك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. سألت الله أن ينصر دينه»(١٩).

وعرف الناس أن جماعة القسام أبوا الاستسلام للأعداء لأنهم يجاهدون في سبيل الله دفاعاً عن أرض الإسراء والمعراج، وأنّ قائدهم قال لهم «موتوا شهداء»، فلبّوا النداء.. وفهم أبناء فلسطين رسالة القسام، فالموت الشريف خير من الحياة الذليلة المستكينة.

لقد كانت معركة يعبد أوّل مواجهة مسلحة بين العرب وبين الانجليز منذ بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقد أثبتت هذه المواجهة أن الإنجليز هم

سبب نكبة البلاد وهم العدو الأوّل، الذي مكّن لليهود في فلسطين.

كما أنّ معركة يعبد أقضّت مضاجع السلطة الاستعمارية.. فكتبت صحيفة «الأبزيرفر» اللندنية في مقال لها أن جهاد العرب الحقيقي في سبيل التحرير بدأ بقيام حركة القسام.

أما استشهاد القسام فكان له دوي قوي في فلسطين من أقصاها إلى أقصاها، فتعاطفت كافة فئات الشعب مع فكرة الاستشهاد في سبيل الله والوطن.. وكانت معركة يعبد مدرسة لأبناء فلسطين، وحافزاً على البذل والتضحية، تجلّت آثارها في ثورة ١٩٣٦ م التي بدأها أنصار القسام، بل وبدأت قبل هذا التاريخ.. يقول المؤرخ عمر أبو النصر: «إن الثورة لم تبدأ في نيسان ١٩٣٦ م، بل بدأت يوم تشييع القسام، يوم رأينا حيفا تضطرب في موجة حزن، وتجتمع في نعش ميت، وتخرج بأعلامها وراياتها وآلامها وأحزانها، ونسائها وشيوخها وشبابها، تضع هذا كله على بضعة أشبار من الأرض استراح إليها بطل ضحكت أمانيها على فمه، ولم تفطن إلى عبقريته وتضحيته حتى سقط على أرضها صريعاً، وانتقل من دنيا تموج بالضجيج إلى دنيا لا تأنس بالعجيج، عندئذ فطنت إلى عظم ما قام به في سبيلها وكيف أنه نفخ فيها روحاً لم تكن تفطن لها من قبل، ولا تتعلق بها بسبب طويل أو قصير، وكذلك جعل الله من جثة القسام الهامدة وطناً يُشعر بالحرية ويُعيد لذكرى التضحيات، بل يا له من جسد لم يكد الموت يتلقاه حتى أفاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الأرض من غير أن يفطن واحد منهم إلى أضواء الحياة»[٢٠].

ولم تتوقف حركة القسام باستشهاده، بل لعل حادث الاستشهاد أدّى إلى ما كان يتمنّاه الرجل ويسعى إليه من إيجاد عمل جهادي في فلسطين، امتدّ من بلد إلى بلد، وانتقل من جيل إلى جيل.

معركة يعبد في الصحف الفلسطينية:

قامت الصحف الفلسطينية التي كانت تصدر في ذلك الوقت بوصف مفصل لمعركة يعبد والأحداث التي جرت في أثناء المعركة وقبلها وبعدها.. وقد اخترت

ثلاثاً من تلك الصحف لأنقل الوصف الذي ذكرته، وهي:

- جريدة فلسطين.. وكان تصدر في يافا.
- جريدة الجامعة العربية.. وكانت تصدر في القدس.
- جريدة الجامعة الإسلامية.. وكانت تصدر في يافا.

وصف جريدة فلسطين لمعركة يعبد[٢١]:

لن نستسلم! هذا جهاد في سبيل الله والوطن.

- معركة حامية بين أفراد العصبة الارهابية وقوة كبيرة من رجال البوليس.

- قتل خمسة أشخاص - قتل بوليس انكليزي - استسلام أربعة من العصبة.

- المعركة تدوم ست ساعات - تحريات مراسلي «فلسطين» في جنين ونابلس.

جنين في ٢٠ ت ١ - لمراسل فلسطين الخاص - ذكرت في رسالة سابقة أن رجال البوليس في يوم الأحد الماضي أطلقوا الرصاص على شخص مسلح في جبال قرية برقين التابعة لهذا القضاء، وهو من أهالي قرية حلحول «الخليل» وقتلوه، وان أهالي هذه المدينة احتفلوا بجنازته وقد قيل أنه أحد أفراد عصبة إرهابية عربية يظن أنها قتلت الشاويش اليهودي روزنفلد في قرية شطا التابعة لقضاء بيسان.

وأنقل إلى القراء أنباء معركة دامية جرت في الصباح الباكر بين أفراد هذه العصبة وقوة كبيرة من البوليس العربي والانجليزي بقيادة عدد عظيم من الضباط.

قوة عظيمة من رجال البوليس للمطاردة:

تلقت دائرة البوليس ليلة أمس خبراً مفاده أن أفراد العصبة الارهابية موجودون في أحراج يعبد فلم يمض إلا القليل حتى وصل إلى جنين عدد كبير جداً من رجال البوليس من حيفا ونابلس والناصرة وبيسان وطولكرم وكلهم بالخوذات الفولاذية ومعهم الأسلحة الكافية قد اجتمعوا هنا، ولم يكن واحد

منهم يعرف الجهة التي سيساق إليها، وبعد ذلك أركبوا في سيارات إلى جوار يعبد دون أن يشعر بهم أحد.

وعند مطلع الفجر وصلت هذه القوى إلى حيث قيل أن العصبة الارهابية مختبئة وهو مكان يدعى «الطرم» ويبعد عن يعبد ثلاثة كيلومترات.

معركة بين قوتين غير متكافئتين:

وقد أحاطت القوى بالمكان إحاطة السوار بالمعصم، وقد وضع البوليس العربي في ثلاثة خطوط أمامية وخلفهم البوليس الانجليزي، وكان المكان وعراً جداً كثيف الأشجار وصدف أن كان أفراد العصبة مستقرين في واد عميق ورجال البوليس في أعالي الجبال وعلى تلك الصورة بدأت معركة حامية الوطيس بين هاتين القوتين غير المتكافئتين فأخذ الرصاص يئز أزيزاً أرهب سكان القرى المجاورة حتى بلغ ما أطلق في كل دقيقة نحو ٦٠٠ رصاصة.

هذا جهاد في سبيل الله والوطن:

وقد صاح عربي من رجال البوليس طالباً من رجال العصبة الاستسلام فأجابه الرئيس فضيلة الشيخ عز الدين أفندي القسام بصوت جهوري قائلاً: «إننا لن نستسلم، إن هذا جهاد في سبيل الله والوطن» والتفت إلى زملائه وقال: «موتوا شهداء».

المعركة تستمر حتى التاسعة صباحاً:

وقد استمرت المعركة على شدتها حتى الساعة التاسعة صباحاً فاستشهد الشيخ عز الدين أفندي القسام وهو في ثيابه الدينية وعمامته البيضاء ثم سقط بعده أربعة من زملائه واستسلم الأربعة الباقون.

أسماء الذين سقطوا في المعركة:

الشيخ عز الدين، نمر حسن السعدي «قرية المزار ـ جنين» يوسف عبد الله «قرية الزيب ـ عكا»، السيد المصري «حيفا» وهناك شاب آخر يدعى أحمد الشيخ سعيد من سكان أحراج يعبد يقع بيته بجانب المكان الذي نشبت فيه

المعركة، قتل برصاص البوليس، ولم تعرف أسباب قتله، ويشاع أنه كان يحمل بندقية غير مرخصة ولما شاهد رجال البوليس فر أمامهم هارباً فأطلقوا عليه النار وصرعوه.

خسارة قوة البوليس في المعركة:

والمعروف حتى الآن أن قوة البوليس فقدت شرطياً انجليزياً قتل في المعركة وجرح انجليزي آخر جراحاً خطرة.

ويرجع السبب في قلة خسارة البوليس إلى موقعهم الحربي وعدم رغبة رجال العصبة ـ كما قيل ـ في إطلاق الرصاص على البوليس العربي، والبوليس القتيل من الفرسان اسمه «موط» لم يمض على وصوله إلى جنين غير ثلاثة أسابيع فقط وقد نقل الجريح إلى المستشفى بنابلس في سيارة دائرة الصحة التي استحضرت خصيصاً إلى يعبد بعد أن نشبت المعركة.

المستسلمون يساقون إلى السجن:

وقد جاءت قوة البوليس بالأربعة المستسلمين إلى جنين ولاحظنا عليهم إمارات التعب الشديد حتى لم يكن الواحد منهم قادراً على السير، ووضع المستسلمون في السجن رهن التحقيق.

ولا تزال المدينة كأنها ساحة حرب غاصة بالجنود ورجال التحري الذين انبثوا في الأيام الماضية بين القرويين. ويظن أن القوة ستظل هنا أياماً أخرى لتعقب بقية أفراد العصبة.

أهالي يعبد لا يطعمون الجنود:

وقد سمعت أحد رجال البوليس يشكو مر الشكوى من الجوع، وقال أن أهالي يعبد لم يتقدم منهم أحد لتقديم الطعام إلى البوليس.

قسم يفترق عن العصبة:

وعلمت أن البوليس سأل أحد الذين استسلموا عن الشيخ فرحان السعدي

«من قرية المزار ـ جنين» وأين مقره، إذ لدى البوليس معلومات أنه من أعضاء العصبة فأجابه المستسلم أن الشيخ فرحان فارق العصبة بعد مقتل الشاويش اليهودي روزنفلد بقضاء بيسان، وأنه لا يعرف مقره الحالي. ويقال أن عدد أفراد العصبة جميعاً ٢٢ شخصاً.

جثث الشهداء لم تصل إلى جنين:

وأنا أخابركم الآن في الساعة الخامسة بعد الظهر وجثث الشهداء لم تصل إلى هنا. ولا يعرف الآن إذا كانت الحكومة ستسلمها إلى أهليهم أو أنها ستدفنهم في جنين أو يعبد على نفقتها.

عزل المستسلمين عن جميع الناس:

اكتظت الطرقات بالجماهير التي احتشدت لرؤية المستسلمين ولكن رجال البوليس بعدما وضعوهم في السجن، أقاموا عليهم حرساً قوياً ومنعوا جميع الناس من الاقتراب من السجن، ولاحظنا أنهم يلبسون سراويل خاكية ولم نستطع معرفة أسمائهم لأن البوليس لا يريد ذلك، حتى أن أفراد القوة كانوا يهربون عندما يلاحظون أو يظنون أن من يخاطبهم يمت إلى الصحافة بصلة.

رجال البوليس يطاردون القسم الباقي:

والمفهوم أن قوة البوليس ستظل مرابطة هنا وفي القرى المجاورة للبحث عن القسم الباقي من أفراد العصبة الذين انشطروا عن زملائهم بقيادة الشيخ فرحان السعدي كما قال أحد المستسلمين.

لماذا قتل الشيخ سعيد:

قال أحد رجال البوليس أن السبب في قتل أحمد الشيخ سعيد الساكن بجوار حرج يعبد هو أن البوليس رآه يخرج من مكان العصبة فظن أنه كان يوصل إلى أفرادها طعاماً، ولما طلب إليه الوقوف أبى الاذعان فأطلق عليه النار وقتله.

كيف عرفت الحكومة بمقر العصبة:

والشيء الذي يتحدث عنه الأهلون هنا، هو كيف عرفت الحكومة بمقر

العصبة وتكوينها! والاشاعات كثيرة في هذا الشأن.

ويقال أن أول ما لفت نظر الحكومة هو أن رجال البوليس سألوا قروياً عن حادث مقتل الشاويش اليهودي فقال لهم: اذهبوا إلى حيفا وابحثوا عن العصبة التي يرأسها الشيخ عز الدين القسام.

ويقال أيضاً أن الحكومة استخدمت كثيراً من القرويين لإرشادها إلى أعمال العصبة وحركاتها، وأن السبب في معرفة مقرها يعود إلى «جهود» أولئك القرويين. وعلى كل فإني لا أريد أن أتوسع في نقل تلك الإشاعات الآن.

جريدة الجامعة العربية تصف معركة يعبد[٢٢]:

● حادث مريع هز فلسطين من أقصاها إلى أقصاها.

● معركة حربية حامية الوطيس تسفر عن مقتل خمسة أشخاص وجندي انكليزي.

● شخص يقتل خطأ. بلاغ الحكومة عن الحادث. المصاحف في جيوب الشهداء. شماتة الصحف اليهودية.

● جنازة حافلة للشهداء في حيفا وبرقيات التعزية. وفود فلسطين إلى حيفا. نعي الشهداء من على المآذن في فلسطين. الحكومة تأسر خمسة أشخاص وتحقق معهم.

* * *

ـ تلقت دائرة البوليس في جنين من رئاسة بوليس نابلس ليلة الأربعاء المنصرمة خبراً مفاده أن أفراد عصبة إرهابية موجود في سفح جبل يعبد. وقد اتفقت مراكز بوليس جنين وحيفا وطولكرم وبيسان على تطويق أفرادها ورسموا خطة حربية دقيقة للحيلولة دون فرارهم.

كان البوليس في ساحة حرب:

ـ ولم يمضِ غير القليل حتى وصلت إلى جنين قوات من رجال البوليس من حيفا ونابلس والناصرة وبيسان وطولكرم، وكل أفرادها يلبسون الخوذات

الفولاذية ومدججون بالأسلحة الكاملة. وذهبوا في وقت واحد إلى سهل القرية المذكورة وقاموا بحركة التفاف سريعة. وكان على رأس هذه القوات مدير بوليس نابلس والمستر هاوس مساعده. ثم لحقت بهم قوة من الجند الانكليزي ممتطية سيارات اللوري بالأسلحة الكاملة.

اكتشاف مقر أفراد العصبة:

- كان أفراد العصبة مقيمين بمكان سحيق يبعد عن يعبد نحو ثلاثة كيلومترات وعند مطلع الفجر وصلت هذه القوة إلى مقر العصبة وأحاطوا بالمكان من كل جانب ووضع البوليس العربي في ثلاثة خطوط أمامية ومن ورائهم البوليس الانكليزي.

معركة حربية حامية الوطيس:

- وحلقت في سماء القرية طيارة كانت تساعد قوات البوليس على اكتشاف حركات أفراد العصبة. ثم بدأت معركة حامية الوطيس بين رجال البوليس وأفراد العصبة دامت نحو ست ساعات وكانت قوة البوليس على رأس الجبل وفي أمكنة منيعة، بينما كان أفراد العصبة في واد سحيق معرضين للرصاص.

وكان أزيز الرصاص يصم الاذان. ويقال أن معدل ما أطلق من الرصاص ٦٠٠ رصاصة في كل دقيقة.

استشهاد أربعة من أفراد العصبة:

- وانجلت المعركة عن مقتل قائد العصبة صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين أفندي القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا، وثلاثة من أتباعه وهم المرحومون الشيخ نمر حسن السعدي من شفاعمرو، والسيد يوسف عبد الله من الزيب، والسيد المصري من حيفا.

ولم يكن هؤلاء الشهداء لوحدهم. ففي يوم الأحد الماضي أطلق رجال البوليس الرصاص على شخص مسلح في جبال قرية برقين التابعة لجنين واسمه السيد محمد أبو قاسم خلف من حلحلول، واحتفل بتشييع جنازته في جنين احتفالاً كبيراً.

وأثناء سير المعركة تقدم بوليس عربي من أفراد العصبة وطلب منهم الاستسلام فأجابه فضيلة الأستاذ القسام: «لن نستسلم. هذا جهاد في سبيل الله والوطن». ثم التفت إلى زملائه قائلاً لهم: «موتوا شهداء».

يقتل خطأ:

- وقد حدث أن خرج شاب يدعى أحمد الشيخ سعيد من سكان يعبد من بيته، فأصيب برصاصة مات على أثرها على الفور. ويشاع بأنه كان يحمل بندقية غير مرخصة ولما شاهد رجال البوليس فر من أمامهم فأطلقوا عليه النار فقتلوه.

من هم الذين قبض عليهم؟

- أما الذين ألقي القبض عليهم فأربعة أشخاص هم السادة حسن الباير «من برقين» وأحمد الحاج «من حيفا»، وعربي البدوي «من قضاء نابلس» ومحمد اليوسف «من حيفا» وقد سيقوا إلى سجن جنين للتحقيق معهم.

مصاحف في جيوب الشهداء والأسرى:

- ولما فتشت قوات البوليس الشهداء والأسرى وجدت في جيب كل واحد منهم مصحفاً شريفاً، ووجدت في جيب الأستاذ القسّام ١٤ جنيهاً.

مقتل بوليس انكليزي:

- وقد فقدت قوة البوليس شرطياً انكليزياً يدعى «موت»، كما أصيب انكيزي ثان بجراح خطرة.

وسرى الخبر سريان البرق في جنين ونابلس فاكتظت الطرقات بالجماهير ورابطت قوى البوليس في القرى المجاورة لمكان الحادث. أما الأسرى فقد أقيم عليهم حرس قوي ومنع الناس من الاقتراب منهم.

بلاغ الحكومة الرسمي عن الحادث:

- وقد أذاعت الحكومة في الساعة الثامنة من مساء أمس البلاغ الرسمي التالي:

كان قد تجمع في المدة الأخيرة عصابة من الأشقياء في الجهة الشمالية من قضاء نابلس تتنقل بين الجبال وكان المدعو محمد أبـو قاسم خلف الـذي قتله البوليس في كفرقود يوم ١٧ تشرين ثاني أحد أفراد هذه العصابة.

وفي فجر هذا اليـوم أحاطت قـوة من بوليس نـابلس وطولكـرم وجنين قـرية الشيخ زيد «شمال يعبد وعلى بعد ١٠ أميال غرب جنين» حيث كان الاعتقاد أن العصابة مجتمعة هناك وقد أطلق عليها الرصاص من حرش قريب وعندما بادلته العصابة الطلقات تبين للبوليس أنه أمام عصابة مسلحـة وفي أثناء المنـاوشة التي أخذت شكل عراك انتهى حوالي الساعة العاشرة صباحـاً في أسفل الـوادي وقد قتـل أربعة أو خمسـة أشخاص من أفـراد العصـابـة وقبض عـلى خمسـة آخـرين أحدهم مصاب بجراح خطيرة.

والمعتقـد أن هذا يشمـل جميع أفـراد العصابـة وقد استـولى على تسـع بنادق وبنـدقية صيـد وبندقيـة سريعة الـطلقات وكميـة من الـذخـيرة وقتـل من أفـراد البـوليس الانكليزي ر. س. ف. مت، وأصيب بـوليس انكليزي آخـر بجراح خفيفة.

وعرف من أفراد العصابة المقتولين الشيخ عز الـدين القسام /الشيـخ يوسف عبد الله /أحمد الشيخ سعيد /سعيد عطيفة أحمد.

وقيل أن أسعد مفلح الحسين قد قتل غير أنه لم يعثر عليه بعد.

وقـد أصيب نمر حسـين السعدي بجـراح خطرة، وكـان الشيـخ عـز الـدين القسام الذي اختفى من بيته في أوائل هذا الشهر المنظم والرئيس لهذه العصابة.

نقل جثمان الشهداء إلى حيفا:

ـ وقد نقل الشهداء إلى حيفا واحتفل في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر أمس بتشييع جثمانهم احتفالاً مهيباً سار فيه مندوبو بلدان فلسـطين والعلماء والوجهـاء والأهلون وجرى لهم مأتم لم تشاهده البلاد. وقد صـلى على الشهـداء في جامـع الاستقلال وسار الموكب المهيب إلى المقبرة.

تعليقات الصحف اليهودية:

- وقد علقت دافار على هذه الحادثة فقالت أن أفراد هذه العصبة هم قتلة البوليس اليهودي روزنفلد قرب عين حاروت، وهنأت البوليس على توفقه في القضاء على العصابة.

وذكرت البالستين بوست أن القوة التي هاجمت أفراد العصبة كانت مكونة من خمسين جندياً، منهم ١٢ من الجنود الراكبين، وكانت الحملة تحت قيادة المستر «فتزجرالد».

من هو البوليس الانكليزي القتيل:

- وذكرت تاريخ حياة البوليس الانكليزي القتيل، فقالت أنه يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكان مركزه في نتانيا، وكان قد قدم إلى فلسطين عام ١٩٣٢ وفي الثورة الدامية التي جرت في القدس عام ١٩٣٣ استطاع مع أحد رجال العرب أن يفرق المتظاهرين في المدينة القديمة. وفي تموز ١٩٣٤ منح وسام الامبراطورية الانكليزية «من القسم العسكري»، بالنظر لبسالته.

نعي الشهداء من على المآذن:

- نعي الشهداء الأبرار من على المآذن في أنحاء فلسطين. وستقام صلاة الغائب على أرواحهم الطاهرة ظهر اليوم في المسجد الأقصى بعد أداء فريضة الجمعة.

وقد تقاطرت الوفود إلى حيفا من كافة أنحاء فلسطين للتعزية في الشهداء وسافرت وفود كثيرة من القدس عرفنا من بينها الأستاذ جمال بك الحسيني والسيد عزة أفندي دروزة وفضيلة الشيخ صبري أفندي عابدين.

وصف جريدة الجامعة الإسلامية لمعركة يعبد[٢٣]:

رسالة صحافية عن معركة يعبد، يتحدث فيها المجاهد الجريح نمر حسن السعدي ١٩٣٥/١١/٢٠:

- معركة هائلة بين عصبة الثائرين والبوليس.

- استشهاد فضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس العصبة.
- قتل بعض الثائرين والبوليس الانكليزي.
- هياج الأفكار في اللواء الشمالي.
- تشييع جنازة الشهداء «اليوم».
- دعوة الأمة والزعماء إلى الاشتراك في الجنازة.
- حديث أحد الجرحى لمراسلنا.

نابلس ٢٠ لمراسلنا الخاص ـ اتصل أمس مدير البوليس مع مراكز بوليس جنين وحيفا وطولكرم وبيسان وأخبرهم أن لديه معلومات عن وجود عصابة أشقياء في سفح الجبل بالقرب من قرية يعبد واتفق رؤساء البوليس على تطويق العصابة ورسموا خطة حربية دقيقة للحيلولة دون فرار العصابة في هذه المرة ولم يمض وقت طويل على هذه المخابرة حتى خرجت القوات من المراكز في وقت واحد متجهة نحو سهل تلك القرية وقامت بحركة التفاف وكان على رأس هذه القوات مدير بوليس نابلس والمستر هاوس مساعده وفي صباح اليوم خفت قوة من الجند الانكليزي أيضاً ممتطية سيارات اللوري بأسلحتها الكاملة إلى مكان الحادث وقد أسرعت وامتطيت سيارة خاصة عندما تحقق لدي أهمية الخبر وصحبت الجنود حتى وصلنا إلى قرية يعبد حيث كان أزيز الرصاص يصم الاذان.

وحلقت في سماء قرية يعبد طيارة كانت تساعد قوات البوليس لاكتشاف حركات أفراد العصابة ودامت المناوشات بين قوات البوليس والثائرين مدة ساعتين، وقد أسفرت المعركة عن قتل قائد الثوار صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا، وثلاثة من أفراد العصابة وهم السادة: الشيخ نمر حسن السعدي من غابة شفاعمرو والسيد يوسف عبد الله الزيباوي من قرية الزيب والسيد سعيد عطية المصري من مصر قاطن حيفا. مضافاً إليهم من قتل أمس. اسمه السيد محمد أبو قاسم خلف من جبل الخليل.

أما الذين ألقى البوليس القبض عليهم فعددهم أربعة وهم السادة حسن

البـاير من قـرية بـرقين، أحمـد الحاج من قـرية حيفـا، عربي البـدوي من قبلان نـابلس، محمد اليـوسف من حيفا، وقـد تقدمت قـوات البوليس من المقتـولـين والأسرى وأخذت تتحرى جيوبهم فعثرت في جيب رئيس العصـابة الثـائرة عـلى مصحف شريف وأربعـة عشر جنيهـاً ثم ظهـر أنـه قتـل الجنـدي الانجليـزي برصاص الثائرين ويدعى مور وجندي آخر جرح بجروح خطرة وثالث لم أعرف اسمه وقد نقلوا إلى مستشفى نابلس فوراً.

وقـد طلب مني أحد المجـروحـين مـاء ويـدعى الشيـخ نمـر حسن السعـدي فتقـدمت إليه حـالاً وأسعفته بـالماء ثم اغتنمت هـذه الفرصـة وجلست بجانبـه وأخـذت ألقي عليه بضعـة أسئلة فلم يجبني عليها إلا بعـد أن سألني عن اسمي ومذهبي وما هي الغاية من سؤالي فأخبرتـه أني مراسـل الجامعـة الاسلاميـة واني عربي مسلم فأخذ يشرح لي عن عصابته بصوت خافت فقال:

حديث الجريح:

إن أفراد عصابتنا قد تـأسست منذ سنتـين برئـاسة فضيلة رئيسنـا الشيخ عـز الدين القسام وكنا نجتمع سراً في حيفا إلى أن كمل عددنا خرجنا من حيفا منـذ شهر بعد أن اتفقنا على نصرة الدين وقتل الانجليـز واليهود لأنهم محتلون بـلادنا وبوصولنا إلى سهل بيسان قتلنا الجاويش اليهودي وقد كان معه جنديان عربيـان فلم نقتلهـما وكنا مسلحـين بالبنـادق ومعنا كميـة من الخرطـوش تقدر بـ ٧٠٠٠ خرطوشة وقد اشترينا هذه البنادق ورصاصنا من مالنا الخاص بعد أن وفرناه من مصروفاتنا.

إن جمعيتنـا سرية وكنـا لا نقبل فيهـا إلا من كان مؤمنـاً مستعداً أن يمـوت في سبيل بلاده وبعد أن أقمنا مدة في ناحية الحرش بـين نابلس وجنـين وقد أرسلنـا أحدنا محمـد أبو قـاسم خلف يراقب الـطريق ويتجسس لنا عـلى أفراد البـوليس ويـظهر أن البـوليس قد شـاهـده فـأطلق النـار عليـه فـاستشهـد حـالاً وعلمنـا بـاستشهاده فـاتفقنا عـلى أن نهاجم قـوات البـوليس صبـاحـاً وكـانت منتشرة في السهول والجبال وقد فعلنا ذلك فقتلونا كما ترانا الآن.

جثمان الزعيم :

وفي أثناء ذلك جيء بجثمان زعيم الثوار فضيلة الشيخ عز الدين القسام مقتولاً. فطلب الجريح مني أن أقربه إلى رئيسه الأستاذ القسام ليودعه فنظر إليه والدمع يترقرق في عينه وأخذ يقرأ آيات قرآنية ويهديها إلى روح رئيسه والشهداء ثم أخذت أسأله عن العصابة فقال انها لم تتعرض لأحد من الوطنيين وكنا نشتري غذاءنا بالنقود ولا نلزم أحداً أن يقدم لنا غذاء بالقوة وغايتنا تخليص البلاد فقط.

ثم قال ان رئيسنا عالم ديني فالتفت إلى جثمان الشيخ عز الدين فوجدته يلبس عمامة وقفطاناً وعمره يبلغ الستين سنة وهو ذو لحية بيضاء، وكان مسلحاً بمسدس كبير، ثم جيء بالقتلى فنقلوا بسيارة إلى جنين كما أن أفراد الثوار وعددهم أربعة نقلوا إلى نابلس تحت حراسة البوليس حيث أودعوا بالسجن وما انتشر الخبر في نابلس حتى أخذت وفود الشباب والوجهاء تفد على وكالة هذه الجريدة لتستفسر عن الخبر وتفاصيله.

ثم اجتمع الشباب وقرروا إيفاد وفد منهم لحضور موكب تشييع جنازة الشهداء، وقد اتصلوا بجنين، فعلموا أن الجثث قد نقلت ليلاً إلى حيفا. وينتظر أن يصل غداً إلى حيفا وفد منهم.

الآثار التي نتجت عن استشهاد القسام

لقد خلّف استشهاد القسام آثاراً كبيرة ومتعدّدة في نفوس أبناء فلسطين، وفي نفوس العرب والمسلمين من حولهم، كما ولّد إحساساً بالخوف والحقد لدى اليهود. . وكان للتعاطف الجماهيري العارم مع الشهداء أثره الواضح في تغيير مجرى الصراع العربي والإسلامي مع الاستعمار والصهيونية في فلسطين. وقد تجلّت هذه الآثار في مجموعة من الأعمال والأحداث في المحيط العربي، كان بعضها ردّة فعل على استشهاد القسام وصحبه، كما تجلت ردّة فعل حاقدة في المحيط الانجليزي واليهودي.

آثار في المحيط العربي:

سرىٰ خبر استشهاد القسام في أنحاء فلسطين مسرى النار في الهشيم، وعم الاضراب جميع البلدان، وزحف الناس بأعداد ضخمة من المدن والقرى المختلفة إلى حيفا، وتجلّى تأثّرهم وردة الفعل عندهم في مجموعة من الأعمال الاجتماعية والسياسية والعسكرية. .

أولاً: جنازة الشهداء في حيفا:

تم نقل جثث الشهداء القسام والزيباوي والمصري من الحرش إلى يعبد ووضعت في ساحة القرية بانتظار وصول فريق من شرطة حيفا ليقوم بإرسالها إلى المدينة. ووصلت سيارة البوليس القادمة من حيفا إلى مدينة جنين قبل العصر وكانت تقلّ خمسة أفراد من البوليس العربي. وتسلّم هؤلاء جثة الشهيد القسام والزيباوي والمصري، وتلقوا أوامر من قيادة البوليس بتسليمهم لذويهم في مدينة

حيفا، مع اشتراط شرطين: أولهما أن يكون الدفن في الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٥/١١/٢١ م. وثانيهما: أن تسير الجنازة من بيت الشيخ عز الدين القسام الواقع خارج البلدة رأساً إلى المقبرة في بلد الشيخ[٢٤].

وفي مساء يوم ١٩٣٥/١١/٢٠ م كانت تدور من نابلس اتصالات بين الأستاذ أكرم زعيتر وصبحي الخضرة ووجيه حيفا المعروف رشيد الحاج إبراهيم، وتم الاتفاق على تشييع الشهداء بموكب يليق بمكانتهم. وفي تلك الليلة اتصل أكرم زعيتر بجريدة الجامعة الإسلامية وأملى عليها بالتلفون بياناً يطلب فيه من الأمة وزعمائها السير في جنازة القسام وإخوانه الشهداء، وطلب من محرر الجريدة نشر البيان في عدد الغد ١٩٣٥/١١/٢١ م. وكان نص البيان:

«نمشي غداً في موكب تشييع صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا ورئيس مسجدها الكبير، وإخوانه الذين قتلوا في يعبد إلى جنبه، ونودعهم لحودهم في حيفا. وإني لأدعو هذا اليوم الزعماء ورؤساء الأحزاب إلى السير في الموكب..

النحاس باشا زعيم مصر وجميع زعمائها يمشون كل يوم في طليعة جنائز الشهداء، فهل يمشي زعماء فلسطين مع شبابها في موكب عالم ديني وصحبه المؤمنين»[٢٥].

وصلت جثث الشهداء مدينة حيفا الساعة السابعة مساء، وبدأت الجماهير تتوافد على بيوتهم وبشكل خاص إلى بيت الشيخ عز الدين القسام، وعقد اجتماع في جمعية الشبان المسلمين ولم يجرؤ أي شرطي على حضوره. وبعد الاجتماع ذهب عدد من الشباب إلى بيت الشيخ عز الدين ورتبوا حرس شرف. وفي اليوم التالي ١٩٣٥/١١/٢١ م أضربت مدينة حيفا إضراباً شاملاً، وهرعت الجموع إلى بيوت الشهداء، ونقلوا جثة الزيباوي والمصري إلى منزل القسام. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة نقلت الجثث في موكب رائع إلى الجامع الكبير[٢٦]. وبعد صلاة الظهر صلى آلاف المسلمين عليهم صلاة الجنازة، ثم أبّنهم الشيخ يونس الخطيب ـ قاضي مكة الأسبق ـ بكلمة مؤثرة بيّن فيها أجر الشهداء وثوابهم عند الله[٢٧].

وقبل البدء بالموكب لفّ رشيد الحاج ابراهيم النعوش الثلاثة بالأعلام العربية رمزاً للهدف الكبير وراء استشهادهم، فكان العلم العراقي للقسام، والعلم السعودي للمصري، والعلم اليماني للزيباوي. وبعد ذلك بذلت جهود كبيرة حتى أمكن الخروج بالشهداء من المسجد إلى الساحة الكبرى أمامه.. ويصف أكرم زعيتر المشهد المؤثر فيقول:

«وهنا يعجز القلم عن الوصف.. آلاف المشيعين ـ والجثث على الأكف مرفوعة ـ تصرخ: الله أكبر الله أكبر، والنساء يزغردن من السطوح والشرفات والنوافذ، والكشافة ينشدون أناشيد تثير النخوات. ثم ارتفع صوت ـ والجثث مرفوعة ـ يصرخ: الانتقام! الانتقام! فردّدت الألوف بصوت واحد كالرعد القاصف: الانتقام! الانتقام!»[٢٨].

وسارت الجنازة بحماس شعبي هائل، وبهتافات ثورية تدوي بقوة. وحدث خلالها اشتباكات مع الانجليز كان من نتيجتها إصابة ضابطي بوليس حيفا «المستر جيمس» و «المستر دنغ» كما هوجم قطار يقلّ ركاباً يهود متجهين من حيفا نحو «كريات حاييم». وخوفاً من امتداد غضب المشيعين إلى مستعمرة الياجور أرسلت وحدات من الشرطة معززة بالسلاح إلى هناك، وأصيب شاب عربي هوى عليه جندي بريطاني بهراوته فحطم جمجمته، فحمل الشاب إلى عيادة الدكتور عثمان الحمزة لمعالجته[٢٩].

وواصلت الجموع سيرها حتى وصلت منزل القسام، وكان مقرراً للجنازة أن تقف هناك، وأن ترسل النعوش في السيارات إلى مقبرة بلد الشيخ التي تبعد حوالي خمسة كيلومترات عن المدينة، ولكن الجمهور الثائر حال دون ذلك وأبى إلا أن يستأنف السير، والنعوش على الأكتاف مشياً على الأقدام خمسة كيلومترات حيث ووريت الجثث التراب وهي في حالتها الطبيعية وفي ملابسها المخضبة بالدماء الزكية. وشاهد الجمهور شهداءه الأبطال يدفنون بثياب الجهاد المخضبة بالدماء. وقد استغرق السير بالجنازة من الجامع الكبير في ساحة الجرينة إلى المقبرة ثلاث ساعات ونصف الساعة[٣٠].

وهكذا كان مهرجان التشييع، مهرجاناً حاشداً أشرفت عليه الهيئات

الإسلامية، وقام به الفقراء والعمال والفلاحون الذين أحبهم الشهيد فأحبوه، وافتداهم بالروح فأعزه وأكرموه. . وانطلقوا سيراً على الأقدام يحملون جثمان الشهيد على أكتافهم وهم يجدّدون العهد على المسير حتى تتحقق أهداف شهيدهم القسام.

وفي اليوم التالي هنّأ المفتش العام للبوليس الانجليزي «سبايسر» نائب مدير منطقة حيفا «أ. ت. باركر» وضباطه ورجاله على الصبر الذي أبدوه في أثناء الجنازة، وبقي المستر «جيمس» مساعد مدير البوليس ومفتش البوليس البريطاني المستر «رنغ» في منزليهما عدة أيام بسبب الإصابة التي تعرضا لها في الجنازة. وتم اعتقال أربعة شبان عرب اتهموا بإلقاء الحجارة على أفراد البوليس وعلى مخافر الشرطة، وتقرّر إجراء محكمة لهم[٣١].

وأما الشهيد أحمد الحسّان فقد دفن في قرية يعبد في ١٩٣٥/١١/٢١ م وسار في جنازته كافة أهالي القرية، كما وفدت وفود القرى المجاورة على بيت الفقيد معزية[٣٢].

ثانياً: صلاة الغائب على أرواح الشهداء في مدن فلسطين:

كان لاستشهاد القسام وإخوانه تأثير كبير في نفوس جميع الناس في مدن وقرى فلسطين، فقد عمّهم شعور قوي من الحزن والأسى على الشهداء. .

ففي مدينة نابلس اضطرب أهل المدينة للحادث وسافر منهم وفد إلى حيفا للاشتراك في تشييع جنازة الشهداء، كما أقيمت صلاة الغائب في جميع مساجد المدينة بعد صلاة الجمعة ١٩٣٥/١١/٢٢ م[٣٣].

وفي الخليل كان لاستشهاد القسام ورفاقه تأثير عظيم في نفوس أهل المدينة، فقد عمّهم الحزن والأسى ساعة معرفتهم النبأ، وأُقيمت يوم الجمعة ١١/٢٢ صلاة الغائب على أرواحهم في المسجد الإبراهيمي، ومساجد المدينة الأخرى[٣٤]. وسافر وفد من أهالي المدينة في ١١/٢٣ إلى حلحول للتعزية بالشهيد محمد أبو قاسم خلف.

وعمّ الحزن العميق سكان مدينة القدس عندما سمعوا المؤذنين ينعون

القسام، وهرع الكثيرون إلى المسجد الأقصى للاشتراك في صلاة الغائب[٣٥].

وأقيمت صلاة الغائب في مدينة قلقيلية وفي طيبة بني صعب. ونعي القسام على مآذن صفد وصلى أهل المدينة صلاة الغائب عليه وعلى رفاقه في مساجدها. وكان من أجمل صور التعاطف الجماهيري مع القسام تسمية الأطفال باسْمه، وأول من فعل هذا مواطن من صفد يدعى سعيد عزيز، رزق بطفل فسمّاه القسام ذكرى للشهيد عز الدين.

وفي يافا أذيع نبأ استشهاد القسام ورفاقه قبل صلاة الجمعة في مسجد يافا الكبير ودعي المسلمون لإقامة صلاة الغائب، وألقى الشيخ فوزي الإمام خطبة الجمعة وشرح للمصلين كيفية وقوع الحادث، وبيّن ثواب الشهداء الأبرار عند الله، ثم أقيمت صلاة الغائب على أرواح الشهداء[٣٦]. وكتب مراسل جريدة الجامعة الإسلامية في يافا واصفاً ردّة فعل أهالي المدينة على الحادث فقال:

«وجوه ساهمة، ونفوس حيرى، وأفئدة مضطربة تكاد تمزّق من عظيم المصاب ألماً وحسرة، جميع هذا كان ظاهراً للعيان، تقرأه لأول وهلة في وجه كل من تلقاه في هذا البلد العربي، ولقد طُفت معظم الأندية العربية على اختلاف نزعاتها السياسية والدينية فكنت لا أسمع غير التحدث عن مزايا الشهيد الجليل الشيخ عز الدين القسام وأخلاقه الفاضلة، وكيف كان ـ عطّر الله ثراه ـ خير نبراس لمكارم الأخلاق والوطنية الصادقة[٣٧].

وفي غزّة نعي الشهداء في المسجد العمري الكبير، وأقيمت صلاة الغائب على أرواحهم.

وشاركت دمشق مدن فلسطين بالحزن على الشهداء، فنعي القسام ورفاقه على جميع مآذن العاصمة السورية وأقيمت صلاة الغائب على أرواح الشهداء[٣٨].

وانْهالت برقيات التعزية بالشهداء على حيفا، وكانت موجهة لثلاث جهات: عائلات الشهداء وخاصة للشيخ فخر الدين القسام شقيق الشيخ عز الدين، وجمعية الشبان المسلمين، والجمعية الإسلامية بحيفا، وكان القسام عضواً

فيهما..

وجاءت الكلمات التي كتبها مرسلو البرقيات تعبيراً صادقاً عمّا وجده الناس في القسام، وتقييماً واقعياً لتجربته الجهادية..

ومن هذه البرقيات:

- «القسّام أدّى رسالة الواجب في سبيل دينه وبلاده، ثائراً على الظلم واعتساف السياسة البريطانية.. كلّنا على هذا سائرون وفي أعمال المجاهدين ومبدئهم منقادون» - شباب طيبة بني صعب ومن بينهم عارف عبد الرازق.

- «نعزيكم والأمّة بفقد الأسد الهصور، الثائر على الظلم والاستعمار» - شبيبة يافا.

- «استشهاد الرئيس الجليل القسام وصحبه الأبرار مَثَلٌ أعلى للزعامة الصحيحة فعاهدوا أرواحهم الطاهرة على تحقيق الأماني» - محمد السبع وأمين النصر، قلقيلية.

- «قد ضرب البطل الشهيد عز الدين القسام وصحبه المؤمنون المثل الأعلى في التضحية بالأرواح في سبيل الله والوطن.. إننا نكرم أرواحهم الطاهرة بأن نعاهدها على الموت في سبيل الفكرة العالية التي ماتوا لأجلها» - شباب مثقفون من يافا.

- «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم» - راغب النشاشيبي، رئيس حزب الدفاع.

- «الجنّة للشهداء الأبرار، وللعرب العزاء والقدوة الحسنة» - جمال الحسيني، رئيس الحزب العربي.

ثالثاً: التضامن مع عائلات الشهداء:

قامت في مدن فلسطين حملة واسعة لجمع التبرعات لصالح عائلات الشهداء، وقامت عدة مؤسسات سياسية واقتصادية بالمشاركة في هذه الحملة.. فقد ساهم فيها الحزب العربي الفلسطيني، وحزب مؤتمر الشباب، وجمعية

الشبان المسلمين بفروعها المختلفة، وصحيفتي الدفاع والجامعة الاسلامية، وجمعية الهلال الأحمر بحيفا، وفرق الكشافة والأندية الرياضية، وعمال مدينة حيفا، وطلاب المدارس، بالإضافة إلى الجهود الفردية التي بذلها الشيخ يونس الخطيب مفتي مكة الأسبق، ومصطفى العوري قاضي طولكرم الشرعي، وأكرم زعيتر..

وعمّم الحزب العربي بياناً على كافة فروعه في البلاد حث فيه على المساهمة بجمع التبرعات لعائلات الشهداء، وتشكلت في يافا لجنة خاصة من شباب ووجهاء المدينة لجمع التبرعات والإشراف عليها.

ثم تألفت لجنة في جميع أنحاء فلسطين للتنسيق والتعاون بين مختلف الهيئات المساهمة في الجمع، ورأسها رشيد الحاج ابراهيم مدير البنك العربي بحيفا، وبلغ مجموع ما رصد للعائلات حتى أوائل شباط سنة ١٩٣٦ م حوالي «٧٦٧» جنيه فلسطيني(٣٩)، وهو مبلغ له قيمته في ذلك الوقت، بالإضافة للتبرعات العينية الأخرى التي قُدّمت لأبناء الشهداء.

ونشرت الصحف اقتراحاً بتعيين يوم يسمى «يوم القسام» لجمع الإعانات فيه لتأمين حياة عائلات الشهداء. وطالبت صحيفة فلسطين بأن يكون أول أيام عيد الفطر السعيد هو يوم القسام(٤٠). وأن يدفع المسلمون الأموال التي يرصدونها للأعياد لعائلات الشهداء بدل صرفها على اللهو والمتعة. وفعلاً جعل عيد الفطر السعيد يوماً للقسام والشهداء، فقرّرت الأحزاب والهيئات السياسية الانقطاع عن المعايدات في ذلك العام حداداً على الشهداء، وأذاع جمال الحسيني بياناً باسم اتحاد الأحزاب العربية الفلسطينية راجياً الأمة المحافظة على هذا القرار، وأن تظهر شعورها تجاه شهدائها الأبرار والمصائب العديدة الحالة بها من جرّاء السياسة البريطانية(٤١).

ووصف إبراهيم الشنطي رئيس تحرير جريدة الدفاع، حالة مدينة نابلس يوم العيد فقال: «مررنا بنابلس في فترة العيد، فإذا طلابها وفتيانها تشاغلوا عن كل أسباب التسلية بذلك الواجب العظيم: جمع التبرعات لعائلات الشهداء، وليس أجمل من أن ترى فتياناً وشباناً هجروا زينة العيد إلا تلك الشارات ترف على

الصدور فوق القلوب مكتوب عليها: «مات القسام فخلدوا ذكراه». .

وغادروا المدينة إلى القرى بلباس الكشاف العربي، وفي لباسهم العادي، يدعون أهلها إلى الواجب، فما تأخرت قرية، ولا أمسكت يد، بل فاضت الأكف بالعطاء في مروءة وسخاء»[٤٢]. واستقبلت حيفا في يوم العيد عشرات الوفود من مختلف مدن وقرى فلسطين قدمت لزيارة قبور الشهداء في بلد الشيخ، وزيارة بيوتهم وأسرهم حاملة الهدايا لأبنائهم.

رابعاً: الحفلات الوطنية وتأبين الشهداء:

أقامت الأحزاب السياسية والهيئات الوطنية في فلسطين حفلات عديدة لتأبين الشهداء الأبرار، واعتبرت القسام رمزاً صادقاً للجهاد، وعلَماً بارزاً للوطنية. .

فبادر فرع مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في حيفا باتخاذ قرار في ١٩٣٥/١١/٢١ م بإقامة حفل تأبين للشهداء في ذكرى الأربعين. واقترح أهالي صفد إقامة حفلات تأبينية في كل مدن فلسطين تتبناها جمعيات الشبان المسلمين. وقرّر شباب مدينة نابلس في شهر كانون أول ١٩٣٥ م إقامة حفلة تأبينية في أحراش يعبد في نفس المكان الذي استشهد فيه القسام، وشكلوا لجنة منهم من أجل إقامة نصب تذكاري للشهداء في الموقع المذكور[٤٣]. ومع اقتراب ذكرى الأربعين بدأت جمعية الشبان المسلمين بحيفا الاستعداد لإقامة حفلة تأبينية كبرى، وتشكلت لجنة خاصة للاشراف على الاحتفال رأسها رشيد الحاج إبراهيم، كما قامت حفلة مماثلة في مدينة غزة بتاريخ ١٩٣٦/١١/١٧ م، وفي قرية جبلة ـ حيث ولد القسام ـ تقرر إقامة حفلة تكريمية له[٤٤]. وفي أول أيام عيد الفطر السعيد ذهبت وفود أهالي جنين تتوسطهم فرقة من الطلبة ينشدون الأناشيد الوطنية وتتقدمهم الأعلام والأكاليل إلى مقبرة المدينة، حيث قام رئيس البلدية فهمي العبوشي بإزاحة الستار عن ضريح المجاهد محمد أبو قاسم خلف، وألقى خطاباً تأبينياً تبعه مجموعة من شباب وأدباء جنين بقصائد وخطابات مماثلة.

وفي الخامس من كانون الثاني ١٩٣٦ م أقيمت في مدينة حيفا حفلتان الأولى

لفرع مؤتمر الشباب والجمعية الإسلامية، والثانية لجمعية الشبان المسلمين. . وافتتح رشيد الحاج ابراهيم حفلة جمعية الشبان المسلمين بكلمة ألقاها نيابة عن الجمعية تحدّث فيها عن الشهيد كرئيس للجمعية التي رأت من الواجب الوفاء لرئيسها السابق وصحابته أن تقوم بحفلتها التأبينية تخليداً لذكرى الشهداء وتمجيداً للمبدأ السامي الذي دفعهم إلى طلب الموت في سبيل الله تخلصاً من هذه الحياة التي أصبحت لا تطاق، وذكر أن حادث استشهاد القسام لم يكن إلا نتيجة طبيعية لسياسة تهويد فلسطين التي تتمشى عليها بريطانيا(٤٥).

ثم تلاه عدد من الخطباء من جمعية الشبان المسلمين، وحزب الاستقلال، ومحرري الصحف، وكان من بينهم سليمان الفاروقي وأكرم زعيتر وصبحي الخضرة وعجاج نويهض.

وأما في حفل مؤتمر الشباب العربي فقد ألقيت أيضاً كلمات للأحزاب المؤتلفة التي أقامت الحفل ـ العربي، والدفاع، ومؤتمر الشباب والإصلاح ـ وتحدث فيه الدكتور سليم سلامة، ورشدي التميمي، ويعقوب الغصين، وكان من بين الكلمات كلمة جمال الحسيني التي قال فيها: «القسام اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في أجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم. . وقال: إن ثورة القسام كانت ثورة على الشباب، على القاعدين أمثالنا جميعاً». وألقى الشيخ رشيد الحلواني كلمة الكتلة الوطنية في سورية، ونمر المصري كلمة عصبة تكريم الشهداء في بيروت(٤٦).

وهكذا أصبح القسام رمزاً للصمود والتضحية في فلسطين، في المؤتمرات، وفي الاجتماعات الشعبية، وفي الإضراب الكبير الذي عمّ فلسطين كلها عام ١٩٣٦ م. . بل وعاش القسام في قلوب أبناء فلسطين ينتقل من بلد إلى بلد، ومن جيل إلى جيل.

آثار في المحيط الصهيوني والانجليزي:

لقد فرح الانجليز بمقتل الشيخ القسام وعدد من أفراد جماعته. . وأخذ ضباطهم يهنئون بعضهم بعضاً بهذا الإنجاز الكبير الذي حققوه، فإن أخشى ما

يخشاه الانجليز هو أن تعود الأمة إلى الجهاد بقيادة عالم من علماء الإسلام.

ولم تُخف الدوائر اليهودية فرحتها الكبيرة لقيام الانجليز بقتل الشيخ القسام وبعض رفاقه، وقد عبّروا عن ذلك من خلال ما نشرته الصحف الصهيونية على صدر صفحاتها من أخبار وتحليلات.. ففي نفس اليوم الذي حدثت فيه المعركة أعلنت سينما تل أبيب على الشاشة البيضاء بأحرف عبرية كبيرة خبر الاشتباك بين الشرطة وبين جماعة عربية مسلحة وصفتها بعصابة لصوص وقتلة، كما وزعت بعض الأوساط الصهيونية في تل أبيب منشورات حول الحادث.

ونشرت صحيفة دافار الخبر فور وصوله في ملحق خاص وزع في الشوارع، ونعتت الصحف الصهيونية المجاهدين بنعوت قبيحة عكست الحقد الدفين الذي يحمله اليهود لهم، فوصفوهم بأنهم عصابة إرهابيين، قتلة ومجرمون، لصوص وقطاع طرق، وقالت البالستاين بوست أن المعلومات الشخصية الخاصة بالجماعة تشير إلى أن ماضيهم لم يكن نظيفاً، وهذا يناقض محاولات تمجيدهم كشهداء سياسيين من قبل الصحافة العربية[٤٧]. وكانت الصحف اليهودية تعلّق على مقالات تمجيد القسام في الصحف العربية، وتتحدّث عن بطولته بعبارات وقحة تحمل السخرية والاستهزاء بالعرب. وعقد «الأدون ديزنكوف» القائد الصهيوني لمدينة تل أبيب اجتماعاً في المدينة احتج فيه على أعمال جماعة القسام وسمّاها بالعصابة الإرهابية، وهاجم مدح الصحف العربية لها. وتحدثت صحيفة هياردن في مقال لها عن العرب وقيامهم بأعمال جنونية، وقالت ان زعماءهم يلعبون بالنار وتساءلت إلى متى هذا؟ وهل تريد الحكومة من اليهود أن يبقوا مكتوفي الأيدي؟ ألا ترى الحكومة بندقية القسام الموجهة إلى بريطانيا التي أنقذت العرب من عبودية الأتراك؟ ثم قالت إنه يجب على اليهود أن يفتشوا بكل جرأة عن الوسيلة التي تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم!![٤٨].

ولم تتوقف الصحف اليهودية عند حد الشتائم ونعت المجاهدين بالإجرام وإنما حاولت نفي الطابع الإسلامي عن القسام ورفاقه، فقامت بالترويج لفرية اتصال القسام بقوى خارجية، فأوردت جريدة «دوارهايوم» في ١٩٣٥/١١/٢٤م إشاعة مفادها أن جماعة القسام كانت تتلقى دعماً وتأييداً من

دولة غربية من الدول التي تهتم بتأييد العرب ـ وهذا ما دأبت عليه كـل الجهات المعادية للإسلام حتى وقتنا هذا ـ، وادّعت دافار في ٢٨/١١ أن القسام كان على علاقة بالشيوعيين وأنهم خططوا معه لقتل اليهود.

ويبدو حقد اليهود الواضح على القسام وحركته في مقال كتبـه صحفي يهودي وقّع بالأحرف الأولى من اسمه «م. أ» نشره في صحيفة دافار تحت عنـوان «قتلة باسم الله»[٤٩]. ويعكس المقال تحليل اليهود وقيادتهم لحركـة القسام، فيـذكر أن رئيس المجموعة كان شيخاً مسلماً يرى في الإسلام الحاكم الأعلى للحياة. ويعلّق على عدم وجود نصراني واحد داخل المجموعة، مما يدل على أن اتجاه القائد كان عربياً إسلامياً. ويذكر أن جـزءاً من أعضاء الجـماعة كـانوا لصـوصاً وقتلة، ولا وجـود لأي وجه وطني بـارز في صفوفهم، وهـذا لأن شيخهم جـاء بـأمـور تهم آلاف المسلمـين، وأنه لم يبحث عن مؤيـديه في الـوسط الـوطني العـربي، وإنمـا وجده في الجمهور المتديّن..

ويحـاول كاتب المقـال وصم القسام بـالإرهاب والحقـد الديني ضـد اليهـود، محاولاً استغلال الطابع الإسلامي للحركة.

وقـد قامت الصحف العـربية بـرد جميـع الإشـاعـات التي أوردتهـا الصحف اليهودية، وذكرت أن الهدف منها هو تشويه الحركة والكذب عليها، لأن مـا قام به المسلمون إنما هو موضع الدفاع عن أنفسهم في وجه الهجمة الغربية الشرسة، والحقد الصهيوني الدّفين.

(*) يعبد: قرية تقع في الجهة الغربية من مدينة جنين وعلى بعد ١٨ كيلومتراً منها، وهي من أمهات قرى القضاء فهي الرابعة بين القرى في كبرها ومساحة أراضيها المزروعة بالزيتون والحبوب والخضار، وتحيط بها غابات الأحراش الكبيرة التي تبلغ مساحتها ٩٢ ألف دونم.

وتقع بناحية يعبد مجموعة من القرى الصغيرة أشهرها: خربة الشيخ زيد، وتقع في الجهة الشمالية من يعبد. وخربة الطرْم، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية.. وفي خربة الطرْم والشيخ زيد حدثت المعركة التي استشهد فيها القسام ورفاقه. وخربة طورة الشرقية، وتقع في الشمال الشرقي. وخربة الخلجان، وتقع في الجهة الغربية من يعبد. وتحيط بها أيضاً خربة أم الريحان، وخربة سمارة، وزبْدَه.

(١) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦. وسميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٧.
(٢) مقابلة أجراها سميح حمودة مع عربي البدوي في قبلان بتاريخ ١/٤/١٩٨٤ م.
(٣) صبحي ياسين: استراتيجية العمل لتحرير فلسطين، ص ٨٢.
(٤) د. كامل خلّة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٣٨٢.
(٥) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٣/١١/١٩٣٥ م، ص ٦.
(٦) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩/١١/١٩٣٥ م، ص ٥.
(٧) عربي البدوي: مقابلة أجراها معه سميح حمودة في قبلان ١/٤/١٩٨٤ م.
(٨) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٧٥. عن الأرشيف الصهيوني: س ٢٥/٤٢٢٤.
(٩) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩/١١/١٩٣٥ م، ص ٥.
(١٠) جريدة فلسطين ـ يافا، ٢٠/١١/١٩٣٥ م.
(١١) صحيفة البالستاين بوست «بالانجليزية» ـ العدد ٢٨٩١، في ٢١/١١/١٩٣٥ م.
(١٢) جريدة دافار اليهودية ٢١/١١/١٩٣٥ م، ص ١.
(١٣) جريدة فلسطين ـ يافا، ٢١/١١/١٩٣٥ م.
(١٤) عبد العزيز السيد أحمد: عز الدين القسام رائد النضال في فلسطين، ص ٤٠.
(١٥) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦. وسميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٨٠.
(١٦) إحسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، جـ٣، ص ٢١٥.
(١٧) جريدة فلسطين ـ يافا، ٢١/١١/١٩٣٥ م.
(١٨) الرابطة العربية ـ العدد ٢٤، في ٤/١١/١٩٣٦ م، ص ٢٤.

(١٩) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٣ م.
(٢٠) عمر أبو النضر: جهاد فلسطين العربية، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٢١) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢١ م.
(٢٢) جريدة الجامعة العربية، ١٩٣٥/١١/٢٢ م.
(٢٣) جريدة الجامعة الاسلامية ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢١ م.
(٢٤) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٢٨.
(٢٥) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٢٩.
(٢٦) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٢ م، ص ٥.
(٢٧) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٣١.
(٢٨) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٣٢.
(٢٩) جريدة الجامعة الإسلامية، ١٩٣٥/١١/٢٧ م، ص ٤.
(٣٠) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٣٢.
(٣١) البالستاين بوست ـ العدد ٢٨٩٤، في ١٩٣٥/١١/٢٥ م.
(٣٢) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٢ م.
(٣٣) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٣ م.
(٣٤) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٧ م.
(٣٥) جريدة الجامعة الإسلامية، ١٩٣٥/١١/٢٢ م.
(٣٦) جريدة الجامعة الإسلامية، ١٩٣٥/١١/٢٢ م.
(٣٧) جريدة الجامعة الإسلامية، ١٩٣٥/١١/٢٤ م.
(٣٨) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١١/٢٦ م.
(٣٩) جريدة الدفاع، ١٩٣٦/٢/٣ م، ص ٥.
(٤٠) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١٢/١٢ م.
(٤١) جريدة الجامعة العربية، العدد ١٧٢٢، في ١٩٣٥/١٢/٢٤ م، ص ٣.
(٤٢) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ٨٩.. عن جريدة الدفاع، العدد ٤٩٤، في ١٩٣٦/١/١ م، ص ١.
(٤٣) جريدة فلسطين ـ يافا، ١٩٣٥/١٢/٢٦ م.
(٤٤) جريدة الجامعة العربية، العدد ١٧١٧، في ١٩٣٥/١٢/١٩ م.
(٤٥) جريدة الدفاع، العدد ٤٩٨، في ١٩٣٦/١/٦ م.
(٤٦) جريدة الجامعة العربية، العدد ١٧٢٥، في ١٩٣٦/١/٧ م.
(٤٧)
(٤٨) جريدة الجامعة الإسلامية، ١٩٣٥/١٢/١ م.
(٤٩) جريدة دافار، ١٩٣٥/١١/٢٧ م، ص ٢.

الفصل الخامس

حركة القسام بعد استشهاده

- القسّاميون على خُطى القائد.
- الأسرى القساميون أمام المحكمة.
- القسّاميون يفجرون الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ م.
- القسّاميون يقتصّون من المتعاونين مع الانجليز.
- عصبة القسّام.. «قادة وأفراد».
- شهداء حركة القسّام.
- هوامش الفصل الخامس.



الفصل الخامس

«حركة القسام بعد استشهاده»

القسّاميون على خُطى القائد:

بعد استشهاد القسام شيّعه أبناء فلسطين من حيفا إلى بلدة الياجور سيراً على الأقدام، وهم يجدّدون العهد على تحقيق أهداف الشهيد الراحل..

أما رفاق القسام وتلاميذه فلم يكونوا مع المشيعين.. فقد أكرموا استشهاده واحتفوا به بالأسلوب الذي علّمهم، وعلى الطريق الذي خطاه.. ففي اليوم الثاني لوفاته انطلق رفيقه في الجهاد الشيخ فرحان السعدي على رأس مجموعة من أنصاره، ورابطوا في جبال صفد يقارعون الانجليز.

وكان الضابطان حليم بسطة من قسم المخابرات في البوليس الانجليزي، ومساعده أحمد نايف قد وصلا بعد معركة يعبد إلى مدينة جنين وبدءا التحقيق وجمع الإفادات من الجرحى والسجناء. وعرف البوليس أن هناك مجموعة من المجاهدين القساميين لم تشترك في معركة يعبد وهي ما زالت في قرى جنين مختبئة بين جبالها[1].

وتلقت دائرة البوليس في جنين خبراً بأن باقي المجاهدين قد لجأوا إلى منطقة طولكرم، فاهتمت لهذا النبأ أعظم اهتمام.. وقرّر ضباط البوليس في نابلس عقد اجتماع لوضع خطة لاعتقال باقي المجاهدين[2].

واهتمت حكومة الانتداب بالأمر اهتماماً بالغاً، فأخذ مدير الأمن العام في فلسطين «سبايسر» يعقد اجتماعات يومية مع السكرتير العام لحكومة فلسطين لمناقشة الأمر ومتابعته، وكان اجتماعهما يدوم ساعات[3].. وأخذت حكومة الانتداب توافي لندن لاسلكياً باشتباكها مع جماعة الشيخ القسام، وبالحوادث

التي حصلت، وبأخبار تعقّبها لبقية المجاهدين. كما أجرت اتصالات مع السلطات الفرنسية في سورية ولبنان ومع حكومة شرق الأردن وطلبت مساعدتها في اعتقال باقي أفراد الجماعة، وكانت تظن أنهم غادروا فلسطين إلى تلك البلدان.

وأخذت دائرة البوليس تنشر أفرادها وقواتها في جهات مختلفة من منطقة نابلس بحثاً عن المجاهدين.. وحلّقت في سماء نابلس وقضائها أربع طائرات لاكتشاف مقرّهم. وتوجّه «نبيه ناصر» ضابط البوليس في المدينة إلى غور البادان على رأس قوة من البوليس للغرض نفسه، وانتشر البوليس السري والجواسيس في مدينة نابلس وقراها بكثرة لجمع المعلومات والأخبار عن الشيخ فرحان السعدي وبقية المجاهدين.

وكانت جهود الشرطة وتحقيقاتها المكثفة قد أسفرت عن اعتقال عدة عناصر من أتباع الشيخ القسام، ومما ساعد البوليس على معرفة أسماء عدد من أفراد الحركة في حيفا وغيرها عثوره على دفتر في جيب أحد أفراد العصبة يحتوي على أسمائهم(٤).

وابتدأت الاعتقالات من قرية فقوعة حيث تم اعتقال اثني عشر مواطناً، نقلوا إلى الناصرة للتحقيق معهم. ثم قبض البوليس في ١٩٣٥/١١/٢٨ على داود خطاب، ومعروف الحاج جابر، والشيخ صالح الصفوري، وقد وجد البوليس عند الشيخ صالح في صفورية قانون جمعية الشبان المسلمين وغلاف مكتوب عليه اسم القسام. كما قبض البوليس على الشيخ عارف سمور من يعبد، وتوفيق الزبري من عرابة، ويوسف أبو درة من سيلة الحارثية(٥)، وهو أحد الذين خرجوا مع القسام من حيفا وافترق عنه مع القسم الثاني الذي توجّه نحو الغور. وفي ١٩٣٥/١٢/٤ ألقي القبض على أسعد المفلح الذي جرح في معركة يعبد واختفى عن أنظار البوليس، ثم اعتقل في ١٩٣٥/١٢/٨ م عارف حمدان من قرية رمانة قضاء جنين، وتم تفتيش منزل رئيس بلدية قلقيلية الحاج نمر السبع، واعتقلوه مع أخويه عبد الرحيم وأحمد السبع بحجة أنهم أعضاء في

جماعة القسام[٦]. وواصل البوليس اعتقال كل من يشتبه بأن له علاقة مع عصبة المجاهدين..

وبقي هؤلاء المعتقلون مدةً رهن التحقيق والاعتقال، ثم أطلق سراح بعضهم ممن لم يثبت اشتراكهم في أعمال عسكرية، وحوكم الباقون مع المجموعة التي ألقي القبض عليها في معركة يعبد.

وفي أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٣٥ م وصلت إلى المخابرات اليهودية معلومات من مصدر وصف بأنه موثوق، تفيد بأن الشيخ فرحان تمكن من تشكيل فصيل جديد يتألف من «١٥» مقاتل وأنهم يتحصنون بين جبال نابلس..

ولكي يتفادى الانجليز ولادة تعاطف جماهيري مع الشيخ فرحان وبقية القسّاميين، أصدرت دائرة الأمن العام بياناً كذّبت فيه ما نشر في الصحف الفلسطينية بشأن مطاردتها لفرحان السعدي ومحمود سالم[٧]. وكانت صحيفة فلسطين قد نشرت أيضاً خبر ملاحقة البوليس لأسعد المفلح الذي اشترك في المعركة ولم يعثر له البوليس على أثر. ورداً على بيان الأمن العام عاد مراسل جريدة فلسطين في نابلس وأكّد ملاحقة البوليس لبقية المجاهدين، وذكرت جريدة الجامعة الاسلامية أن نبيه ناصر مدير البوليس في نابلس قد ذهب مرة أخرى إلى غور الجفتلك بصحبة قوة من الجند لتعقب أفراد الجماعة الجديدة.

وأثناء فترة عيد الفطر السعيد ١٩٣٥/١٢/٢٥ م أُشيع أن فرحان السعدي زار قرية نورس وقضى مع عائلته يوماً كاملاً، ونتيجة لهذه الأخبار فرضت المباحث الانجليزية حصاراً ومراقبة شديدين على قرية المزار وقرية نورس حيث تسكن عائلة وأقارب فرحان السعدي. وحدث أن ذهب رجل من سيلة الحارثية ويدعى يوسف إسماعيل إلى قرية المزار ليزور أخته المقيمة هناك، فداهمت قوات الأمن المنزل الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكانت مدججة بالسلاح الكامل ومؤلفة من تسعة أنفار. وحين أفاق يوسف من نومه رأى الضابط مصوّباً المسدس نحو عينيه قائلاً بلهجة شديدة: من أنت وماذا تفعل هنا؟ فأجاب عن

اسمه وسبب زيارته. وسبّبت عملية المداهمة المباغتة للمنزل بإصابة الأخت بشلل نتيجة الخوف الشديد الذي أصاب العائلة[٨].. وقيل وقتها بأن قوات الانجليز تأتي إلى القرية كثيراً في ساعات متأخرة من الليل فتزعج الأهالي الآمنين وهي تبحث عن الشيخ فرحان ورفاقه المجاهدين من أتباع الشيخ القسام.

وبعد هذا الحادث بأيام، ورد على دائرة البوليس في جنين خبراً بأن الشيخ فرحان موجود في نورس، فذهبت قوة من الأمن على رأسها توفيق بشارة مساعد مدير البوليس إلى القرية، فلم تعثر له على أثر. وفي صباح اليوم التالي ١٩٣٦/١/٩ م راجت شائعة ثانية بأنه موجود في قرية المزار، فأسرعت قوة البوليس إلى معقل الشيخ، وكان نصيبها في المرة الثانية مثل نصيبها في المرة الأولى الفشل والإخفاق[٩].

واستمر البوليس والمباحث بملاحقة السعدي ومحمود سالم والتّجوّل في القرى بحثاً عنهما دون فائدة ودون الوصول لأية نتيجة. وبقي السعدي ومحمود سالم مختفيين في الجبال إلى أن تمكنا من تنظيم أعمال عسكرية ضد الانجليز واليهود فاتحين بذلك الباب أمام الثورة.. فكانت حادثة ١٥ نيسان ١٩٣٦ م التي نفذتها المجموعة القسّامية بقيادة الشيخ فرحان بين نابلس وطولكرم قرب نور شمس مؤذنة بعهد جديد في فلسطين، استمر ثلاث سنوات، والمجاهدون يقدّمون فيه التضحيات ويسطّرون البطولات.. وهو العهد المعروف بالثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م.

الأسرى القساميون أمام المحكمة:

بعد معركة يعبد قامت السلطات البريطانية بوقف الأسرى مدة أحد عشر شهراً، حيث أجرت معهم خلال هذه الفترة تحقيقاً حول عصبة القسام وتاريخ تكوينها والأعمال التي قامت بها.. واعترف المشاركون في معركة يعبد بحمل السلاح والاشتباك مع البوليس الانجليزي. وأعدّت النيابة العامة محضر الاتهام لهم، وكان يشتمل:

١ ـ قتل الشاويش الانجليزي «موت» عمداً.
٢ ـ قتل الشاويش اليهودي «روزنفلد».
٣ ـ محاولة قتل آخرين[١٠].

وتطوّع للدفاع عن القساميين المحامي معين الماضي والمحامي أحمد الشقيري، ومثّلا الدفاع في محكمة التحقيق التي تولّى رئاستها القاضي البريطاني «هبرد». وتولّى منير أبو فاضل تمثيل النيابة العامّة.

وانعقدت محكمة الجنايات الكبرى في الناصرة بتاريخ ١٩٣٦/١٠/٢٠ م برئاسة نائب قاضي القضاة المستر «ماننغ» وعضوية القاضي «ايفانس» والقاضي محمد البرادعي العباسي، وكان المفروض أن تعقد في موعد سابق إلا أنها أُجّلت بسبب اضطرابات ثورة ١٩٣٦ م التي عمّت مدن فلسطين. وانضم للماضي والشقيري عدد من المحامين تطوعوا للدفاع عن القساميين كان منهم عمر صالح البرغوثي، ونجيب الطيب، وعبد الرحمن النحوي، وجورج صلاح.

وجّهت المحكمة التهمة لمحمد يوسف محمد، وأحمد الحاج حسن، وحسن الباير، وعربي البدوي بقتل الشاويش اليهودي روزنفلد في ١٩٣٥/١١/٧ م، والبوليس الانجليزي «موت» في ١٩٣٥/١١/٢٠ م. فاعترف المتهمون جميعاً بما فعلوا واعتبروا أن ما فعلوه كان واجباً وطنياً أدّوه، فحكمت عليهم المحكمة بالسجن أربعة عشر عاماً، وحكمت على الشيخ أحمد الحاج حسن بدفع غرامة ٢٥٠ جنيهاً دية لأسرة روزنفلد.

ثم نظرت المحكمة المركزية برئاسة القاضي «ايفانس» وعضوية محمد البرادعي العباسي ومحمد يوسف الخالدي في القضية الثانية التي اتهم فيها الشيخ نمر السعدي، ومعروف الحاج جابر، وداود علي خطاب، والشيخ أسعد المفلح بتهمة المؤامرة على القيام بعمل حربي ضد قسم من أهالي فلسطين. فحكم عليهم بالسجن سنتين مع المعاملة الممتازة واعتبار بداية سجنهم من تشرين ثاني ١٩٣٥ م، لا من حين صدور الحكم[١١].

وكان المحامون قد توقعوا الإعدام للمتهمين، ولكن الأحكام جاءت على

خلاف توقعاتهم وذلك لتجنب السلطات البريطانية مزيداً من الإثارة في تلك الأيام الثائرة(١٢).

وقد أورد الأستاذ أكرم زعيتر في يومياته بعض أقوال القساميين في المحكمة، فقال ان الشيخ نمر السعدي خاطب القضاة بقوله:

«إني أعترف بكوني صديقاً للقسام ومن أنصاره، وأعتقد أن الشيخ القسام على حق في كل ما عمل وليس على باطل، ولم تكن له مآرب شخصية وإنما هو مجاهد في سبيل الله والوطن». ولما سُئل الشيخ نمر أثناء التحقيق من قبل أحد الضباط: لو خرجت من المستشفى وأطلقنا سراحك ماذا يكون أول ما تقدم عليه؟.. فأجاب بكل هدوء: لا أكون إلا كما عرفني أستاذي الشهيد(١٣).

أما الشيخ أسعد المفلح فقد خاطب الجماهير التي احتشدت أمام المحكمة وهتفت للمحكوم عليهم وهم خارجون من قاعتها إلى السجن قائلاً: «لا تخافوا علينا، إننا لا نخاف أحداً غير الله، نحن على حق ولا تهمنا القوة ما دمنا مؤمنين بحقنا، والله أكبر ولله الحمد».. فردّدت الجماهير: «الله أكبر، الله أكبر»(١٤).

وكان تعاطف الجماهير الفلسطينية مع القسام وعصبته يبدو باحتشاد المئات أمام باب المحكمة، ونقمتهم على السلطة الاستعمارية وأحكامها ضد الثوار.

القساميون يفجرون الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ م:

كانت ثورة القسام المشعل الذي أنار الطريق للمجاهدين، والمحرك الذي ألهب النفوس وأثار الشعور الإسلامي، وفتح باب الجهاد على مصراعيه للشعب الفلسطيني، فخاضه في ربيع عام ١٩٣٦ م في ثورة هائلة عمّت فلسطين من أقصاها إلى أقصاها..

كتب المؤرخ الفلسطيني الأستاذ عزة دروزة، عن ثورة القسام وعن حادث استشهاده يقول: «وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للأحداث التي تلته حيث بعد أشهر قليلة أعلن الإضراب العام»(١٥). ووصف الأستاذ عمر أبو

النصر تضحية القسام بأنها كانت مقدّمة لصراع عنيف وجهاد رائع، يكون فيه للحق الغلبة على الباطل، وقال «إن استشهاد القسام يصح أن يحسب فاتحة الثورة ومشعل أنوارها»[١٦].

وبناء على تقديرات صبحي ياسين وعلى معلومات الوكالة اليهودية التي حصلت عليها عن طريق المخبرين فإن أفراد عصبة القسام المنتظمين بلغوا مع بداية عام ١٩٣٥ م حوالي مائتي شاب[١٧]، وكان هؤلاء مدربين على السلاح ومستعدين للموت في سبيل الله. وبعد استشهاد قائدهم انضمت مجموعة منهم للشيخ فرحان السعدي، وبقي البوليس يطارد هذه المجموعة دون جدوى، كما أن خليل محمد العيسى «أبو إبراهيم الكبير» قد شكّل مجموعة أخرى من عناصر مدينة حيفا وصفورية وأطلق عليها اسم الدراويش[١٨].

والثابت تاريخياً حسب جميع المراجع أن الشرارة الأولى للثورة انطلقت في ١٥ نيسان ١٩٣٦ م، وكان للشيخ فرحان السعدي شرف إطلاق الرصاصة الأولى التي فجّرت طاقات الشعب الفلسطيني، فكانت بمثابة البدء لثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م. . إذ قام هو وجماعته بالهجوم على قافلة يهودية على طريق نابلس ـ طولكرم ردّاً على عدوان يهودي غادر كان قد وقع على العرب في جوار يافا[١٩].

وتتلخص هذه الحادثة في أن ثلاثة مجاهدين بقيادة الشيخ فرحان قاموا بنصب كمين لقافلة من السيارات اليهودية على طريق نابلس ـ طولكرم قرب نور شمس، وقاموا بوضع حاجز في الطريق. . ولما تجمعت السيارات قاموا بالهجوم على القافلة وقتلوا ثلاثة من اليهود، ثم تسلقوا الجبال عائدين إلى قواعدهم. .

كان لهذا الحادث ردة فعل سيئة لدى البريطانيين، فقد انزعجوا لعودة العمل العسكري للظهور، وعلى الفور هرع «فتسجيرالد» مدير بوليس نابلس إلى المكان وحضر مدير بوليس طولكرم مع قوة بوليس من المدينة، وأجريت التحقيقات مع الركاب، ثم عمّ خبر الحادث على جميع مراكز البوليس في فلسطين وأطلعهم «فتسجيرالد» على تفاصيل الواقعة.

وازدادت دوريات الشرطة، ووضعت مراكز إضافية بين نابلس وطولكرم وبين نابلس والقدس وجنين والناصرة وحيفا. وعملت إدارة الأمن العام على تسيير حوالي ألف شخص من أفراد البوليس والجواسيس لتعقب العصابة، وأعلن «سبايسر» مدير الأمن العام عن نيّته الذهاب إلى نابلس للإشراف على عملية المطاردة بعد أن عجزت عن ذلك قوات بوليس نابلس[٢٠].

وأصدرت دائرة الأمن العام بلاغاً في الحادث اتهمت فيه المجاهدين أنهم عصابة سلب فقالت: «إنه حوالي الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من الليلة الماضية، أوقفت عصابة جديدة عدداً من السيارات وسلبت ركابها ما يحملونه من الدراهم. وقد قُتل اسرائيل أبراهام من يافا، وخازان زلفي من تل أبيب وجرح شخص ثالث والتحقيقات جارية»[٢١].

وكانت تلك الرصاصات التي أطلقها الشيخ فرحان وإخوانه إيذاناً بأن المعركة قد بدأت، وأن على أبناء فلسطين الاستعداد لخوض معركة التحرير. . وقد كتب الأستاذ أكرم زعيتر في يومياته يصف ردّة فعل الحادث لدى الشعب الفلسطيني فقال بأن الحادث هزّ البلاد، إنه كان حديث الناس كلهم، ورغم أن بعض الصحف قالت أنهم عصابة لصوص إلا أن زعيتر وصفهم بأنهم جماعة وطنية مجاهدة[٢٢]. وبعد حادثة نور شمس بيوم واحد أجرى الشيخ فرحان اتصالاً مع أكرم زعيتر على أمل الحصول منه على دعم مالي للثورة، فأرسل له ورقة مع أحد المجاهدين سلمها له باليد في منزله بنابلس، وكتب له أربعة أسطر ـ تقرأ بصعوبة ـ يقول فيها: «نقوم بالواجب في سبيل الله، بدأنا وسوف ننتصر، الحاجة ماسّة إلى خرطوش، المال نأخذه لهذه الغاية، نعتمد عليكم»[٢٣]. وهذه الرسالة تأكيد لنية الشيخ فرحان السعدي تفجير الثورة والانتقام للقسام.

كانت معركة ١٥ نيسان إيذاناً ببدء الكفاح المسلح، فتلاحقت الحوادث بسرعة مذهلة، وكان ميدانها الرئيسي منطقة يافا ـ تل أبيب. . ففي يوم ١٦ نيسان ١٩٣٦ م قام أعضاء منظمة «الدفاع الوطني» اليهودية باغتيال عاملين عربيين على الطريق العام بالقرب من مستوطنة «بتاح تكفا». وفي اليوم التالي

قاموا بمظاهرة ضد العرب في تل أبيب اعتدوا خلالها على كل من صادفوه منهم. وردّ أهل يافا بالهجوم على اليهود يوم ١٩ نيسان، فقامت القوات البريطانية بحمايتهم وفرضت نظام منع التجول من الساعة السابعة مساء حتى الخامسة صباحاً، كما أعلنت حالة الطوارىء في كافة أنحاء البلاد[٢٤].

وفي ٢٠ نيسان عقد اجتماع في يافا تمّ فيه إعلان الإضراب، وتجاوبت مدن وقرى فلسطين مع انتفاضة يافا، وأعلنت الإضراب العام.. وجدّد الشعب العربي الفلسطيني البيعة لسماحة الحاج أمين الحسيني، وتجسدت هذه البيعة في اختياره يوم ٢٥ نيسان رئيساً للّجنة العربية العليا الممثلة من جميع الأحزاب الفلسطينية.

وفي ٢٦ نيسان ١٩٣٦ م أصدرت اللجنة العربية العليا برئاسة سماحته بياناً دعت فيه الشعب للاستمرار في الإضراب حتى تستجيب حكومة الانتداب لمطالب الشعب التي حدّدها البيان بما يلي:

١ ـ إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي.
٢ ـ منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
٣ ـ منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

وفي ٧ أيّار ١٩٣٦ م أعلن المؤتمر العام للّجان القومية القيام بخطوة تصعيدية أخرى.. فأعلن العصيان المدني اعتباراً من اليوم الخامس عشر من الشهر المذكور.. وامتنع الشعب الفلسطيني عن دفع أي نوع من الضرائب إلى الإدارة، إذا لم تغيّر الحكومة البريطانية سياستها تغييراً أساسياً تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية[٢٥].

وكان للقساميين خلال الثورة ـ وخاصة في المرحلة الأولى منها ـ دور بارز في قيادة المعارك وتسطير آيات البطولة والفداء.. وقد تولّى أبو إبراهيم الكبير القيادة العامة للثورة في المنطقة الشمالية لفلسطين، وتولى الشيخ فرحان السعدي قيادة منطقة نابلس، وتولى الشيخ عطية أحمد عوض قيادة منطقة جنين، وتولى محمود سالم (أبو أحمد القسام) قيادة منطقة شفا عمرو. وتولى كثير من القساميين

قادة مناطق ومن هؤلاء: محمد صالح الحمد وكان قائداً في المنطقة الثانية (لواء نابلس)، وتوفيق إبراهيم وكان من قادة المنطقة الشمالية، ويوسف أبو دُرّة وكان من قادة لواء نابلس، ورشيد أبو درويش وكان قائداً لمنطقة جبل الكرمل. وكان أيضاً من قادة الثورة كل من: أبو خضر محمود الخضر، وسليمان العبد القادر، وعبد الله الأصبح، ويوسف الحمدان، وعلي إبراهيم زعرورة، وعارف حمدان، وأبو محمود الصفوري، وأحمد التوبة، وداود الحوراني، والحاج صالح أحمد طه.

ولقد عمل هؤلاء القادة وغيرهم جنباً إلى جنب مع قوات الجهاد المقدس التي كانت بقيادة الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد وكان قائداً عامّاً للثورة، والشهيد عبد القادر الحسيني وكان قائداً للثورة. وكان من قادة الجهاد المقدس في المناطق: الشهيد حسن سلامة، وعارف عبد الرازق، وعبد الحليم الجيلاني، وإبراهيم أبو ديّة، وحمد زواتا، وفوزي جرار، وعبد الفتاح العبد.

وقاد القساميون أول معركة في منطقة حيفا في شهر أيار ١٩٣٦ م، فهاجموا مستعمرة يهودية قرب وادي الملح بين حيفا وجنين، وقتلوا عدداً من حراس المستعمرة وخمسة من سكانها[٢٦]..

وبعد قدوم فوزي القاوقجي وتعيينه قائداً عامّاً للثورة في فلسطين، تعاون القساميون معه، ولكن هذا التعاون لم يدم طويلاً.. وحسب المعلومات عن الجماعات الثورية في فلسطين خلال سنة ١٩٣٦ م المقدمة من أحد جواسيس الوكالة اليهودية فإن خلافاً نشب بين فرحان السعدي وفوزي القاوقجي حول قضايا النزاهة، وأدّى الخلاف إلى استقلال فرحان بنشاطه الثوري، مع (١٢٠) مجاهد من قرى اليامون والسيلة الحارثية ودير أبو ضعيف[٢٧].

لقد قام القساميون بعدد من المعارك خلال ثورة ١٩٣٦ م.. وكان من أشهرها معركة عين جالود التي قام بها الشيخ فرحان مع رجاله عام ١٩٣٦ م، وجُرح في زنده، ورغم ذلك فقد استمرّ في جهاده واستعمل المسدّس بيد واحدة..

وفي ١٩٣٦/٦/٣٠ م كمنت مجموعة «أكثر من مائة» من المجاهدين بقيادة

الشيخ فرحان والشيخ عطية على طريق جنين ـ نابلس، قرب قرية الفندقومية، وذلك بانتظار قافلة عسكرية بريطانية ستمرّ من هناك، وحين مرّت القافلة انهال عليها المجاهدون برصاصهم الغزير وأوقعوا بها خسائر فادحة، وأوشكت على الاستسلام لولا نجدة وصلتها تجاوزت الألفي جندي بدبّاباتها ومدافعها وحراسة الطائرات. . فاستمرّ الثوار بالقتال ببسالة رائعة، واتسعت رقعة المعركة بعد أن حضرت نجدات عربية من القرى المجاورة ودامت المعركة أكثر من ست ساعات خسر الانجليز خلالها ثلاثين قتيلاً، وتعطلت لهم مدرّعة عندما انفجر بها لغم أرضي، واستشهد من المجاهدين ثلاثة أبطال[٢٨]. وبعد المعركة اتجه الثوار إلى معاقلهم في المغاور ليخفوا أسلحتهم ثم ينطلق كل منهم إلى حال سبيله وكأنّ أمراً لم يحدث. . ثم يعودون إلى بيوتهم وأعمالهم بكل هدوء.

واستمرّ الشيخ فرحان في قيادة فصيله الجهادي خلال المرحلة الأولى من الثورة، أي قبل تدخّل ملوك ورؤساء الدول العربية بضغط من بريطانيا، وقيامهم بإقناع اللجنة العربية العليا بوقف الثورة والإضراب، وتقديم الشهادات والبيانات أمام اللجنة الملكية البريطانية المكلفة بالتحقيق في أسباب الثورة ودواعيها.

وخوفاً من الملاحقة البريطانية للشيخ فرحان ولباقي قادة الثورة، وبطلب من اللجنة العربية العليا، اتجه فوزي القاوقجي والشيخ فرحان إلى العراق عن طريق شرقي الأردن يصحبهم ٤٥ مجاهداً، ورفضت حكومة العراق الموالية للإنجليز دخولهم مع أسلحتهم. ولم يستطيعوا اجتياز الحدود إلا بعد أن تجرّدوا من السلاح الذي يحملونه[٢٩]. . وفور خروجهم أصدرت الحكومة البريطانية في فلسطين بياناً حول الأحداث كانت قد امتنعت عن إصداره حتى يخرج قادة الثورة من البلاد[٣٠].

وبقي فرحان السعدي في العراق وسورية حتى عام ١٩٣٧ م حيث أعلنت اللجنة الملكية قرارها القاضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، فهاجت فلسطين نتيجة لهذا القرار الجائر، وأقدم الانجليز على إقالة الحاج أمين الحسيني

من منصبه الرسمي، وعلى حل اللجنة العربية العليا ونفي الزعماء إلى الخارج..

وعاد القساميون إلى أعمال الجهاد، وقاموا بأخطر عمليات الفداء، إذ استطاعوا اغتيال «أندروز» حاكم اللواء الشمالي معلنين بذلك عودة الثورة والجهاد ضد الانجليز.

وابتدأت المرحلة الثانية من الثورة بداية شبيهة بالمرحلة الأولى، فمقتل حاكم الجليل «اندروز» في ١٩٣٧/٩/٢٦ م كان على يد عصبة القسام السرية، كما كان حادث الإعتداء على القافلة اليهودية في ١٧ نيسان من السنة التي قبلها على يدهم أيضاً. وقد قام باغتيال اندروز في الناصرة المجاهدان الشيخ محمد نجي أبو جعب من «قباطية» والشيخ محمود الديراوي من «دير أبو ضعيف».

أسباب إغتيال اندروز:

قام المندوب السامي البريطاني ببذل الجهود لإقناع العرب بقبول التقسيم.. ونظراً لأهمية المنطقة الشمالية في فلسطين، وقيام حركات مسلحة فيها ضد الحكومة، فقد تمّ تعيين المستر «اندروز» حاكم لواء للمنطقة، وأُسند إليه مهمة التمهيد لتنفيذ التقسيم، وأُطلقت يده لعمل ما يراه لازماً بهذا الصدد. وكان اندروز من أقدم موظفي حكومة الانتداب وأعرفهم بشؤون البلاد وأهلها، وهو معروف بالنشاط وإتقان اللغة العربية.

سعى أندروز بكل الوسائل ومختلف الأساليب لحمل العرب على القبول بالتقسيم، وبذل جهوداً ضخمة لإقناعهم بفوائده ومزاياه.. ولكنه لم ينجح في مهمته، فحنق عليهم وراح يتخذ أقسى الإجراءات وأعنف التدابير ضدهم. ثمّ رأى إيجاد «جوّ» في المنطقة، يكره العرب على الاستسلام لسياسة الحكومة. فاتفق مع القادة اليهود ومنظماتهم السرية الإجرامية على إرهاب العرب وتخويفهم، فانقض الإرهابيون اليهود على العرب بسلسلة من الإعتداءات المسلحة الإجرامية، وانطلقوا ينسفون الممتلكات ويحرقون المزارع العربية..

وتركت أعمال اليهود الإجرامية أسوأ الأثر في الأوساط العربية وضاعفت من

حدّة المقاومة الفلسطينية للتقسيم. ونقم العرب على «أندروز» واعتبروه المسؤول الأول عن تعرضهم للإعتداءات اليهودية الإرهابية[٣١].

وأندروز هذا كان من الحكام الانجليز الذين اشتهروا بتجبرهم وطغيانهم وشدة حرصهم على محاباة اليهود، وله دور ضليع في تمليك الأراضي لليهود وسلبها من أصحابها العرب. ابتدأ عمله مساعداً لحاكم لواء القدس، فشدّد قبضته على الصحف العربية ومنعها من التحريض ضد اليهود، وحينما قرّرت الحكومة القيام بمشروع إنشائي برأسمال مليون جنيه جعل أندروز هذا المشروع وكراً لليهود، وأقنع الحكومة بإلغاء الجزء المخصص لمساعدة العرب المطرودين من أراضيهم.

وعُيّن أندروز فيما بعد ضابط اتصال أمام اللجنة الملكية البريطانية فقدّم للصهيونية خدمات كبيرة مما حدا باليهود للسعي لدى الحكومة لترقيته فعُيّن حاكم لواء. وحين تمّ التعيين أمضىٰ في السكان العرب نفياً وسجناً وطبّق على كثير منهم قانون الطوارىء وقانون منع الجرائم، وأصدر أمراً إدارياً بتجديد سجن عدد من جماعة الشهيد عز الدين القسام عاماً آخر بعد انتهاء مدة الحكم الأصلي. أما في مجال الأراضي فقد كان أندروز صاحب اليد الطولى في انتزاع أراضي وادي الحوارث من يد العرب وإجلائهم عنها وتسليمها لليهود بالقوّة.

وبسبب هذا السّجل الحافل من الإجرام حكم القساميون عليه بالإعدام واستطاعوا في ١٩٣٧/٩/٢٦ م قتله في مدينة الناصرة أمام الكنيسة الانجليكانية بعد خروجه منها بصحبة «جوردون» أحد مساعدي حكام الألوية، وجاء اغتياله على الرغم من وجود حرّاس مسلحين معه[٣٢].

والأهم من عملية الاغتيال هو أن المجاهدين استعدّوا للنتائج، فسرعان ما انتشروا في الجبال يتصدّون للدوريات وللبوليس باشتباكات مسلحة. ولم يمض بضعة أسابيع حتى توزع المسلحون في عصابات منظمة وابتدأوا عملياتهم الثورية في المنطقة الشمالية ومنطقة المثلث الذي دعته السلطة بمثلّث الرُّعب لشدة ما جابهت فيه من صمود وبطولات.

لقد كان لعصبة القسام اليد الرئيسية في انتشار العصابات المسلّحة المنظمة، وخاصة في الشمال. . وهناك دلائل واضحة تدل على ذلك:

الدليل الأول: هو قدرة تلك العصابات على تجاوز العديد من المشاكل بمهارة وحزم، ومن الصعب فعلاً على تنظيمات مسلحة دون مستوى التنظيمات القسّامية أن يكون ضمن قدرتها الفكرية والثورية والنفسية أن تتجاوز تلك المشاكل خلال أسابيع من الزمن ساد فيها الرُّعب واللامسئولية أرجاء البلاد. وقد كانت المشكلة الرئيسية وقوف بعض الأهالي في القرى موقفاً سلبياً خوفاً من السلطة، وذلك من حيث التموين، والسماح للثوار باللجوء إلى القرى عند الضرورة. ولمّا لم يكن الوقت ليسمح بالإقناع والجدل فقد كانت العصابات جادّة وحازمة وضاغطة على الخائفين بكل الوسائل حتى تمكنت من تجاوز هذه المشكلة ومن إعادة المناخ الثوري إلى القرى كلها.

والدليل الثاني الهام هو بروز العديد من عصبة القسام قادة مسئولين ورؤساء فصائل في الثورة، وذلك منذ عُرفت قيادات الثورة المحلية.

أما الدليل الثالث فهو الانتقام الرهيب من «القسّاميين» على يد السلطة، وقد كانت أبشع صورة لانتقامهم محاكمة القائد القسامي فرحان السعدي، على الرغم من كونه شيخاً قد تجاوز الثمانين من العمر، وإعدامه وهو صائم في رمضان.

إغتيال «موفات» الحاكم العسكري لمدينة جنين:

في عام ١٩٣٨ م كان المجاهدون يكثرون من مهاجمة المعسكرات والثكنات والمطارات والقوافل العسكرية. . ولجأ الانجليز إلى أساليب القمع المتوحشة، وجلبوا أربع فرق من أشد الجنود، وزادوا عدد الشرطة حتى وصل عشرة آلاف رجل. . ووصل عدد الشهداء إلى الآلاف، ومنهم (١٥٠) أعدمتهم المحاكم العسكرية.

وفي أواخر سنة ١٩٣٨ م وصلت الثورة إلى القمة وسيطرت على البلاد ما عدا المدن الكبرى، وبدأ المجاهدون يظهرون بين حين وآخر في المدن. .

وكان يوسف أبو دُرّة القائد القسامي المعروف مسؤولاً عن منطقة جنين. . فأرسل مجاهداً من قرية قباطية اسمه علي أحمد مصطفى (أبو عين) من آل أبو الرُّب، لإغتيال «موفات» الحاكم العسكري لمدينة جنين. . وفي صباح يوم ١٩٣٨/٨/٢٣ م دخل المجاهد «أبو عين» إلى مكتب «موفات» وكان في الدور الثاني من بناية الحكومة، وحاول الحرس منعه، فأخبرهم أن معه خطاباً يريد أن يسلمه لموفات بيده، فمنعوه من الدخول، وفي أثناء ذلك سمع موفات الجدال الدائر بينهم، فأمر الحرس أن يدخلوه. . ولما دخل المكتب عليه أعطاه ورقة ليقرأها وفيها قرار من قيادة الثورة بالحكم عليه بالإعدام، ولما بدأ موفات بقراءة الورقة، أخرج «أبو عين» مسدسه وأطلق عليه الرصاص حتى أجهز عليه، وخرج من مكتبه إلى المكاتب الأخرى فوجد الجميع قد قفلوا أبواب المكاتب عليهم. ولم تجرأ الشرطة التي كانت تقوم بالحراسة من الاقتراب منه، وعندما خرج إلى الشارع لم يستطع أي شرطي الاقتراب منه.

وقامت القوات البريطانية بهدم بيوت كثيرة في مدينة جنين انتقاماً لمقتل «موفات»، وطوقت المنطقة بأعداد كبيرة من الجنود وقوات الشرطة، وتمكنت من القبض على المجاهد «أبو عين» بين أشجار الزيتون، وجرت له محاكمة سريعة وتمّ إعدامه.

وقد وردت هذه الحادثة في مذكرات الضابط البريطاني «جفري مورتون»، والتي نشرتها جريدة الدفاع مسلسلة ابتداء من تاريخ ١٩٥٨/٨/٥ م. . وكان «مورتون» وقتها يقيم في مدينة جنين حيث أسند إليه «سوندرسون» المفتش العام، مهمة خطيرة في مدينة جنين. . يقول «مورتون»:

«وكانت الاضطرابات في فلسطين قد اتخذت اتجاهاً مغلوطاً، وتسلم شؤون الاضطرابات في جنين والشمال رجل اسمه يوسف أبو دُرّة، بائع شراب العرق سوس في حيفا، وكان تاريخه إجراماً في إجرام، وكان لأبي درة مساعد اسمه يوسف حمدان، وكان «موفات» يقول إنه هو العقل المفكر والمدبر من وراء أبي درة. .

أحدب وجريمة: كانت مكاتب «موفات» مساعد الحاكم والقائمقام تقع في الدور الثاني من عمارة كبيرة مقابل الجامع في جنين، وكان مركز البوليس وسجن التوقيف يشغلان الدور الأول من تلك العمارة، وكان يحرس مدخل العمارة بوليسان مسلّحان لا يسمحان بالدخول لأي إنسان قبل تفتيشه. أما في الليل فكان المدخل يغلق أحكم إغلاق، وخصّصْتُ للمستر موفات مساعد الحاكم بوليساً بريطانياً مدرّباً، هو مورجان، لا يفارقه نهاراً ولا ليلاً إلى أن تتسلمه قوة الجيش التي كانت تعسكر في المحطة حيث كان موفات يأكل وينام.

وفي صباح ١٩٣٨/٨/٢٣ م جلست مع موفات في مكتبه نتباحث في شؤون الحالة، وغادرت مكتبه الساعة الحادية عشرة والنصف تماماً، ولما خرجت شاهدت مورجان واقفاً بسلاحه على الباب، كما شاهدت بوليسين مسلحين واقفين على باب العمارة. وكان مكتبي يقع على بعد ثلاثماية ياردة من العمارة، ولم أكد أستقر في مكتبي حتى دخل مورجان ليقول لي أن المستر موفات قد نسي أن يقول لي كذا وكذا، فشكرت مورجان وقلت له مع السلامة.. وسمعت طلقات نارية من مسدس تدوي داخل العمارة التي فيها مكتب موفات وموظفيه، فأسرعت أنا وعدد من رجال البوليس البريطاني ومعنا مورجان إلى العمارة، فوجدناها خالية خاوية، لأن كل موظف هناك دخل غرفته وأغلق عليه الباب، وهرولت إلى مكتب موفات فوجدته مغلقاً، فصرخت من ثقب باب المكتب وقلت موفات.. موفات.. هل أنت بخير؟ فسمعت صوتاً كأنه خارج من القبر يقول لي: هل جئت يا مورتون؟ الحمد لله... ثم تحامل موفات على نفسه وفتح الباب ثم سقط على الأرض في بركة من الدماء، واستدعيت الطبيب والقائد العسكري.. وأرسل موفات إلى حيفا حيث توفي هناك..

أما ما حدث لموفات فهذه خلاصته: لم يكد مورجان يخرج حتى دخل فلاح أحدب أبيض وأطلق رصاصة على صدر موفات وخرج ثم عاد وأطلق على موفات ست رصاصات أخرى وخرج، وهنا تنبّه موفات فتحامل على نفسه وأغلق الباب. واستطعنا أن نحصل على أوصاف القاتل بسرعة وجاء الجيش وطوّق المكان. وشاهد أحد أفراد الجيش فلاحاً أحدب أبيض يمرّ بين أشجار

الزيتون في تلصص، فأمسك به وأحضره إلى البوليس، وانحصرت كل الشبهات في ذلك الأحدب واسمه علي أحمد مصطفى من قرية قباطية، ودلت تحرياتنا فيما بعد على أن يوسف أبو درة أراد أن ينتقم من موفات فأرسل علي مصطفى لاغتياله وأعطاه مسدساً.

القساميون يقتصون من المتعاونين مع الانجليز:

كان الانجليز يدركون ما لدعوة الشيخ القسام ونشاطه السياسي من أثر في عرقلة برامجهم في فلسطين، وخطتهم الرامية لإقامة وطن قومي لليهود. لذا فقد عملوا جاهدين للتضييق على الشيخ والقضاء على حركته.

ومنذ وصول الشيخ القسام إلى حيفا عام ١٩٢٠ م، والانجليز يعلمون خطورته وتوجيهاته من أجل الجهاد، فقد أرسلت المخابرات الفرنسية في سورية لحكومة الانتداب في فلسطين رسالة تخبرها فيها بأن القسام اشترك في الثورة السورية عام ١٩١٩ م وأنه محكوم عليه بالإعدام، وأشارت إلى أنه إنسان يشكل خطراً على الأمن. وابتدأت المخابرات الانجليزية بمراقبة تحركات القسام، وملاحظة اتصالاته بعناصر الحركة الوطنية في فلسطين.

وبعد التحقيقات التي أجريت حول العمليات الفدائية ضد المستعمرات اليهودية في شمال فلسطين، تمّ أول إعتقال للقسام بعد عملية نهلال، إلا أنّ المحكمة برأته لعدم توفر أدلة كافية لإدانته. وأشار الكتاب السنوي البريطاني لعام ١٩٣٥ م، إلى أن الانجليز بقوا يشكون في علاقة القسام بهذه الأعمال[٣٣].

وكان اثنان من العرب يساعدان الانجليز بمراقبة القسام وملاحقته، ويعملان على كشف حركته قبل استكمال استعدادها. الأول منهما مصري قبطي يدعى حليم بسطة، والثاني فلسطيني من قرية قبلان قضاء نابلس يدعى أحمد نايف.. وكان حليم بسطة قبل دخوله فلسطين يعمل مع الانجليز في مصر، ولما دخل الانجليز إلى فلسطين بقيادة اللورد اللنبي دخل بسطة معهم، وتفانى في خدمتهم، فترقى في المراتب الإدارية حتى أصبح مساعداً لمدير البوليس في حيفا، وعُرف بين الناس بمطاردة الثوار منذ بداية عمله في الشرطة[٣٤].

أما أحمد نايف، الذي عمل ضابطاً سرياً مع بوليس حيفا، وكان المساعد الأول لحليم بسطة، فقد بذل جهوداً كبيرة في أثناء تحقيقات البوليس حول حادث نهلال للكشف عن الفاعلين، وتولى التحقيقات مع ضابط انجليزي يدعى «كلايتمان»، واستطاعا نتيجة لجهودهما المكثفة من الكشف عن المجاهدين الذين نفذوا العملية، كما كشفوا عن أعضاء آخرين من حركة القسام. وقام حليم بسطة باعتقال اثني عشر مجاهداً منهم بتهمة التآمر لقتل اليهود إلا أن المحكمة أطلقت سراحهم لعدم كفاية الأدلة. واستمر أحمد نايف في مراقبة خطوات القسام للإيقاع به، وسكن في منزل مجاور لمنزل الشيخ ليسهل عليه مراقبة تحركات الشيخ. ويقال أنه أول من تنبّه لغياب القسام عن حيفا في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٥ م. فبذل جهده لمعرفة موقع القسام وجماعته، وبث المخبرين في القرى والجبال للبحث عن المجاهدين.

وبعد معركة يعبد تولى حليم بسطة التحقيق مع الأسرى بعد أن زجّ بهم في سجن الناصرة.. ونتيجة لخدماته الكثيرة لليهود فقد قدّموا له هدية مجزية، كانت بيارة برتقال تدر عليه دخلاً سنوياً يبلغ ألف جنيه، وكان رصيده في البنك حوالي (٣٠) ألف جنيه، وهو مبلغ ضخم جداً بالنسبة لموظف بوليس في ذلك الوقت[٣٥].

وكان لعصبة القسام الحق في أن تحافظ على نفسها من هؤلاء الخونة وأمثالهم، فاتخذت منهجاً في اغتيال الخونة والجواسيس يعتمد أسلوباً معيناً عندما يُتخذ القرار باغتيال واحد من هؤلاء. فبعد أن تجتمع لدى الجماعة المعلومات الكافية ضد أي مواطن عربي يقوم بجريمة السمسرة لبيع الأرض، أو التجسس أو التعاون مع السلطة الحاكمة والصهاينة.. يُرفع القرار إلى عالم ديني لإصدار فتوى بقتل الشخص المدان.

ابتدأت العصبة سلسلة من الاغتيالات في صفوف المسئولين الذين لاحقوا أفراد جماعتهم وتعقبوها من الحكام ورجال البوليس، وكان من أبرز هذه الحوادث وأولها اغتيال حاكم الجليل اندروز، وهو أحد كبار المسؤولين الذين لاحقوهم في شمال فلسطين.

ولم ينس القساميون لحليم بسطة وأحمد نايف دورهما المشين وخدمة الانجليز في الكشف عن شيخهم ورفاقه، فقرّروا اغتيالهما واغتيال كل من ثبت اشتراكه في التجسس ومساعدة المستعمرين. .

ففي ١٩٣٦/٨/٧ م نجحوا باغتيال أحمد نايف في حيفا. وكان من أبلغ مظاهر الوعي عند المسلمين أنهم لم يكتفوا بالامتناع عن السير في جنازته، بل إنهم أغلقوا أبواب المساجد ولم يسمحوا بالصلاة عليه فيها، كما أبوا أن يدفنوه في مقبرة المسلمين، فأرجأت السلطة دفنه حتى الليل ثم عيّنت حارساً على قبره لئلا ينبشه أحد. وقامت الصحف اليهودية بوضع صورة أحمد نايف في إطار أسود تعبيراً عن حزن اليهود لمقتله، كما أعلنت السلطة أنها ستدفع مكافأة خمسماية جنيه لكل من يدلها على ما يمكن الاهتداء به إلى معرفة قاتليه[٣٦].

وفي ١٩٣٦/١٠/٧ م أطلق اثنان من القساميين النار على حليم بسطة قرب بيته في حيفا، فأصيب بجروح في عنقه، ولكن إصابته لم تكن خطرة[٣٧]. . وبعد أن قضى بضعة شهور في مستشفيات القاهرة، عاد إلى حيفا لمواصلة عمله وللإنتقام من الذين اعتدوا عليه. وكان القساميون قد شكّلوا فرقة اغتيال خاصة لقتله[٣٨].

وبعد انقضاء بضعة أيام على وصوله تمت عملية اغتياله في ١٩٣٧/٤/١٥ م حيث أطلق عليه قسّامي النار في رابعة النهار، فلاذ بدكان محتمياً بها، فلحقه المجاهد إلى داخلها وأفرغ فيه رصاصات مسدسه، ولما تبيّن أنه أجهز عليه عاد أدراجه يمشي بهدوء وتؤدة[٣٩].

أثار اغتيال حليم بسطة الانجليز وأذاعت السلطة النبأ مساء اليوم الذي اغتيل فيه بالراديو، وأذاعت مديرية الأمن العام بياناً في اليوم التالي أعلنت فيه أنها رصدت جائزة قدرها ألف جنيه لمن يدل على الفاعلين في مقتل بسطة أو من يدلي بمعلومات تساعد على معرفة الفاعلين[٤٠]. وسافر مدير التحقيق «ركز» إلى حيفا لتولي التحقيق في الحادث، وبادر إلى اعتقال النجار الذي قتل بسطة في دكانه، وأصدر المندوب السامي بياناً باسمه ينعي فيه القتيل مع الأسف الشديد، يقول البيان:

«يعلن فخامة المندوب السامي مع الأسف الشديد أن حليم أفندي بسطة، مساعد مدير البوليس، وأحد الضباط المخلصين في عملهم، قد قتل بالرصاص بعد ظهر اليوم في حيفا، بيد ثلاثة أشخاص من العرب المسلحين بالمسدسات، وقد أصيب معه الكونستابل الذي يرافقه بجراح مميتة»[٤١]. وأرسلت جثة بسطة إلى مصر ليدفن فيها لاستحالة دفنه في فلسطين.

وكان القساميون قد قاموا بقتل محمد الصفوري يوم ١٩٣٧/١/٤ م في شارع الناصرة بحيفا، وقد أصابوه برصاصتين نفذت إحداهما من ظهره، والصفوري هو أحد الشهود الذين شهدوا ضد عصبة القسام في المحاكمة. وفي صباح يوم ١٩٣٧/٢/٣ م، أطلقوا عدة عيارات نارية على يوسف جليلة ـ وهو من قرية عرابة ـ على مقربة من شارع الناصرة بحيفا، فقتل من جرائها. وكان جليلة يعمل حارساً عند أحد اليهود وشهد ضد القساميين في حادثة نهلال[٤٢]. ثم قتل مساء ١٩٣٧/٢/٢٢ م أحد أفراد البوليس ويدعى «سليم فرج»، وكان يعمل مع بسطة ونايف في شرطة حيفا، وشهد ضد القساميين في المحكمة بحادثة نهلال..

وفي مقابلة أجريتها مع السيد عبد الله السعدي في صيف ١٩٨٦ م بعمان، أخبرني أن والده الشيخ فرحان السعدي كان يتتبّع عملاء الانجليز الذين كانوا يلاحقون الشيخ القسام ورفاقه بعد خروجهم من حيفا، وأنه وصلته أخبار عن بعض المشبوهين، وكان أحدهم ـ من قرية رمانة ـ يعمل موظفاً في الأحراش، وأنهم أخبروا السلطات بمشاهدتهم للقسام ورفاقه وهم يتجهون نحو أحراش يعبد. فأرسل إليهم الشيخ فرحان إنذاراً بأنه سينتقم منهم إذا ثبتت عليهم الوشاية، فأسرعوا إليه يحلفون الأيمان بأنهم أبرياء منها، فقبل منهم اليمين ولكنه بقي يتابع تحركاتهم.

وقام القساميون طوال مرحلة الثورة بتنفيذ سلسلة من الاغتيالات ضد الخارجين على الثورة وعلى المبادىء الوطنية.. وكانوا يتبعون في عملهم هذا السرية التامة.

عصبة القسّام . . «قادة وأفراد» :

بعد العرض المفصل الذي قدّمناه للأعمال التي قامت بها عصبة الشيخ عز الدين القسام، يجدر بنا أن نقدّم تعريفاً مختصراً لأفراد هذه الحركة الجهادية، مع بيان دور كل واحد منهم وخاصة الذين كانوا في موقع القيادة والمسؤولية أو الذين برزوا منهم في أعمال بطولية خلال جهادهم الميمون.

١ ـ الشيخ فرحان السعدي(*) :

ولد فرحان السعدي في قرية نورس من أعمال جنين بفلسطين عام ١٨٦٤ م، وتلقّى علومه الابتدائية في كُتّاب القرية ثم في مدرسة جنين الابتدائية، وانصرف بعدها إلى الأعمال الزراعية، كسائر أبناء عصره من أهل القرى[٤٣]. إلا أنه كان مولعاً في شبابه بالفروسية، وبتلقي الدروس الدينية في المساجد، وبالاجتماع مع العلماء، فأضفت عليه نشأته الدينية مهابة واحتراماً في بيئته، حتى أنّه عُرف بين الناس بالشيخ فرحان. .

شارك الشيخ فرحان في المؤتمرات الوطنية وفي المظاهرات ضد السلطة بصورة متواصلة. وفي ثورة ١٩٢٩ م ألّف عصبة من المجاهدين في قضاء جنين، تصدّت للحكام الانجليز بالتمرد والعصيان، فقبضت عليه السلطة وسجنته ثلاثة أعوام في سجن عكا وسجن نور شمس، ولما خرج من السجن كان يكثر من زيارة مدينة حيفا، وهناك اتصل بالشيخ عز الدين القسام وانضم إلى حركته الجهادية.

وفي ١٥ نيسان ١٩٣٦ م هاجم الشيخ فرحان مع مجموعة من رفاقه، قافلة يهودية على طريق نابلس ـ طولكرم، وقتلوا ثلاثة من اليهود، وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى لثورة ١٩٣٦ م. ثم انتقل الشيخ فرحان بعد هذه الحادثة مع رفاقه إلى الجبال معتصمين بوعورتها وكهوفها يجاهدون طوال المرحلة الأولى من الثورة. وبعد مقتل «اندروز» بثت السلطة عيونها بكثافة تتعقب القساميين حتى تمكنت من القبض على الشيخ فرحان. . ولمّا كانت السلطة تعلم أن الشيخ هو العقل الأول في العصبة بعد استشهاد القسام فقد حاكمته محاكمة

صورية في ثلاث ساعات موجهة إليه تهمة مقتل أندروز، وأصدرت حكمها عليه بالإعدام شنقاً.

رفض السعدي أن يتكلم في أثناء المحاكمة مدافعاً عن نفسه، فكان هادئاً وكانت كلماته قليلة جداً وجريئة، وعندما سألوه: أأنت مذنب؟ أجاب: «معاذ الله أن أكون مذنباً».

ورغم أن عدداً من المحامين تبرعوا للدفاع عن السعدي، إلا أن المحكمة العسكرية أسرعت بقرار الحكم عليه بالإعدام، ونفّذته في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٧ م، ولم تبال أن يكون الشيخ صائماً في رمضان، بل أرادت تنفيذ الحكم فيه وهو صائم ليكون عبرة لغيره، إلا أن النتيجة جاءت على عكس ما توختته الحكومة، إذ لم يحدث في تاريخ البلاد أن أُعدم شيخ في مثل عمره، وفي شهر رمضان. فأدى إعدامه إلى انبعاث الحماسة الثورية من جديد[٤٤].

٢ ـ خليل محمد العيسى (أبو إبراهيم الكبير):

ولد أبو إبراهيم الكبير في قرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله. ولما شبّ سكن مدينة حيفا وعمل فيها بائعاً لأكياس الخيش والصوف في بقالة صغيرة. وفي حيفا تعرف أبو إبراهيم على الشيخ القسام وتوثقت علاقته به، فكان من أوائل المنتظمين في العصبة القسامية وأوائل القياديين فيها.

اشترك أبو إبراهيم في تنفيذ مجموعة من العمليات المسلحة ضد مستعمرات اليهود في شمال فلسطين ما بين عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٣ م، واعتقل بعد عملية نهلال، ومكث في السجن تسعة أشهر، وخرج بعد أن برّأته المحكمة.

قام بتشكيل تجمّع من القساميين ـ بعد استشهاد القسام ـ في حيفا وصفورية وأطلق عليه اسم «الدراويش»، وابتدأ بملاحقة العملاء والجواسيس الذين ساعدوا في الكشف عن أفراد الجماعة، والذين شهدوا في المحكمة ضد المجاهدين في عملية نهلال، وبعد معركة يعبد. وكان خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م قائداً عاماً لمنطقة الشمال. ومن المعارك التي قادها بنفسه معركة «يركا» عام ١٩٣٩ م والتي استمرت خمس ساعات قُتِلَ خلالها عدد كبير من

الانجليز، واستشهد خمسة مجاهدين[٤٥].

وبعد توقّف الثورة عام ١٩٣٩ م سافر إلى العراق مع مجموعة من المجاهدين، ثم لجأ إلى سورية بعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ م، ومن هناك التحق بالحاج أمين الحسيني في ألمانيا حيث تدرب على الأعمال العسكرية الحديثة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد إلى سورية فالأدرن وعاش فيها إلى أن توفي في الأردن[٤٦] عام ١٩٧٩ م.

٣ ـ الشيخ عطية أحمد عوض:

وُلد الشيخ عطية في قرية بلد الشيخ قرب حيفا، وفيها نشأ وتلقّىٰ بعض التعليم، ثم انتقل إلى مدينة حيفا، حيث اشتغل في أعمال مختلفة، وتعرّف على الشيخ القسام وانضم إلى حلقته في المسجد، ودرس القرآن الكريم وعلوم الدين..

وبعد استشهاد القسام عام ١٩٣٥ م، أخذ الشيخ عطية يؤسس فصائل من الشبان للجهاد ويدربهم بالتعاون مع خليل محمد العيسى. وحين بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م، برصاصات الشيخ فرحان كان الشيخ عطية إلى جانبه.

قاد الشيخ عطية الثورة في جبل الكرمل، ثم انتقل ورجاله إلى منطقة جنين، حيث أُسندت إليه قيادة قسم كبير منها إضافة إلى مناطق في شمال فلسطين. وأخذ هو ورجاله يغيرون على المواقع والمستعمرات اليهودية في منطقة جنين، فيقتلون حراسها، ويواجهون القوات البريطانية التي تهرع لمساعدة اليهود.

قامت القوات البريطانية بمطاردة الشيخ عطية وجماعته دون جدوى، فخصّصت ٥٠٠ جنيه لمن يساعد أو يقدّم إخبارية تؤدي مباشرة إلى القبض عليه.

خاض الشيخ عطية عدداً كبيراً من المعارك ضد القوات البريطانية، منها معركة الفندقومية على الطريق بين جنين ونابلس في ١٩٣٦/٦/٣٠ م، إلى

جانب الشيخ فرحان السعدي. ومعركة وادي عرعرة في ١٩٣٦/٨/٣٠ م[٤٧]. ومعركة «المغيّر» التي طوّقته فيها القوات البريطانية، فانسحب هو وإخوانه إلى قرية اليامون، وقتل في المعركة كثيرون من جنود الانجليز، واستشهد أكثر من ثلاثين مجاهداً في مقدمتهم الشيخ محمد أبو القاسم من عين غزال. وقاد الشيخ عطية فصائل: القسام، حمزة بن العباس، عمرو بن العاص، وأبو بكر في معركة بطولية ضد الانجليز حيث هاجم جنودهم في مدينة جنين في أواخر عام ١٩٣٧ م، ودخلوا المدينة من جميع الجهات بالتكبير والتهليل تتقدّمهم المدافع الرشاشة، وفرّ الانجليز منها، واستولوا على كل ما فيها من بنادق وذخيرة، ودام احتلالهم لها عدة ساعات.

وفي أوائل آذار ١٩٣٨ م اشتبك الشيخ عطية مع القوات البريطانية في معركة اليامون قرب جنين، والتي استمرّت يوماً كاملاً، واستشهد فيها الشيخ عطية مع تسعة مجاهدين[٤٨]. وتولى قيادة المنطقة بعده القائد يوسف سعيد أبو دُرّة.

وعُرِف الشيخ عطية بالشجاعة والحكمة وحسن القيادة، والتّعفف واستقامة الخلق.

٤ ـ الشهيد محمد صالح الحمد (أبو خالد):

كان من أتباع الشيخ القسام، ومن أبرز قادة الثورة عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ م.. وُلد في قرية سيلة الظهر بقضاء جنين عام ١٩١٣ م، وفيها نشأ وعمل في الزراعة، وفي العاشرة من عمره انتقل إلى مدينة حيفا التماساً للرزق، ومارس فيها أعمالاً متعدّدة. وفي حيفا تعرّف إلى الشيخ الشهيد عز الدين القسام في أوائل الثلاثينات، فدرس على يديه القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وأصبح واحداً من القساميين الأوائل. وقد عهد إليه الشيخ القسام رئاسة مجموعة فدائية في مدينة حيفا فأبلى بلاء حسناً. وبعد استشهاد القسام عام ١٩٣٥م اختفى أبو خالد إلى أن قامت ثورة ١٩٣٦ م فانضم إليها وقاد مجموعات من الثوار في جبال الجليل ونابلس.. وأوكلت إليه قيادة منطقة نابلس فخاض معارك كثيرة ضد القوات البريطانية والصهيونية، تجلّت فيها شجاعته وإقدامه وحسن تدبيره وسرعة خاطره، ممّا أقضّ مضاجع المستعمرين الانجليز

وقرّبه إلى قلوب إخوانه المجاهدين الذين كان يؤثرهم على نفسه ويتفانى في سبيل المحافظة عليهم.

ومن أشهر المعارك التي خاضها معركة «سيريس - جبع» التي دامت ست ساعات، واشتركت فيها الطائرات والمدافع الجبلية البريطانية. ومعركة «بلعا» الثانية التي حصلت في ١٩٣٦/٩/٣ م، وشارك في هذه المعركة (٥٠٠) مجاهد بقيادته ومائة مجاهد بقيادة الشيخ محمد الأشمر[٤٩].

وحضر «أبو خالد» في شهر أيار سنة ١٩٣٨ م مؤتمر قادة الثورة الفلسطينية في قرية دير غسانة، وبينما هم في المؤتمر طوقتهم قوة بريطانية كبيرة. واستطاع الإفلات من الطوق والوصول إلى قرية سرطة ولكنه اصطدم بطوق بريطاني آخر، ونشبت معركة بين المجاهدين والانجليز في ١٩٣٨/٩/١٨ م استبسل فيها القائد «أبو خالد» وإخوانه، وأصيب برصاصة في يده، وأبىٰ إلا أن يستمر في جهاده حتى استشهد في المعركة مع بعض رفاقه.

نقلت جثة أبي خالد وجثث رفاقه إلى قرية «بدية» ومنها إلى سيلة الظهر وهي مغطاة بأغصان الزيتون، وهناك ووريت الثرى في غربي القرية[٥٠].

وعُرف أبو خالد بعفته وشجاعته وتفانيه في خدمة دينه ووطنه وشعبه.

٥ ـ الشهيد عبد الله الأصبح[٥١]:

وُلد عبد الله الأصبح في قرية الجاعونة الواقعة شرقي مدينة صفد، وقد عُرف في صباه بالاستقامة والأمانة وحب الوطن. وحين نشبت الثورة السورية ضد الفرنسيين ذهب الأصبح إلى جبل العرب في سورية وقاتل الفرنسيين مع القائد السوري سعيد العاص. وفي أثناء القتال وقع أسيراً بيد الفرنسيين فساموه سوء العذاب، فقلعوا أظافره ورموش عينيه، وسلطوا على جسمه تيار الكهرباء لحمله على الاعتراف، غير أنه صمد للتعذيب ولم يستخلصوا منه كلمة واحدة. وذاق مرارة السجن إلى أن خرج منه بعد إصابته بمرض القلب. وفي عام ١٩٣٤ م عاد إلى فلسطين، والتحق بحركة الشيخ عز الدين القسام، فعهد إليه القسام بقيادة الفدائيين في منطقة صفد، فقام بمهاجمة القوافل البريطانية واليهودية

ونسف الجسور وحرق مزارع المستعمرات اليهودية. ولما قامت ثورة ١٩٣٦ م كان الأصبح أحد قادتها البارزين في منطقة الجليل، فرصدت السلطات البريطانية مكافأة مالية قدرها ألف جنيه لمن يأتي به حياً أو ميتاً. وقد نجا بأعجوبة من محاولة قام بها اثنان من الخونة لاغتياله، وما كان منه بعد أن ألقى القبض عليهما إلا أن بصق في وجهيهما وأخلى سبيلهما..

وقد خاض الأصبح عدة معارك ضد القوات البريطانية منها:

معركة «وادي الليمون» قرب صفد. ومعركة «وادي عروس» بين المطلة ومستعمرة نجمة الصبح اليهودية.

وفي ١٩٣٨/٤/٢٧ م، اشتبك الأصبح مع القوات البريطانية في معركة حامية الوطيس اشتركت فيها المدفعية والطائرات البريطانية قرب «خربة رمضون» الواقعة بين سحماتا وسبلان، وقدّرت قوات الانجليز بعشرة آلاف، بينما كان عدد المجاهدين لا يتجاوز الخمسماية، وقبل غروب الشمس سقط الأصبح شهيداً، وفي اليوم التالي شيعت القرى المجاورة جثمانه الطاهر ودفن في مقبرة قرية سعسع.

٦ ـ المجاهد يوسف سعيد أبو دُرّة:

وُلد يوسف أبو دُرّة في سيلة الحارثية قضاء جنين عام ١٩٠٠ م، ثم انتقل مع والده عام ١٩١٠ م إلى سهل العفولة للعمل بالزراعة في أرض آل سرسق اللبنانيين. وفي عام ١٩٢٥ م بيعت الأرض لليهود، فأجبرت العائلة على مغادرة الأرض الزراعية بقوة السلاح، وهُدم منزلها ومنازل باقي الفلاحين.

انتقل يوسف بعدها إلى مدينة حيفا وعمل راعياً لمدة قصيرة، ثم أصبح عاملاً في المدينة بالمياومة. وفي حيفا تعرّف على الشيخ القسام وانضم إلى عصبته. وعندما خرج الشيخ من حيفا كان يوسف مع المجموعة التي رافقته، ثم انفصل عنه بعد حادثة كفرقود ضمن المجموعة التي وجّهها الشيخ وجهة أخرى. وبعد معركة يعبد بأيام قبض البوليس الانجليزي عليه، وأخذ يحقق معه لغيابه عن منزله بحيفا خلال الفترة التي اختفى فيها القسام، واتهم بالانتماء

للعصبة. ووضع في السجن فترة طويلة رهن التحقيق، ثم أُفرج عنه قبل موعد محاكمة القساميين الذين قبض عليهم في المعركة.

ولما نشبت ثورة ١٩٣٦ م عمل يوسف مراسلاً حربياً بين القادة القساميين في منطقة الشمال، وتركز أغلب نشاطه في منطقة جنين، وبعد استشهاد الشيخ عطية تسلّم قيادة الثورة في المنطقة، وأبدى بسالة وشجاعة حالت دون انهيار الثورة في منطقة جنين. وفور سماعه نبأ استشهاد الشيخ عطية جمع خمسة عشر مجاهداً من سيلة الحارثية وأغلق طريق اليامون ـ حيفا بالصخور الكبيرة ورابط مع رجاله على جانبي الطريق، ولما وصلت قافلة عسكرية مكونة من ست عربات ومدرعتين تحمل جنوداً بريطانيين إلى الطريق المسدود انهال الثوار عليهم بالرصاص وأبادوا القافلة عن بكرة أبيها، فقتل (٦٤) جندي وضابط، وكان لهذا الانتصار أثره في رفع معنويات المجاهدين[٥٢]. واستمر أبو درة في قيادة المجاهدين، وخاض عدة معارك حقق فيها انتصارات كبيرة، وأوقع بالإنجليز خلالها خسائر فادحة. من أهم هذه المعارك:

معركة «الروحة» عام ١٩٣٧ م، ومعركة «أم الدرج» في ١٩٣٨/٩/١١ م، ومعركة «أم الزينات». كما قاد هجوماً على سجن عتليت في رمضان ١٣٥٦ هـ استولى به على جميع ذخائر الانجليز الموجودة في معسكر عتليت.

انتقل أبو دُرّة عام ١٩٣٩ م إلى دمشق بعد أن اشتدت سيطرة الانجليز على البلاد. وفي ١٩٣٩/٧/٢٤ م، قبضت عليه قوات الجيش الأردني بالقرب من نهر الأردن وهو يحاول الدخول إلى فلسطين، وسلّمه «جلوب باشا» للسلطات البريطانية، التي حاكمته وقرّرت إعدامه، ونفذ الحكم في مدينة القدس يوم ١٩٣٩/٩/٣٠ م، ودفن في قريته سيلة الحارثية[٥٣].

٧ ـ المجاهد عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى (أبو عبد الله):

ولد عبد الفتاح في قرية سيلة الظهر عام ١٩٠٥ م، وانتظم خلال الثورة في عصبة القسام السرية، فكان قائداً في إحدى مناطق الشمال، ثم قائداً في إحدى مناطق نابلس، وبعد استشهاد ابن عمه «أبو خالد» تسلّم قيادة منطقة نابلس،

فبدأ يجوب القرى داعياً الشعب للانخراط في الثورة، بعد أن تمكن الانجليز بمعونة بعض الخونة من تهدئة غليان الجهاد في هذه المنطقة. . واستطاع «أبو عبد الله» بإخلاصه ومقدرته أن يجمع حوله عدداً كبيراً من الرجال، وقاد بهم عدة معارك، وقام بشن هجمات بطولية على المستعمرات اليهودية في الجليل بعد أن جعل مركز قيادته كوكب أبو الهيجا قضاء عكا.

ثم صدرت إليه أوامر القيادة العليا بالتوجه إلى منطقة نابلس، فتمركز في قرية «بيت فوريك»، ولكن الانجليز تمكنوا من تطويق القرية بقوة كبيرة تزيد على ثلاثة آلاف جندي بكامل معداتهم في ليلة ١٥/١١/١٩٣٩ م. ودارت رحى معركة حامية شاركت فيها الطائرات البريطانية، وأنزل المجاهدون خسائر فادحة بالانجليز، واستشهد في أثناء المعركة القائد «أبو عبد الله» وأربعة آخرون[٥٤].

٨ ـ الشيخ نمر السعدي:

وُلد نمر السعدي في قرية صفورية عام ١٩٠٥ م، وهو ابن عم الشيخ فرحان السعدي، انضم لعصبة الشيخ القسام، وكان من المجاهدين المخلصين الذين خرجوا مع الشيخ القسام بعد إعلان الجهاد. وشارك الشيخ نمر في معركة يعبد وأصيب بثلاث رصاصات، استقرت رصاصتان منها في قلبه، وكانت حياته في خطر بعد المعركة، فبقي في المستشفى حتى ٢٧/١٢/١٩٣٥ م حيث تماثل للشفاء فنقل إلى مستشفى سجن القدس المركزي ومنه إلى سجن نابلس فسجن عكا ليكون على مقربة من الناصرة حيث كان يجري التحقيق مع القساميين الأسرى. وبقي السعدي في السجن إلى أن حوكم مع باقي الأسرى من أفراد العصبة في ٢٠/١١/١٩٣٦ م فحكم بالسجن سنتين، وبعد انقضاء المدة جدّد أندروز حاكم لواء الجليل سجنه سنة أخرى تحت ستار قانون منع الجرائم وقانون الطوارىء.

وبعد انقضاء المدة وخروج السعدي من السجن بقيت إحدى الرصاصات في قلبه، إذ لم يستطع الأطباء إخراجها، وكانت تسبب له الآلام والتّشنجات، وفي النهاية أردته قتيلاً عام ١٩٤٨ م[٥٥].

٩ ـ توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير):

ينتسب «أبو إبراهيم» إلى قرية «اندور» قضاء الناصرة. كان من أبرز قواد الثورة عام ١٩٣٦ م، عرف بالاستقامة والصلاح والعمل الصامت. وقد التف حوله مجموعة من أنصاره مثل الشيخ أسعد الصبيحي، ومحمد أبو يوسف، وعلي الحسن. اشترك مع محمود سالم «أبو أحمد القسام» وأبو إبراهيم الكبير في معركة عرابة البطوف. وقاد معركة احتلال طبريا في ليلة ٣/١٠/١٩٣٨ م وهي من معارك الثورة المشهورة وخسر اليهود فيها سبعين قتيلاً[٥٦]. وهاجم مقر حاكم طبريا الانجليزي فاستولى على ما فيه من ملفات وأوراق وغيرها. وفي حرب ١٩٤٨ م هاجم مستعمرة «الشجرة» اليهودية فأنزل بها خسائر جسيمة، وبعد النكبة نزل دمشق وتوفي فيها عام ١٩٦٦ م[٥٧].

١٠ ـ محمود سالم «أبو أحمد القسام»:

المجاهد محمود سالم المخزومي أصله من الرملة وسكن قرية زرعين قضاء جنين، وكان يعمل في مدينة حيفا، وفيها انضم لحركة الجهاد التي أسسها الشيخ القسام. ولما خرج القسام من حيفا للجهاد كان محمود سالم معه، ثم كان مع المجموعة الثانية التي اتجهت نحو الغور بعد اشتباك كفرقود. وبعد استشهاد القسام، قام بمعاونة الشيخ فرحان السعدي في تجميع الرجال الذين اختفوا بين الجبال إلى أن أعلنوا الثورة في ١٥/٤/١٩٣٦ م. وكان من القساميين الثلاثة الذين هاجموا السيارات اليهودية في تلك الليلة قرب «نور شمس». وشارك محمود سالم في الثورة مشاركة فعالة، وكان قائداً لمنطقة شفا عمرو والقرى المحيطة بها وصفورية وسخنين[٥٨]، وقاد عدة معارك أبلى فيها بلاء حسناً.

١١ ـ محمد محمود غزلان (أبو محمود الصفوري):

أبو محمود مجاهد من صفورية قضاء الناصرة، وهو من قدامى القساميين، خاض عدة معارك في شمال فلسطين وأبدى فيها بطولة ومقدرة.. ولما نشبت حرب ١٩٤٨ م كان لأبي محمود دور بارز في المقاومة والدفاع عن عكا، فبعد أن فشلت وفود عكا في طلب النجدة من عدة جهات عربية لصد هجوم اليهود على

المدينة، وأقفرت كل الآمال في الحصول على السلاح، وانسحب كثير من المسلحين الذين كانوا يدافعون عن المدينة. . لم يبق في عكا سوى ثمان وأربعين مجاهداً بقيادة «أبو محمود» خاضوا المعارك بحماس وقاتلوا اليهود قتال شوارع، دون أن يستسلموا، إلى أن سقطت المدينة بعد قتال مرير[٥٩]. وبعد سقوط عكا عاش أبو محمود في سورية.

١٢ ـ ناجي أبو زيد:

الشيخ ناجي أبو زيد من قرية زرعين، سكن مدينة حيفا وانضم لحركة الشيخ القسام، وأصبح من قادة الحركة البارزين. وقد أُنيطت به مسؤولية مراقبة الأعداء والتجسّس عليهم لصالح الحركة. ولما قامت ثورة ١٩٣٦ م كان أحد قادتها. وقاد فصيل جهاد في مدينة الناصرة، وأبدى شجاعة فائقة. وبعد النكبة سكن مدينة عمان وتوفي فيها[٦٠].

١٣ ـ حسن الباير:

ولد حسن الباير في قرية برقين قضاء جنين عام ١٨٩٥ م. كان من أوائل المجاهدين الذين ارتبطوا بحركة القسام، وكان صهراً للشيخ القسام. وهو الذي أحضر الضابط التركي الذي أشرف على التدريب العسكري لأفراد الحركة. خرج مع الشيخ القسام من حيفا وشارك في معركة يعبد وأسر في أعقابها، وحكم عليه بالسجن «١٤» عاماً، قضاها ثم أطلق سراحه. وعاش بعد النكبة في سورية، وتوفي في دمشق بتاريخ ١٥/٤/١٩٨٤ م ودفن فيها[٦١].

١٤ ـ داود علي خطاب:

وُلد في بلدة الكبابير، وعمل في مدينة حيفا. وفيها تعرّف على الشيخ القسام وانتظم في حركته. ولما خرج القسام من حيفا للجهاد خرج داود معه، وشارك في أحداث كثيرة حتى أصبح من قادة قواعد القساميين. وبعد أحداث معركة يعبد قبض عليه الانجليز وأصدروا حكماً عليه بالسجن لمدة سنتين.

١٥ ـ يوسف عبد الله الزيباوي:

ولد الشيخ يوسف في قرية الزيب قضاء عكا عام ١٨٨٥ م، وعمل في حيفا

بسلطة القطارات، ثم عمل في الزراعة، وانتمى لحركة القسام في حيفا.

وفي عام ١٩٣٣ م طلب الشيخ عز الدين القسام من عرب الرمل الذين يسكنون على أرض استولت عليها شركة إعداد خليج حيفا إعطاء الشيخ يوسف قطعة أرض ليزرعها ويعتاش منها، فوافق عرب الرمل. وحينما ذهب الشيخ لحراثة الأرض وزراعتها، أقامت الشركة دعوى قضائية وأدانت المحكمة الشيخ يوسف ومنعته من فلاحة الأرض.

ولما خرج الشيخ القسام من حيفا للجهاد كان الزيباوي معه، واشترك في معركة يعبد وكان من شهدائها الأبرار، ودفن مع الشيخ القسام في بلد الشيخ[٦٢].

١٦ ـ عطيفة أحمد المصري:

مصري الأصل من القاهرة، سكن مدينة حيفا عام ١٩١٣ م، وعمل في جمرك حيفا بوظيفة «ورديان»، وكان أحد المقربين من الشيخ القسام، وممن خرجوا معه للجهاد، اشترك في معركة يعبد وقاتل بجرأة وبسالة حتى استشهد في المعركة مع قائده القسام. وترك خلفه زوجة حاملاً، وثلاث بنات صغيرات وأختاً وحماة، وأسرة أخيه الذي توفي في القاهرة عام ١٩٣٤ م فضمها عطيفة لأسرته وأخذ يصرف عليها[٦٣]. ويروى عنه أنه اقترض أساور زوجته وباعها واشترى بثمنها بنادق للمجاهدين. وبعد معركة يعبد نُقل جثمانه إلى حيفا ودفن في بلد الشيخ[٦٤].

١٧ ـ محمد أبو قاسم خلف الحلحولي:

مجاهد من بلدة حلحول قضاء الخليل، عمل في حيفا وتعرف إلى الشيخ القسام وانتظم في حركته، وخرج معه إلى الجهاد، واستشهد في اشتباك مع البوليس الانجليزي الذي كان يتعقبهم قرب قرية كفرقود بقضاء جنين في ١٧/١١/١٩٣٥ م. ونقل جثمانه من أرض المعركة إلى مدينة جنين، ودفن في مقبرة الجبل الشرقي بالمدينة.. ويروى أنهم عندما نقلوا جثمانه من أرض المعركة وجدوا البندقية في يد والمسبحة في اليد الأخرى.

١٨ ـ محمود خضر الزرعيني (أبو خضر):

من قرية زرعين، سكن مدينة حيفا وتتلمذ على يد الشيخ القسام، وشارك في الثورة الكبرى ١٩٣٦ م مشاركة فعّالة، فقاد إحدى فصائلها إلى أن استشهد في ١٩٣٨/١٠/٥ م قرب مكان يدعى «جرن حلاوة» على بعد كيلومترات من طبريا. وشملت المعركة التي استشهد فيها، الجبال الممتدة من طبريا إلى صفد. وقد جرح وقتل في المعركة من الانجليز «٣٥» جندي. وكان أبو خضر يقود فصيله نحو صفد لاحتلالها. وعلى أثر المعركة أمعن الانجليز بالتنكيل في أهالي القرى المجاورة وأخذت طائراتهم تقذفها بالقنابل[٦٥].

١٩ ـ عارف حمدان أحمد:

من قرية رمانة قضاء جنين، انضم للشيخ القسام بعد أن تعرف عليه من خلال جولات القسام في قرى جنين مهيئاً للجهاد. ألقت قوات البوليس الانجليزي القبض عليه في ١٩٣٥/١٢/٨ م وبقي في السجن رهن التحقيق فترة من الوقت ثم خرج منه. وكان خلال ثورة ١٩٣٦ م قائد منطقة متجول، ثم تسلّم قيادة فصيل. وفي عام ١٩٣٨ م ألقى الانجليز القبض عليه في قرية رمانة ووضع في سجن القدس. واستشهد في السجن في ١٩٣٨/٦/٢٦ م نتيجة التعذيب الشديد الذي لحق به. ونقل جثمانه إلى قريته رمانة ودفن فيها[٦٦].

٢٠ ـ الشيخ محمد نجى أبو جعب:

وُلد في قرية قباطية قضاء جنين عام ١٩١٠ م تقريباً. وتعرف إلى الشيخ القسام وانتظم في حركته، وعُرف بين الناس بالاستقامة والشجاعة والاخلاص لدينه ووطنه. اشترك في عدد من المعارك ضد الانجليز وكان قائد فصيل من فصائل المجاهدين. وتوّج جهاده بعملية جريئة حيث أقدم على اغتيال «اندروز» حاكم الجليل بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٦ م في مدينة الناصرة، بتكليف من قيادة حركة القسام. وجُنّت السلطات البريطانية لهذا الحادث وأخذت تطارده وإخوانه من مكان إلى مكان، وتمكنت من إلقاء القبض عليه وتعرّض للتعذيب ولكنه تمكن

من الإفلات من السجن، والاختفاء فترة عند أحد أصدقائه في قرية صانور. ثم التجأ إلى الحجاز واستقرّ في مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام. وفي عام ١٩٤٨ م عندما قامت المناوشات بين العرب واليهود عاد من الحجاز تاركاً أسرته هناك ليشارك مع المجاهدين في محاربة اليهود، واشترك في معركة جنين المشهورة، وعندما أعلنت الهدنة عاد إلى الحجاز.

٢١ ـ محمود الديراوي:

من قرية دير أبو ضعيف بقضاء جنين، انتظم مع المجاهدين في حركة القسام، وشارك في قتال الانجليز خلال الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م. واشترك مع الشيخ محمد أبو جعب في قتل «اندروز» حاكم الجليل.

٢٢ ـ حسن شبلاق:

مجاهد قسامي من قادة قواعد الجهاد في حركة القسام، كان له نشاط محمود في جمع المال للثورة. شارك في الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ م.

٢٣ ـ أحمد ذيب إبراهيم الغلاييني:

من مدينة حيفا، ومن مؤسسي عصبة القسام. كان يقوم بأعمال فنية كصنع القنابل في معمله الصغير، وهو الذي صنع القنبلة التي وضعها مصطفى علي الأحمد في مستعمرة نهلال. وكان هو ومصطفى الأحمد وخليل محمد العيسى يعملون في خلية سرية واحدة، عندما اكتشف البوليس أمر القنبلة. اعتقل الغلاييني وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة، وخرج من المعتقل عام ١٩٤٤ م، فتابع نشاطه الجهادي بأن أقام معملاً سريّاً لصنع الأسلحة. وبعد حرب ١٩٦٧ م هاجر إلى عمان[٦٧].

٢٤ ـ أسعد المفلح:

وُلد في بلدة أم الفحم قرب مدينة جنين، وعمل في مدينة حيفا، فكان يبيع الدّجاج ويعيل زوجته وبنتيه وأخيه. انضم إلى حركة الشيخ القسام، بل كان من أوّل المنتظمين فيها: وحينما حان وقت إعلان الثورة خرج من حيفا مع

الشيخ القسام، وجاهد معه في معركة يعبد، وأصيب برصاصة في كتفه، واختفى بعد المعركة وبقي مختبئاً حتى شهر كانون الأول ١٩٣٥ م حيث قبض البوليس عليه، وحوكم ضمن أسرى العصبة وحكم بالسجن عامين قضاهما وخرج[٦٨].

٢٥ ـ الشيخ محمد الحنفي[٦٩]:

مجاهد من بلدة جبلة بسورية رافق الشيخ القسام في جهاده في الثورة السورية ضد الفرنسيين.. ورافقه بعد فشل الثورة السورية واللجوء إلى مدينة حيفا، وكان من أوائل الذين ارتبطوا بعصبة الجهاد ضد الانجليز.

٢٦ ـ الشيخ علي الحاج عبيد[٧٠]:

من بلدة جبلة بسورية، جاهد مع القسام في الثورة السورية ضد الفرنسيين. وبعد الثورة لجأ معه إلى مدينة حيفا، وشاركه في الاعداد للجهاد ضد الانجليز.

٢٧ ـ مصطفى علي الأحمد:

مجاهد قسّامي من صفورية، كان عضواً في الخلية السرية مع خليل العيسى والغلاييني، وهو الذي نفّذ عملية نهلال، وحين فتش البوليس بيته عثر على قنبلة مماثلة للتي وضعت في بيت يعقوبي، وعثر أيضاً على بندقية حربية، فتعرض لتعذيب وحشي اضطر معه للاعتراف بالحادث، وحكمت عليه محكمة عسكرية بالإعدام ونفذ الحكم في أوائل ١٩٣٤ م[٧١].

٢٨ ـ الشيخ ديب الديوان:

من قرية الطيرة قضاء حيفا، وهو من رجال الشيخ عطية عوض. شارك في ثورة ١٩٣٦ م، وأبدى شجاعة وبطولة في المعارك التي خاضها، واستشهد في معركة «وادي الطبل» في الكرمل الشرقي قرب بلد الشيخ بعد أن كبّد الأعداء خسائر فادحة[٧٢].

٢٩ ـ عربي البدوي المحسن:

وُلد عربي في قرية قبلان عام ١٩١٦ م، وكانت أسرته تعمل بالزراعة. تعلم

عربي في مدرسة القرية وكان مولعاً بقراءة القرآن والكتب الدينية، وكان لكلمات مدرّسه الأستاذ حيدر التميمي أثر كبير في نفسه إذ كان يغرس في نفوسهم حب الجهاد. وذهب عربي إلى مدينة يافا وعمل مع شركة ألمانية في أعمال البناء، ثم انتقل إلى حيفا للعمل، وصدف أن حضر صلاة جمعة في جامع الاستقلال، واستمع إلى الشيخ عز الدين القسام وهو يدعو الناس إلى الجهاد، ووجد في كلمات الشيخ ضالّته التي ينشدها. وأخذ يتردد على الشيخ القسام، الذي عرّفه على نمر السعدي ومحمود سالم.. وأدّى اللقاء إلى بيعة بين عربي والشيخ القسام، وكانت بيعة على السمع والطاعة وعلى التقيد بمبدأ الجهاد وفكرته، ثمّ تم تدريبه في غابة شفا عمرو على الرماية لمدة ثلاثة شهور.. حيث قرّر القسام في تلك الفترة الخروج من حيفا لإعلان الجهاد، فخرج عربي معه، وقاتل في معركة يعبد قتال الأبطال وكان يتمنى الشهادة ولم تُكتب له، فكان مع الأسرى. وحوكم بعدها ودخل السجن لمدة عشر سنوات قضاها ثم خرج. وفي عام ١٩٤٨ م اشترك في حرب فلسطين فكان قائداً لقوة من المقاتلين التابعين للجيش العربي في القدس. وكان قبلها مديراً لمكتب صندوق الأمة في القدس، كما عمل على تأسيس اللجنة القومية بنابلس، وهي إحدى لجان المقاومة والدفاع الشعبي. وأخيراً استقرّ به المقام في قريته قبلان[٧٣].

٣٠ ـ أحمد التوبة:

من قرية صفورية، وفيها انضم لإحدى الحلقات الجهادية، وشارك مع مصطفى علي الأحمد بتنفيذ عمليات عسكرية ضد المستعمرات اليهودية في أوائل الثلاثينات، ومنها حادثة مستعمرة نهلال.

خاض أحمد التوبة خلال الثورة عدة معارك، عُرف فيها بالشجاعة والإقدام. وكان يختص بمراقبة تحركات قوات الأعداء والحيلولة دون تمكينها من تطويق المجاهدين. وعاش بعد نكبة ١٩٤٨ في سورية[٧٤].

٣١ ـ أسعد الصبيحي:

من عرب «الصبيح» قرب «اندور» قضاء الناصرة. كان مضرباً للمثل في

الشجاعة والإقدام، وكان يساعد القائد محمد صالح الحمد «أبو خالد» في جلب الأسلحة والذخائر من خارج فلسطين في غفلة من حراس الحدود. خاض معارك عديدة، واستشهد في معركة «بيت جن» في الجرمق قضاء صفد، ودفن في قرية «سحماتة» قضاء عكا[٧٥].

٣٢ ـ الشيخ نايف الزعبي:

من قرية سولم قضاء الناصرة. كان من قدماء القساميين، ومن زملاء الشيخ عطية عوض. وهو أوّل من أسس فصيلاً للجهاد في منطقة الناصرة، وابتدأ عمله بالهجوم على مستعمرة «مسمة» ليلة ١٠/٦/١٩٣٦م، وتمكن من قتل عدد من الخفراء اليهود، وانسحب مع إخوانه بدون خسائر. وشارك في معارك أخرى. وبعد النكبة بقي في الأرض المحتلة ولم يهاجر منها[٧٦].

٣٣ ـ الشيخ سعيد الحسّان:

من يعبد قضاء جنين. وكان من أعضاء حركة القسام الجهادية. ولّما خرج الشيخ القسام للجهاد، واتجه إلى يعبد نزل في بيت الشيخ سعيد بخربة الشيخ زيد، ومن بيته اتجه مع فجر يوم ٢٠/١١/١٩٣٥م إلى الأحراش.

وقام الشيخ سعيد بإرسال بعض الحاجات إلى المجاهدين في الأحراش مع ابنه أحمد الحسان. ولما عاد الإبن إلى البيت قابله أفراد البوليس البريطاني وأطلقوا عليه النار فسقط شهيداً. وفي يوم ٢١/١١/١٩٣٥م دفن الشهيد أحمد الحسان في قرية يعبد، ووفد أهالي القرى المجاورة على بيت الفقيد للتعزية[٧٧].

٣٤ ـ معروف الحاج جابر:

من يعبد قضاء جنين، انضم لحركة الشيخ القسام الجهادية في إحدى زيارات الشيخ لقرية يعبد. وعندما خرج الشيخ من حيفا لإعلان الجهاد، كان معروف معه، ثم ذهب مع المجموعة التي أرسلها القسام إلى الغور بعد حادث كفرقود. قبض عليه البوليس الانجليزي وحوكم في الناصرة وسجن لمدة سنتين.

٣٥ ـ العبد قاسم أبو طه:

من بلدة «الرّينة»، سكن حيفا مع محمود زعرورة، والتحق بحركة القسام،

وجاهد معه، وقام بغزوات موفقة في الثورة، واستشهد في أوائلها[٧٨].

٣٦ ـ سليمان عبد الجبار (أبو علي)[٧٩]:

من قرية سمسم قضاء غزة، وهو من أوائل القساميين ومن أشجع قواد الثورة، اشتهر بحنكته ومقدرته وحسن قيادته. بعد نكبة ١٩٤٨ م هاجر إلى الأردن وأقام في مدينة إربد.

٣٧ ـ نايف المصلح:

من قرية صفورية، كان له دور كبير في الثورة الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م في لواء الجليل. قاد عدداً من المعارك، واستبسل فيها، وأصيب بجروح في معركة «عرابة البطوف»، وشفي منها[٨٠].

٣٨ ـ محمد عبد الرحيم[٨١]:

من سيلة الظهر قضاء جنين، وهو من قدماء الحركة القسامية، ترأس فصيلاً فدائياً في حيفا لمقاومة الخونة وباعة الأراضي والسماسرة. وبعد نكبة ١٩٤٨ م هاجر إلى لبنان وأقام فيه.

٣٩ ـ عبد الغني درويش:

من قرية عصيرة الشمالية قضاء نابلس، سكن حيفا للعمل فيها، وانتظم مع حركة القسام، وقاد مجموعة من الفدائيين القساميين. ولما بدأت الثورة عام ١٩٣٦ م استبسل في الجهاد وقام بعدد من المعارك في لواء الجليل. أصيب في معركة «عرابة البطوف» برصاص الطائرات التي أسقطت في المعركة، واستشهد متأثراً بجراحه[٨٢].

٤٠ ـ مسعود نصار:

من قرية إجزم قضاء عكا، اشترك مع عبد الغني درويش في الحركة الفدائية قبل الثورة، ثم التحق معه بصفوف الثورة وأبدى شجاعة وبطولة. استشهد في معركة «عرابة البطوف» مع رفيق جهاده عبد الغني درويش[٨٣].

٤١ ـ علي محمود زعرورة:

من قرية «الرّينة» قضاء الناصرة، وهو من القساميين الأوائل. جاهد بنفسه وماله قبل الثورة الكبرى وبعدها. وبعد النكبة هاجر إلى بيروت وعاش فيها[٨٤].

٤٢ ـ رشيد الطيراوي:

من طيرة حيفا، قاد فصيل الكرمل الغربي وخاض عدة معارك بشجاعة وبطولة، واستشهد في معركة الكرمل[٨٥].

٤٣ ـ صالح النصر:

من قرية صفورية، اشترك في عدد من المعارك في لواء الجليل، وأبلى بلاء حسناً[٨٦].

٤٤ ـ أحمد عبد الرحمن جابر:

من بلدة «عنبتا»، انتظم في حركة الجهاد، وخرج مع الشيخ القسام من حيفا للجهاد. وبعد معركة يعبد حُكم عليه بالسجن عشرين عاماً.

٤٥ ـ إبراهيم الشيخ خليل:

قسامي معروف، ارتبط بالحركة في حيفا، وكتب عنها في الصحف والمجلات مبيّناً الكثير من المواقف والأعمال التي يجهلها كثير من الناس.

٤٦ ـ محمد اليوسف:

من قرية «سولم»، ارتبط بالحركة القسامية في حيفا، وخرج مع الشيخ القسام للجهاد، واشترك في معركة يعبد، وأسر بعد المعركة، وحُكم بالسجن أربعة عشر عاماً.

٤٧ ـ الشيخ سليمان عبد القادر حمام[٨٧]:

من قرية «سمسم» قضاء غزة، كان من قادة الحركة القسامية ومن أوائل الذين ارتبطوا بها.

٤٨ ـ سرور برهم العودة[٨٨]:

من مدينة حيفا، ومن أوائل الذين ارتبطوا بحركة القسام. استشهد في أثناء نقله الذخيرة بين حيفا وعكا عام ١٩٤٨ م.

٤٩ ـ الحاج حسن حمادة[٨٩]:

من قرية «إجزم»، وهو أحد قادة التهيئة والإعداد الثوري في حركة القسام.

٥٠ ـ الشيخ محمد عبد الكريم الأسعد:

كان من قادة الفصائل القدامى في حركة القسام الجهادية.

٥١ ـ أبو خضر عارف إبراهيم:

كان من قادة القواعد في حركة القسام الجهادية.

٥٢ ـ شريف السيلاوي:

كان من قادة القواعد في حركة القسام الجهادية.

٥٣ ـ عيسى البطل[٩٠]:

كان من قادة القواعد والفروع في الحركة.

٥٤ ـ ممدوح العلي:

كان من قادة القواعد والفروع في الحركة.

٥٥ ـ داود الشيخ أحمد:

من قرية «بيتا»، ارتبط بالحركة الجهادية، وخرج مع القسام من حيفا للجهاد.

٥٦ ـ صالح أسعد:

من قرية «صفورية»، ارتبط بالحركة الجهادية، وخرج مع القسام من حيفا للجهاد.

٥٧ ـ نوح ابراهيم:

وُلد في حيفا سنة ١٩١١ م، وتعلم في مدرسة الجمعية الإسلامية. وعاش نوح في ظلال الحركة القسامية، وارتبط اسمه بعز الدين القسام، فكان يقدّره أكبر تقدير لدرجة أنه عندما طبع ديوانه الشعري وضع على الغلاف صورة القسام. وكان نوح شاعراً شعبياً كتب وأنشد وغنّى بالعامية، وكان شاعر السواد (عامة الناس) يغني للثوار في الجبال والأغوار، وللفلاحين على البيادر وفي الكروم والبساتين، كان شعره تعبيراً عن هموم الناس اليومية، وكان صادقاً ملتزماً بقضايا شعبه.

وكان نوح قائداً للثورة في منطقة الجليل الغربي، وكان يحرض للثورة في شعره، لدرجة أن المستعمر البريطاني منع تداول شعره وطباعته. كان يدعو للوحدة الوطنية ضد الاستعمار، وكان الترجمة الأدبية لظاهرة القسام السياسية والجهادية.

وفي سنة ١٩٣٨ م قام الجيش الانجليزي بتطويق قرى فلسطينية، ومنها قرية طمرة، وكشف الطيران الانجليزي أربعة من الثوار يسيرون في الطريق بين كابول وكوكب، وألقت طائرة قنابل فاستشهد نوح مع ثلاثة من إخوانه المجاهدين.

ووضعهم الجيش البريطاني في مغارة بقرية طمرة، ولما رفض أهل القرية التعرف عليهم خوفاً من العقاب والتحقيق، فأخذهم الجيش على الجبال خارج القرية ورموهم في بئر ماء. وفي اليوم التالي اكتشفهم الرّعاة وأخبروا أهل القرية فأخرجوهم من البئر ودفنوهم في مقبرة القرية[٩١].

٥٨ ـ الحاج صالح أحمد طه:

من قرية صفورية، انتظم في حركة الجهاد، واشترك في حادثة نهلال، وله جهاد واضح في ثورة ١٩٣٦ م، فكان مساعد قائد وقاضي للثورة[٩٢].

٥٩ ـ حسين علي الزبيدي:

من عرب الزبيدات، جاهد عند قيام الثورة الكبرى في فلسطين، واستشهد

في معركة بين «دنّه»، و «كوكب الهواء» عام ١٩٣٦ م.

٦٠ ـ محمد علي دلول:

من أعضاء الحركة القسامية، وكان يتولى جمع المال للثورة.

٦١ ـ الضابط جلادات:

من ضباط الجيش العثماني، وكان يتولى تدريب جماعة القسام.

٦٢ ـ محمد أبو العيون:

كان مدرباً لجماعة القسام.

٦٣ ـ عبد الله أبو ذان (أبو علي المزرعاوي):

من المزرعة ـ منطقة القدس، وكان من أعضاء الحركة.

٦٤ ـ رشيد عبيد الشيخ (أبو درويش):

من طيرة حيفا، وكان من المجاهدين القساميين.

٦٥ ـ محمد العبد موسى:

من كوكب أبو الهيجا، وكان من المجاهدين في الثورة.

٦٦ ـ أحمد الحاج حسن:

كان من أعضاء الحركة المجاهدين، ألقى البوليس الانجليزي القبض عليه، وحكم عليه بالسجن أربعة عشر عاماً، مع دفع غرامة مقدارها (٢٥٠) جنيه.

٦٧ ـ محمود صالح:

كان فلاحاً ولما سكن حيفا تعرف على الشيخ القسام، وكان يبيع على كارّة (طنبر).

٦٨ ـ توفيق الزبري[٩٣]:

من عرابة، وكان عضواً في حركة القسام.

٦٩ ـ عبد الله يوسف:

من عرابة، وكان عضواً في حركة القسام.

٧٠ ـ علي أحمد مصطفى (أبو عين):

مجاهد من قرية قباطية، قام بعملية جريئة فاقتحم مكتب «موفات» الحاكم العسكري لمدينة جنين، وأطلق عليه النار صباح يوم ١٩٣٨/٨/٢٣ م وأرداه قتيلاً، وتمكنت قوات الانجليز من القبض عليه وإعدامه.

٧١ ـ الشيخ محمد الخالدي:

من حيفا، وكان عضواً في حركة القسام.

٧٢ ـ عبد القادر علي:

من عرعرة، وكان مجاهداً اشترك في الثورة.

٧٣ ـ عبد الله عقيلة:

من عبلين، وكان مجاهداً اشترك في الثورة.

٧٤ ـ الشيخ عبد الله:

من قرية كفردان قضاء جنين، كان من أعضاء حركة القسام.

٧٥ ـ خالد الخالدي:

كان يسكن مدينة حيفا، تعرف على حركة القسام وانتظم فيها.

٧٦ ـ الشيخ معروف حجازي:

من أعضاء حركة القسام، ومن الذين شاركوا في الثورة على الانجليز.

ولقد وجدت في ثنايا الكتب التاريخية أسماء أخرى لأعضاء في حركة القسام، ولكني لم أعثر على معلومات للكتابة عنهم، ومن هذه الأسماء:

- إبراهيم أحمد طه، أحمد رمضان، أحمد طوبي، الحاج علي الحلح، د. سعيد محمد عودة، الشيخ أسعد كلش.

شهداء حركة القسّام:

لقد قدّمت حركة الشيخ عز الدين القسّام عدداً كبيراً من الشهداء على أرض فلسطين، ومن هؤلاء الشهداء:

	اسم الشهيد	بلده	المعركة أو المكان	التاريخ
١	الشيخ عز الدين القسام	جبلة ـ سورية	معركة يعبد	١٩٣٥/١١/٢٠ م
٢	يوسف عبد الله الزيباوي	الزّيب ـ عكا	معركة يعبد	١٩٣٥/١١/٢٠ م
٣	عطيفة أحمد المصري	مصر	معركة يعبد	١٩٣٥/١١/٢٠ م
٤	أحمد سعيد الحسان	يعبد ـ جنين	قتله الانجليز بعد معركة يعبد	١٩٣٥/١١/٢٠ م
٥	محمد أبو القاسم خلف	حلحول ـ الخليل	معركة كفرقود	١٩٣٥/١١/١٧ م
٦	مصطفى علي الأحمد	صفورية ـ الناصرة	أعدمه الانجليز بعد عملية نهلال	أوائل عام ١٩٣٤ م
٧	الشيخ فرحان السعدي	نورس ـ جنين	أعدمه الانجليز في سجن عكا	١٩٣٧/١١/٢٢ م
٨	الشيخ محمد أبو القاسم	عين غزال	معركة المغيّر	١٩٣٧/١١/٢٥ م
٩	الشيخ عطية أحمد عوض	بلد الشيخ ـ حيفا	معركة اليامون	أوائل آذار ١٩٣٨ م
١٠	محمد صالح الحمد (أبو خالد)	سيلة الظهر ـ جنين	معركة سرطة	١٩٣٨/٩/١٨ م
١١	عبد الله الأصبح	الجاعونة ـ صفد	معركة خربة رمضون	١٩٣٨/٤/٢٧ م

١٢	عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى	سيلة الظهر ـ جنين	معركة بيت فوريك	١٩٣٨/١١/١٥ م
١٣	محمود خضر (أبو خضر)	زرعين ـ جنين	معركة جرن حلاوة	١٩٣٨/١٠/٥ م
١٤	العبد قاسم طه	الرّينة	قتله الانجليز في أوائل الثورة	١٩٣٦ م
١٥	عبد الغني درويش	عصيرة الشمالية	معركة عرابة البطوف	١٩٣٦ م
١٦	مسعود نصار	إجزم ـ عكا	معركة عرابة البطوف	١٩٣٦ م
١٧	أسعد الصبيحي	عرب الصبيح ـ الناصرة	معركة بيت جن	١٩٣٦ م
١٨	ديب الديوان	طيرة حيفا	معركة وادي الطبل	١٩٣٦ م
١٩	عارف حمدان أحمد	رمانة ـ جنين	قتله الانجليز في سجن القدس	١٩٣٨/٦/٢٦ م
٢٠	رشيد الطيراوي	طيرة حيفا	معركة الكرمل	١٩٣٦ م
٢١	حسين علي الزبيدي	عرب الزبيدات	معركة بين «دنّه» و «كوكب الهواء»	١٩٣٦ م
٢٢	نوح إبراهيم	حيفا	معركة قرب قرية طمرة	١٩٣٨ م
٢٣	سرور برهم العودة	حيفا	استشهد بين حيفا وعكا	١٩٤٨ م
٢٤	يوسف سعيد أبو دُرّة	سيلة الحارثية ـ جنين	أعدمه الانجليز	١٩٣٩/٩/٣٠ م
٢٥	علي أحمد مصطفى (أبو عين)	قباطية ـ جنين	أعدمه الانجليز	١٩٣٨ م



فرحان السعدي



القساميون



القائد عبد الفتاح العبد
الملقب بأبي عبد الله



القائد خليل عيسى
الملقب بأبي ابراهيم الكبير



القائد محمد الصالح الحمد. الملقب بـأبي خالـد.
استشهد سنة ١٩٣٨.

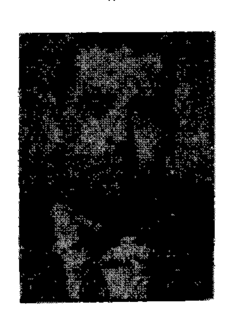


القائد الشيخ عطيه

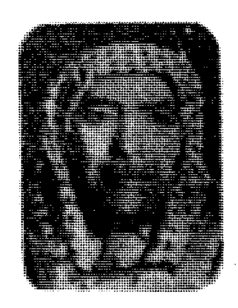


شـاعر الثـورة ومنشدهـا الشيخ
نـوح ابـراهيم. استشهـد سنـة
١٩٣٨.

القائد يوسف سعيد أبو درة وحوله أركان حربه في منطقة جنين (١٩٣٧ - ١٩٣٨).



القائد أبو محمود الصفوري



القائد توفيق الابراهيم
أبو ابراهيم الصغير



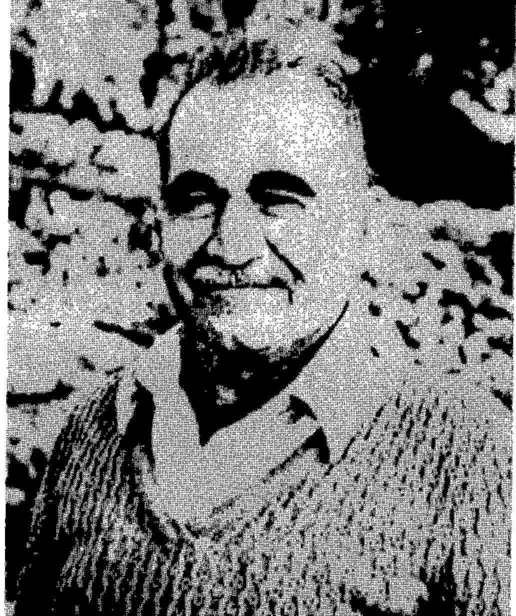
نمر السعدي



حسن الباير



محمود سالم المخزومي



عربي بدوي

(١) سميح حمودة: الوعي والثورة في حياة وجهاد الشيخ القسام، ص ٩٧.
(٢) جريدة فلسطين ـ يافا، ٢٣/١١/١٩٣٥ م، ص ٥.
(٣) جريدة الجامعة الاسلامية، ٢٢/١١/١٩٣٥ م، ص ٥.
(٤) جريدة فلسطين، ٧/١٢/١٩٣٥ م.
(٥) جريدة فلسطين، ٢٩/١١/١٩٣٥ م.
(٦) جريدة فلسطين، ١٣/١٢/١٩٣٥ م.
(٧) جريدة فلسطين، ٥/١٢/١٩٣٥ م.
(٨) سميح حمودة: الوعي والثورة.. عن جريدة الدفاع، ١٠/١/١٩٣٦ م.
(٩) جريدة الدفاع، ١٠/١/١٩٣٦ م.
(١٠) جريدة الدفاع، ١٢/١/١٩٣٦ م.
(١١) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢١٥.
(١٢) أحمد الشقيري: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص ١٤٧.
(١٣) جريدة الدفاع، ١٢/١/١٩٣٦ م.
(١٤) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢١٥.
(١٥) عزة دروزة: القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة، جـ ١، ص ١٢١.
(١٦) عمر أبو النصر: جهاد فلسطين العربية، ص ٢٧١ ـ ٢٧٤.
(١٧) صبحي ياسين: الثورة العربية في فلسطين، ص ٦٧.
(١٨) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٠٠.. عن يهوشع بوراث، ص ١٣٦.
(١٩) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، الجزء الثالث ـ القسم الثاني، ص ٢١١.
(٢٠) جريدة الدفاع، ١٧ نيسان ١٩٣٦ م.
(٢١) جريدة الدفاع، ١٨ نيسان ١٩٣٦ م.
(٢٢) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢٣) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٥٥.
(٢٤) يوسف رجب الرضيعي: ثورة ١٩٣٦ في فلسطين، ص ٤٣.
(٢٥) عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص ٤٧.
(٢٦) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ٦٧ ـ ٧٢.
(٢٧) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٠٢.. نقلاً عن الأرشيف الصهيوني: ملف «س ٢٥/١٠٤٩٩» معلومات عن العصابات في البلاد ونشاطاتها رقم ٢.

(٢٨) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٢٩) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢٢٦ .
(٣٠) عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص ٧١ .
(٣١) إميل الغوري: فلسطين عبر ستين عاماً، الجزء الثاني، ص ١٥٢ .
(٣٢) صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٣٢ .
(٣٣) عادل غنيم: «ثورة الشيخ القسام» ـ مجلة شؤون فلسطينية العدد السادس، كانون الثاني ١٩٧٢ م.
(٣٤) صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .
(٣٥) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٤٠٦ .
(٣٦) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ١٤٨ .
(٣٧) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٣٨) صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٢٣ .
(٣٩) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢٨٧ .
(٤٠) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢٨٨ .
(٤١) صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٣٤ .
(٤٢) أكرم زعيتر: اليوميات، ص ٢٧٨ .
(*) لمزيد من الاطلاع على حياة وجهاد الشيخ فرحان السعدي راجع الكتاب الثالث من سلسلة «أعلام الجهاد في فلسطين».
(٤٣) نشرة فلسطين ـ العدد السابع، ص ١٥ .
(٤٤) صحبي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٤٥) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٤٦) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٠٤ .
(٤٧) الموسوعة الفلسطينية ـ المجلد الثالث، ص ٢٨٤ .
(٤٨) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٣٤٠، ص ٣٦٣ .
(٤٩) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ١٦٩ .
(٥٠) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٥٢ .
(٥١) نشرة فلسطين ـ الهيئة العربية العليا ـ العددان ٦٥، ٦٦ عام ١٩٦٦، ص ٥٩ .
(٥٢) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ١٠ .
(٥٣) صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٢٣٥ .
(٥٤) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٥١٥ ـ ٥١٦ . . ونشرة فلسطين ـ العدد ٤٤، ص ١٧ .

(٥٥) د. عبد الستار قاسم: الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ص ٦٧.
(٥٦) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.
(٥٧) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، الجزء السابع ـ القسم الثاني، ص ٥٥٣.
(٥٨) صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى، ص ٨٣.
(٥٩) صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ٣٨٣.
(٦٠) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٤٠٥.
(٦١) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١١٣.. عن جريدة الفجر ـ القدس في ١٩/٤/١٩٨٤م، ص ٧.
(٦٢) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦. وسميح حمودة ص ١١٣.
(٦٣) جريدة الأهرام ـ القاهرة، ٢٣/١١/١٩٣٥م، ص ٧.
(٦٤) محمد عمر حمادة: أعلام فلسطين، جـ ١، ص ١٧٥.
(٦٥) أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ٥٠٧.
(٦٦) صبحي ياسين: الثورة العربية، ص ٦٨.. وأكرم زعيتر: اليوميات، ص ٤٠٥.
(٦٧) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١١٣.. مقابلة أجراها مع حسين جرادات.
(٦٨) محمد عمر حمادة: أعلام فلسطين، جـ ١، ص ٣٢١.
(٦٩) شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر العربية، ص ٢٠٦.
(٧٠) شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر العربية، ص ٢٠٦.
(٧١) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١١٣.
(٧٢) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٧٣) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١١٤ ـ ١١٥.
(٧٤) صبحي ياسين: الثورة العربية، ص ١٠.
(٧٥) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٧٦) صحبي ياسين: الثورة العربية، ص ١١١.
(٧٧) جريدة فلسطين، ٢٢/١١/١٩٣٥م.
(٧٨) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٧٩) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٨٠) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٨١) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٨٢) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٨٣) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.
(٨٤) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.

(٨٥) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.

(٨٦) أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية، ص ٤٠٥.

(٨٧) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦.

(٨٨) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦.

(٨٩) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦.

(٩٠) بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٨٨٦.

(٩١) مجلة فلسطين الثورة ـ العدد ٦٣٦، في ١٩٨٧/١/١ م.

(٩٢) شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر، ص ٢٠٨.

(٩٣) شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر، ص ٢٠٧.

الفصل السادس
القسام في نظر معاصريه

- من أقوال العلماء والمؤرخين «المراثي النثرية»:

١ - كلمة الشيخ حلمي الإدريسي.
٢ - كلمة السيد سليمان التاجي الفاروقي.
٣ - كلمة السيد جمال الحسيني.
٤ - كلمة السيد ابراهيم الشنطي.
٥ - كلمة الشيخ محمد المجذوب - من طرطوس.
٦ - كلمة السيد جميل مردم بك - من دمشق.
٧ - كلمة الدكتور توفيق الشيشكلي - نائب حماة.
٨ - كلمة السيد محمد بدر الدين الخطيب - من دمشق.

- من أقوال الشعراء «المراثي الشعرية»:

القصيدة الأولى: «إلى روح شهيد الوطن الخالد الشيخ عز الدين القسام».
للشاعر واصف عبد الرحمن - نابلس

القصيدة الثانية: «سمّوك زوراً بالشّقي. . . !».
للشاعر نديم الملاح - عمان

القصيدة الثالثة: «يا رحمتنا». للأديب الأستاذ «ابن خلدون»

القصيدة الرابعة: «رثاء». للشاعر فؤاد الخطيب

القصيدة الخامسة: «الشهيد عز الدين القسّام».
للشاعر الإسلامي صادق عرنوس

القصيدة السادسة: «الشهيد». للشاعر إبراهيم طوقان

القصيدة السابعة: «يا خسارة يا عز الدين». للشاعر الشعبي نوح إبراهيم

- هوامش الفصل السادس.



الفصل السادس

القسام في نظر معاصريه

لاقت ثورة القسام حين قيامها تأييداً وتقديراً واحتراماً من جميع أبناء الشعب الفلسطيني بلغ الحدّ الأقصى، وذلك على الرغم من أنها لم تتح لها الظروف لتكون ثورة شاملة بالمعنى السياسي والتاريخي للكلمة، ولكن يمكن القول بأنها كانت نموذجاً مثالياً لما يجب أن تكون عليه الثورة، كما كانت انطلاقتها انطلاقة عقائدية وشجاعة في مرحلة كاد اليأس فيها يعمّ البلاد..

ولمّا استشهد القسام في معركة يعبد فُجع الناس باستشهاده، وعمّهم الحزن والأسى، وخاصة الذين واكبوا نشاطه الميمون وجهاده المبرور.

وإحياءً لسيرة هذا الرجل، وتخليداً لجهاده البطولي، قال فيه العلماء والمؤرخون والشعراء والأدباء في مصر وسورية وفلسطين، كلمات وقصائد، كانت مراثي نثريّة وشعريّة تحمل في ثناياها معاني الصدق والحق والإنصاف..

ومن هذه الكلمات والقصائد اخترت مجموعة دوّنتها في هذا الفصل..

- من أقوال العلماء والمؤرخين «المراثي النثرية»:

كلمة الشيخ حلمي الإدريسي[1]**:**

خذوا العبرة من استشهاد القسام

ضرب الاستاذ القسام «أكرم الله نزله» هو وصحبه المؤمنون أبلغ مثل في التضحية الخالصة، حرك في قلوب الأمة عوامل اليقظة واستفز النفوس الخاملة التي تعتمد على الوسائل الرخيصة في نشدان الغايات الغالية، ولقد توفرت صحافتنا الحرة على تمجيد هذا العمل ونبهت المسؤولين من رجال الانجليز للاعتبار به نذيراً للسخط العام ورمزاً للمستقبل الخطير الذي ينتظرهم في هذه

البلاد إذا ظلوا على بغيهم وعدوانهم.

كل ذلك قيل وأوفى على الغاية بيد أن الحقيقة البالغة في جهاد القسام وتضحيته هو وصحبه الأبرار ما زالت في معزل عن الاعتبار بها والاهتداء بهديها، ما الذي دفع هذه النفوس للاستماتة في سبيل وطنها وهي تعلم أن العدو الذي تقابله قوي شديد، ولم تكن تقدر هذه العاقبة العاجلة، نعم أنها كانت تعرف ذلك كله وتقدره التقدير كله ولكن الأمر الذي لم يخطر لهؤلاء المؤمنين على بال أن البعض سيرميهم بالتهور، وإلقائهم بأنفسهم إلى التهلكة، ولو كان هذا البعض في منزلتهم من الايمان وصدق العقيدة لأمسكوا عن قولهم ولعلموا أن هذه الدرجة من الايمان إذا بلغها المرء لا تكون الحياة في نظره إلا كلمتان هما: «الواجب والتضحية» وانه لا يرى في بذل نفسه من أجل عقيدته لذة لا تقاس بها لذة في هذه الحياة الفانية، وإلى هذه اللذة الخالدة يشير الرسول ﷺ «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»، ولقد أعاد القسام إلى أذهاننا الرواية عن أبطال الايمان الذين خلوا من قبلنا وأتوا بالمعجزات الباهرات، وإذا أردنا أن نحصي ذلك في تاريخ الاسلام لما وسعنا القول، فلنجتزىء بعضها مما يناسب المقام:

١ ـ قال «أنس» رضي الله عنه: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لأن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء «أي المسلمين» وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء «أي المشركين» ثم تقدم فاستقبله سعد ابن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النصر إني لأجد ريحها دون أُحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما أصنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح.

٢ ـ لما كان المسلمون يحاصرون القسطنطينية لأول مرة، اقتحم رجل صفوف الكفار حتى أصبح بينهم وحده، فصاح الناس «يلقي بيده إلى التهلكة» فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس إنكم تقولون هذه الآية وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً

دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو قمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيّه ما يرد علينا ما قلنا «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين» وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الجهاد.

لقد علم الأستاذ القسام أن المسلم بغير جهاد وتضحية لا يعتبر مسلم صحيح الايمان، وأن الجهاد مراتب بقدر درجات الايمان، ولكنه إذا بلغ المرتبة العليا في إيمانه لم يرض إلا أن يكون في الدرجة العليا من الجهاد، وأن يبذل ماله ونفسه مرضاة لربه الذي يقول: ﴿إنما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾.

وكأني بالشيخ يريد أن يعلم الأمة كيف تكون التضحية حينما يكون الايمان صادقاً ويريد أن يجعل من ذلك قدوة مأثورة لكل من تحدّثه نفسه بخدمة وطنه، فليس للعامل في هذا السبيل إلا أن يتعهد نواة الايمان في صدره، حتى إذا استوى الغرس واستغلظ على سوقه، أتى بأزكى الجني وأطيب الثمار، وانظر إن شئت في تاريخ البطولة واستقرىء أسفارها الخالدة، هل ترى إلا الايمان متمثلاً فيها، وهل ترى البطولة إلا متمثلة فيه.

كلمة السيد سليمان التاجي الفاروقي[٢]:

بررة أتقياء، لا فجرة أشقياء.
لا تظلموا الموتى بعد أن ظلمتم الأحياء.

قد يكون للانسان عدو فيركب في عداوته كل شيء حتى رأسه ونفسه، ولا ينقمع عنه إلا بمهجته، حتى إذا ظفر بتلك المهجة هنالك تبرد حفيظته، وينطفىء غيظه ويشفى صدره، وتحسم بذلك أسباب العداوة، ولم نسمع أن عدواً بعد أن استطاع الظفر بعدوه أسف إلى تدنيس كرامته أو رميه في قدس عقيدته ومبدئه. **فالعدو عدو حتى إذا مات دخل في كنف الله وفي حرمة الشهادة وأصبح جسمه وروحه وسيرته أمانة مقدسة في عنق الحي**، حتى لو كان عدوه، هذا هو النبل، وهكذا يفعل النبلاء، يحاربون أعداءهم حتى إذا سقطوا عفوا

عن تدنيسهم وكرمت وجوههم ونفوسهم عن إيذائهم فهم قد ماتوا والميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه، **وماذا تنتظر من كريم قاتل حتى مات وجاهد حتى صرع.** حتى إذا أصبح جثة هامدة بين يدي عدوه راح يصول ويجول ويرمي خصمه ونده بالبهتان والزور، إلا أنه اللؤم عينه، والنذالة نفسها.

قام الأستاذ المغفور له الشهيد التقي النقي الشيخ عز الدين القسام رضي الله عنه فنفر هو وصحبه غاضباً لربه ولدينه ولوطنه حاملاً في نفسه عقيدة الايمان واضعاً نصب عينيه تحرير الأوطان. قام لا سالباً ولا ناهباً ولا معتدياً ولا آثماً ولا لصاً ولا خارباً، بل ترك عائلته وذوي قرابته وما كان فيه من نعمة ولذاذة، بل ترك محرابه الذي كان يؤم الناس فيه، وترك جمعيته التي كان يرأسها، خرج عن كل ذلك لله وللرسول ولوطنه، طيبة بذلك نفسه، وتبعته عصابة مؤمنة رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه.

أفليس عجيباً أن تنعت الحكومة هؤلاء البررة الأتقياء فتخلع عليهم صفة الأشقياء، ولكن الأمة التي أحرقت «جان دارك» والتي فعلت في الهند الأعاجيب وفي مصر والعراق وفلسطين ما لا يحصى من المناكر والأفاعيل لا تتورع عن تدنيس الأبطال الشهداء ظانة أنها بذلك تسيء إليهم في مماتهم، وهي إنما تمكن لهم بذلك تمكيناً، وتقيمهم في مصاف الأبطال الخالدين، وتنصب منهم أمثالاً عليا للسالكين، أجل إن البطل الشيخ عز الدين وصحبه خرجوا في سبيل الله مخرج الأبطال وتقدموا أمتهم بالأعمال وإن لكل مجتهد حظه فالمخطىء مأجور والمصيب الموفق مأجور، وإن كانت سبل العمل مختلفة، فمن الناس من يرى نصرة أمته باللسان الثرثار واليراع الخوار ومنهم من لا يرى النصر إلا بالسيف البتار والحديد والنار.

«ولكل وجهة هو موليها» وإذا عدت الحكومة شهداءنا وأتقياءنا لخروجهم أشقياء فالأمة كلها شقية، **إننا نعلن من على منبر جريدتنا هذه إننا وإن خالفنا البطل الشهيد رضي الله عنه في الوسائل فنحن شركاؤه في المبدأ والغاية. فلتعدنا السياسة أشقياء! ولتحكم فينا بأسها فإن لله غيرة وللحق غضبة وللدهر وللأيام كبوة، وقد لاحت التباشير ولم يبق إلا اليسير.**

قلنا إنّنا وإن اختلفنا مع هؤلاء الشهداء في عدم الحاجة بعد إلى وسائل العنف إلا أننا نتفق وإياهم كما قلنا في أن الظلم يجب دفعه والحق ينبغي رده. وإنما رأينا هذا الرأي في ضرورة عدم الالتجاء إلى العنف ذلك بأننا لم نيأس بعد أن ينصفنا الشعب الانجليزي بعد أن ظلمتنا حكومته، ولئن جنى علينا الانجليز فرداً أو أفراد، ووزارة أو وزارات فالشعب الانجليزي بمعزل عن هذا ولا نحسبه إلا جاهلاً لكل ما حاق بنا وبأمثالنا من الشعوب التي تظلم باسمه.

نحن لم نيأس بعد. ومتى يئسنا «ونرجو أن لا يكون ذلك» فالويل للظالم إذا شاع اليأس من العدل في الغرب والشرق، الويل ثم الويل. هنالك إذا لم يجد المرء ما يحارب به إلا أعضاءه بترها ورمى بها أعداءه وقال «بي وبأعدائي يا رب» ويميناً بالله إننا نسير في هذا السبيل سوقاً لا شوقاً، وكرهاً لا طوعاً. نحن لا نضمر للانجليز المقيمين في بلادهم إلا الخير، ولكننا معذورون إذا ثرنا على جيشات الظلم وغضبنا لسطوات الباطل. وكم مرة قلنا لهؤلاء الناس نحن خير لكم وأوفى عهداً، وأمضى حداً من أولئك الذين لولا حمايتكم لما كانوا، ولا قروا.

وبعد، فإذا يئس العرب من النصفة أصبح في كل نفس وفي كل بيت عز الدين القسام. رحمك الله يا بطلنا وفرطنا. وزعيم القافلة الأولى منا.

وعسى الأمة العربية في فلسطين تخلد ذكرى هذا البطل ورفاقه الميامين ولو بالاستكثار من التسمي بأسمائهم والتوفر على درس سيرتهم وحبذا لو لبست البلاد حدادها على هؤلاء الشهداء. إننا نعلم أن لها لون غير السواد، ولها خضاب غير الحداد، ولكنها الذكرى، إن الذكرى تنفع المؤمنين «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». وقد قلنا كنا نود لو اشتركنا في تشييع تلك الأجسام الطاهرة إلى مراقد الكرامة، ودار النعيم والمقامة، وذلك أدنى الواجب ولكن الوقت ضاق وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة السيد جمال الحسيني رئيس الحزب العربي الفلسطيني في حفل تأبين القسام[٣]:

القسام... القسام... اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في أجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم ويتلى في صفحات تاريخها الخالدة، فيملأ نفس القارىء إكباراً وإعجاباً. اسم سوف نقرأه في تاريخ جهادنا الوطني نحن وأبناؤنا من بعدنا فيأخذنا الخجل منه في صحيفة، ويأخذنا الغضب والاستنكار له في صحيفة، ونشعر باللوعة والحسرة عليه في صحيفة، ذلك أن القسام وصحبه قاموا بثورة عدها الناس جهاداً وعدها الغاصب لصوصية وسيعدها التاريخ تحدياً لنا جميعاً.

أما الغضب والاستنكار فهو من تلك التهمة الرسمية الجوفاء الهزيلة التي تقول بأن الشيخ وصحبه لصوص، قطاع طرق وطلاب منافع، الشيخ وصحبه يخرجون على الظلم وكل منهم في يد ايمانه، وفي يد حسامه، فتحيط قوة السلطة بهم فيقفون لها وهي عشرات أضعافهم فتدعوهم إلى الاستسلام فيصيحون هذا جهاد لا استسلام فيه ولا رجوع، فإما موت بعزة وإما فوز مبين. يقولون هذا ويتساقطون وبعد ذلك تقول السلطة أنهم لصوص وقطاع طرق، فأين يكون المجد عندئذ أين يكون الشرف؟، ثم تفتشهم السلطة فماذا تجد معهم؟ تجد معهم سلاحاً أشهروه في وجه الظلم ودرهيمات لم يدع بها أحد فهي عرق الجبين وهي المال الحلال وهي المجهود تبلور في ذهبات جمعوها بالدرهم والدانق لا ليسدوا به رمق أولئك الذين تركوهم ولا كافل لهم ولا معين ولا لإشباع شهوة بل لإعلاء شأن الايمان لتثبيت المبدأ لإحقاق الحق. ثم وجدت معهم، مع هذا وذاك الكتاب، ذلك الشيء الذي لا يسرق بل إذا سرق فسرقته حلال لأنه يدعو إلى إيقاف اللصوصية وقطع الطرق، إلى السلم والسلام تحت رايات العزة لا تحت سياط المذلة تجد هذا وتقول أنهم لصوص وقطاع طرق! وعلى ذلك يمكننا نحن أيضاً أن نقول أن كرومويل رافع لواء نهضتهم ومؤسس مجد ديمقراطيتهم هو لص وقاطع طرق، وواشنطن محرر أميركا ووطنها الأعظم هو لص وقاطع طريق، ولينين وموسوليني كل هؤلاء الذين ثاروا على

الظلم كما ثار القسام وصحبه هم أيضاً قطاع طرق ولصـوص، لأنه لا فـرق بين هؤلاء وشهدائنا اليوم إلا في المظاهر الخارجية، أما المبـدأ والايمان والنيـة والقلب فكانت واحدة فالقسام وصحبـه ثاروا عـلى الظلم وكـرومويـل وواشنطن ولينـين وموسوليني ثاروا على الظلم مدفوعين بمبادئهم وإيمانهم.

ولكن هل كانت ثورة القسام كـالثورات يمكننـا أن نعتز بهـا كثورة ولا نشعـر بشيء من الخجل عند التفكير فيها؟ نعتز بها ولا تأخذنا حمرة الخجـل؟ نفخر بهـا كثورة ونتحسر عليها كموءودة. لا لم تكن هذه الثورة كذلك بل كانت ثـورة على الشباب، على القاعدين أمثالنا جميعاً، فالقسام شيخ في الستين صنعته تـلاوة أي الذكر الحكيم، سلاحه تفسير الأحاديث والسنة وبيان الواجبات الدينية للناس، مكـانه المحـراب. هذا الشيـخ يرى هؤلاء الشبـاب المفتـولي السـواعـد الملتهبي الرؤوس، المملوئين نشاطاً، الطالبين حياة يقعدون قعدة الشيوخ على أن لا يتلو آية، ويستعملون سلاح العلماء على أن لا يعرفوا سنة أو حديثاً ويجلسـون مجالس التـدريس ولا يتوجهـون إلى محراب فيصيحـوا بهم أتريـدون أن تزاحمـوا في هذا الميـدان وميدانكم خـال من كل فـارس؟ ها نحن نخـرج على أرجلنـا الضعيفة فـاقعدوا أنتم عـلى أرجلكم القويـة! ها نحن نقـوم لنعمل وسـواعدكم أعـدت للعمل لا سواعدنا فقولوا وألسنتنا أعدت للقول لا ألسنتكم ولا يقولن بعد اليوم إنسان أن الشباب يعملون وأن الشباب يجاهدون وأن الشباب يجـدون ولا يقولن وطني إنه مخلص وأنه مجاهد.

ونحن يـا سادتي إذا أخـذنا نفكـر فيهم ونقلب الفكر في عملهم لا نـرى إلا وجوههم يضيؤها نور الإيمان ورؤوسهم تعلوها أكاليل المجد ولا نستمـع إلا إلى أصواتهم تصيح بنـا لا إيمان إلا بهـذا نشعر بـالخجل وتضـاؤل النفوس وتبكيت الضمائر.

ولكن ثورة القسام لم تكن على هذا فقط، بل كانت ثورة علينا جميعاً، شبانـاً وشيوخاً وكهولاً، إذ يقول كل واحد منا في قلبي إيمان وفي نفسي إخلاص وعزيمة ولكني مثقـل وورائي عائلة كبـيرة أخاف إن خـرجت أن يتخطفهم الـذل والعار والموت، وليس لدي ما يدفع عنه عـوادي الزمـان...، يسمع القسـام وصحبه

هذا فيثورون عليه ويخرجـون. . . يخرجـون عمن؟ يخرجـون عن أعشاش فيهـا قطع من اللحم كأفراخ العصافير ينتظر كلاً منها معيله، ليسقط في منقاره ما يسد بـه جوعـه ويروي عـطشه، يـذهبون إلى ملك الأعشـاش فيحيط بهم قاطنـوهـا ويطلبون منهم الخبـز فيفاجئـوهم بعزمهم عـلى الخروج، فيقـول هؤلاء وعلى من تتركونا ولا معين لنا ولا كافل؟ فيجيبون: عـلى الله! فتذرف الـدموع وتتصـاعد الآيات وهنا حرج الساعة ودقة الموقف، الدموع الدموع، دموع لحمك ودمك، دمـوع من اختلطت نفسه بنفسـك، يؤثر فيك أنت الـرجل أكـثر من السيوف، فيندفع القسـام وصحبه من تلك الأعشـاش لتثبيت المبدأ وإحقـاق الحق وإعلاء شـأن الايمان ونحن إذ نـرى منهم ذلك لا يسعنـا إلا أن نشعـر بتبكيت الضمـير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الايمان.

ثم نخرج يا سادتي نتلمس أين نبت نور الايمان وفي أية بيئة ترعـرع ومن أي ماء روى، فنمشي إلى بيت الشيخ يوسف الزيباوي في قطعـة واطئة بـطرف هذه المدينة قد غرق بـالوحـل وتكدست فيـه بيوت بـل أخصاص من التنـك المخرق الذي تلعب فيه الـرياح فـلا هي بالبيـوت تقي صاحبهـا عواد الـطبيعة ولا هي بـالاخصاص تقيم عـاديات النـاس، وأنت فيهـا لا صيفـك صيف ولا شتـاؤك شتـاء، وأنت فيها في دفـع جيوش الـذباب مشغـول في نفسـك عن التفكـير في الاخـلاص والايمان الـذي يتوق لـك أن تفكر فيـه من مكـان هـادىء وسكـون شامل. . . من هذه الاخصاص، من هذه الوحـال، من هذا الفقـر المدقـع من هذا البؤس؟ خرج نور الايمان وأضاء نور الصدق والاخلاص بقبس منه تجلى في نفس الشيخ يوسف الزيباوي.

عند هذا وقفنا مدهوشين بل مشدوهين فصحنا: سبحانك ربنا تعطي وتمسك تهب هؤلاء كل الايمان وتحرمنا من بعضه، وكلنا شعـرنا بـأنا نسيء بهـذا، نحن نخادع به الحقيقة ونتملص من مجابهتها فإن الله قـد أفاض بـالايمان عـلى الناس فلا ينقصه يوماً ولا يزيده يوماً آخر ولا يجود به وقت ولا يبخل به في وقت آخر، بل أطلقه فياضاً ينير ظلمات النفوس ويدفع صاحبه بكهربائيته إلى العمل والجـد حتى يرى الألم فيه لذة والتعب راحة والكدر صفاء.

هذا ما كان عليه القسام وهذا ما خرج من أجله، خرج يصيح بنا: الايمان نور والتضحية لذة فمن آمن وعمل ونجا ومن لم يؤمن قعد وهلك، فهل لنا أن نتزود من هذا الايمان ونتقدم لهذه التضحية فنعمل وننجو؟

كلمة السيد إبراهيم الشنطي رئيس تحرير جريدة «الدفاع ـ يافا». ألقيت في حفل تأبين الشيخ القسام بحيفا في ١٩٣٦/١/٥ م[٤]:

هبّ رجلاً ومضى شهيداً
يا أول عابر مجاز الحق هذا عهدنا

وقالوا: لو تريث القسام، لو شاور. وذهب بعضهم أكثر فقال لو أطاع. جواب الله على هؤلاء الناقدين: ﴿الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[*].

فلمن لا يقف وقفة القسام أن يسكت على الأقل.
في يعبد لنا ثأر. لنا حسين. لنا كربلاء!
في يعبد لنا جامعة. لنا أساتذة. لنا شهداء!
أيها الناقدون ـ كفى انتقاداً
أيها القاعدون ـ حسب اقتعاداً
أشرف المهات ـ ما اقتحم المذل الظالم
وأرذل الحياة ـ أن تكون المذعن المسالم.

لو لم يستشهد القسام على ذلك الوجه، لما زحفت البلاد إلى سكنه. رحم الله شهيد يعبد. أينا يتحدث بالشجاعة بعد الشيخ الشجاع؟

أينا يقول بالتضحية بعد الذي شرى وباع! سخفت الحياة، وذلت الرجولة، وتلك يعبد لمن قال: أنا فتى في الرجال.

طال حسابنا مع الانجليز. منذ أول الاحتلال، ونحن ندفع الثمن، عداً ونقداً، كوارث ومحن. إلام تسعة عشر عاماً ضاقت بها جسومنا، فمتى التصفية؟

سطوا على الوطن فانتقصوا من أطرافه. وجعلوا لذلك تشريعاً أحلته فطرة

خبيثة. ولما أعياهم سلطان الحق، لجأوا إلى خداع المنطق.

وقالوا: «مقدرة البلاد على الاستيعاب».

وسطا الانجليز على رجولتنا، فرموا البلاد بنظام تعليمي يحرم فتيانها تربية الجيش والعسكرية. فنشأ من نشأ من أبنائكم أجساماً لا أرواحاً، يا ذل الوطن عندما يموت الجيل الذي خاض حروب اليمن، وشناق قلعة، وقناة السويس!.

أيها السادة! في وقعة اليرموك، حيث توحشت النفوس، وطاحت الرؤوس وفر الفارس المعلم، قبل الجبان المعدم، أقبل فتى على أمه يقول لها: «هذا السيف قصير يا أماه، لو استبدله بأطول منه» هل تدرون ما كان الجواب؟ قالت له: «تقدم خطوة فيطول» وقيل لأخرى: «هذا ابنك استشهد، فنادت قولوا لأخيه يحل محله!».

ما أبعد الفارق، تلك الشؤون العادية أصبحت معجزات اليوم فينا، وخوارق هذه الروح. هذا الخلق. هذه التربية، أماتها الانكليز فينا. حضرنا بلداً سكانه من نساء!

أيها السادة: وأقام الاستعمار عليكم عقلاء إقطاعيين، انكليز أكثر من الانجليز. هؤلاء مشوا بكم في طريق الجبن. أولئك هم إخوان: «ولولا العقلاء لوقع ما لا تحمد عقباه»! لقد أشرقت الشمس، وولى ليل الشعوذة والتدجيل. وهذا جيش الأمة وتعبئتها لمن شاء أن ينتسب، وللذين يريدون مستأجرة الانكليز أن يكونوا هناك!.

أيها السادة: وجددوا «المدة» خمس سنوات. فماذا في الانتظار غير التهويد والرق، والانهيار؟ لنشرع في محاسبة الانكليز... هذا وطن لنا ونحن أصحابه، فما دخل الانكليز قبل اليهود في مصيره!

ويقول الضعفاء القاعدون: وأين لكم ما لبريطانيا من معدات؟ رضينا أن نسلك ما سلكت ارلندة، ومصر، والهند، والولايات المتحدة قبل استقلالها،...، ذلك أجدى من موتنا كقطعان السائمة مشردين في الآفاق.

قرأت لكاتب أجنبي مرة: أن الحسين ما ثار في ظنه انتصار على أعدائه. من

أجل ذلك سار في جمع من العقائد والغلمان والأطفال، صحبه إلى كربلاء. وما كان معه فرسان بني هاشم. ويقول الكاتب: أراد الحسين نفسه ضحية تهز الحجاز وتثير بلاد التوحيد، فتدك أساس البيت الحاكم. هذا رأي. ومثل حادث شهيد يعبد.

لم يتصد للانكليز ويحارب مئتين في خمسين من أتباعه وفي ظنه النصر. ولكنه أراد أن يستشهده فكرة، بل ثأراً وطنياً، فلا تغمض عين عربية قبل أن تطمئن إلى أخذه.

عبرت حجاز الموت لنمشي وراءك!
وشربتها وشرعت تستحث أبناءك

ونشرتها على العالمين، رسالة الفكر، والقلب، واليقين. في أرجاء يعبد تصايحت! «الله أكبر، لن نستسلم هذا جهاد في سبيل الله والبلاد. يا رفاقي الصلحاء موتوا شهداء!».

لك علينا أن نفي بالعهد، وأن نضاحك اللحد. ويا أول عابر مجاز الحق: إما الصدر وإما القبر!

كلمة الشيخ محمد المجذوب[٥]:

الشيخ عز الدين القسام
المجاهد والشهيد الفلسطيني الخالد

لعل القراء لا يزالون يذكرون أولئك النفر الذين أرداهم رصاص الانجليز في جبال جنين ويذكرون هذه المعركة الأخيرة التي سقطوا فيها وبينهم ذلك الرجل عز الدين القسام الذي جاءه رسول القوة يطلب إليه ورفاقه الاستسلام فأجابه ـ وهو يعلم حرج الموقف، ويعلم أنه في منخفض من الأرض جعلهم عرضة لرصاص الجنود وللموت المحتم: «هذا جهاد في سبيل الله والوطن ومن كان هذا جهاده لا يستسلم لغير الله» ثم التفت إلى رفاقه وقال: «موتوا شهداء»، فماتوا ومات معهم إلا من شذّ به الأجل منهم عن موطن الشهادة هناك فمضى ليتلقاها غداً في غيابة السجن أو على أعواد المشانق، والذي أبى ورفاقه

أن يلقوا الله وعليهم دم لعربي ـ مهما يكن شأنه، فلم يوجهوا رمية إلى غير عدوهم.

دعني أسألك أيها القارىء العربي:

«ماذا أفدت من مقتل هؤلاء الضحايا»؟؟

وليسمح لي أرباب القلم من العرب وخاصة في سوريا أن أسألهم: ماذا فعلتم وماذا أعددتم لإبلاغ رسالة هؤلاء الشهداء التي زهقت في سبيلها أرواحهم البريئة.

لقد قال عنهم البلاغ الانجليزي في فلسطين: أنهم من اللصوص السلاب فقامت فلسطين الشهيدة بواجبها من استنكار هذه التهمة بتلك الغضبة البائسة التي قذفت حممها حيفا... فأين غضبتكم أنتم وأين استنكاركم؟! بل ماذا فعلتم لتعريف هؤلاء الشهداء ـ على الأقل ـ إلى الأمة التي استشهدوا في سبيلها؟

يروي لنا التاريخ الجهاد في الحقبة الصليبية الأولى شيخاً من أبناء جبله وكانت في حوزة الافرنج كغيرها من بلدان الساحل، كان ذا حظوة وقدر لدى حكام المدينة من الفرنجة، بيد أنه كان إلى جانب ذلك أبياً يرى الموت في حكم أخيه خيراً من الحياة في ظل الأجنبي فلما بلغه نزول صلاح الدين ابن أيوب بإزاء حصن الأكراد قدم عليه وما زال حتى عاد به إلى «حكومة اللاذقية» لاستخدامها وما زال في مقدمة مجاهديه حتى تم له ما أراد من تحرير بلاده.

والشيخ عز الدين القسام هذا الذي أنبتته «جبلة» هو النسخة الثانية لذلك الشيخ الأبي الأول، هو هو نفسه بروحه وإيمانه، بأنفته وجرأته، فقد كان عالماً مثله قضى زهاء عشر سنوات في الأزهر، يتلقى لباب العلم حتى ملأت نفسه حقيقة الاسلام فأخرجته شخصية قوية العزم قوية الايمان والاخلاص لله والحق، لا يفتر عن الجهاد بلسانه ويده، يجهر بالاستنكار لكل بدعة في الدين ولكل توقح على الحق، وما برح هذا شأنه في العهد التركي، فلما كان الاحتلال الفرنسي خرج ـ ولعله أكره على الخروج ـ إلى فلسطين يواصل جهاده في مكافحة

الاستعمار المزدوج، غير أنه مل أخيراً هذه البلاد الانجليزية وهذا اللون من ألوان الجهاد الأعزل أمام الحديد والنار، فأسر في نفسه عزيمة العمل، ولما سئل أن يخطب في حفلة لجمعية الشبان المسلمين في حيفا لم يزد على هذه الكلمة «جاء دور العمل فلنعمل» فكان أبلغ خطاب فسرت حقيقته المبهمة أخيراً عن الثورة العملية، وهذه الميتة الأبية.

ذلك هو الشهيد عز الدين القسام وهذا بعض حياته، وحسبك به دليلاً على شخصيات رفاقه الذين لقوا الله على ما لقيه من إيمان وتضحية في سبيل وجهه «الذي صلح عليه أمر الدنيا والآخرة» وأخيراً هل يجد شباب العرب والمسلمين في هذا الشيخ الشهيد ورفاقه أسوة لهم فيما تستحقه فلسطين السليبة من تضحياتهم في سبيلها؟

* * *

أجل أيها الشيخ الجليل عز الدين وعز الدنيا لقد كان جهادك ورفاقك لله والوطن فلم تستسلموا لغير الله ولم تأبهوا بالموت ـ الذي لا بد منه ـ في سبيل لقائه راضياً.

فهنيئاً لك هذا الظفر بالأمنية التي طالما تطلبتها حتى حصلت دعوتك الممتازة إلى الله ـ كلما فتحت الحديث عن شخصية مجاهدة من الصحابة ـ هذه الكلمة الصغيرة الكبيرة: «ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك».

وهنيئاً لك وإخوانك هذه الخاتمة التي سبقكم إليها الامام القندلاوي يوم سقط شهيداً في دفاع الفرنجة عن أبواب دمشق... ورزقنا الله حظكم ويسر لنا سبيلكم لقد بلغت رسالتك ولكن «هل يذكر إلا القوم المؤمنون».

الكلمة التي أرسلها جميل مردم بك السكرتير العام لمكتب الكتلة الوطنية في دمشق إلى الجمعية الاسلامية في حيفا لتتلى في حفلة تأبين الشيخ القسام[٦]:

ضرب الشيخ المجاهد عز الدين القسام وإخوانه الأبرار رجال عصبة المجاهدين مثلاً عالياً في التضحية والإخلاص لله وللوطن، رأوا ما حل بشطر سوريا الجنوبي من أخطار حاقت بالعرب وتهددتهم بالفناء والدمار ليحل اليهود

محلهم في الأرض التي روى ثراها الأجداد والشهداء بدمائهم الحمراء وافتدوها بأرواحهم الغالية ونفوسهم الكريمة وشاهدوا ما جرته السياسة التي تحمي هذا الوطن الصهيوني من الجرائر على بني قومهم فتداعوا إلى الشهادة والموت في سبيل الله وفي سبيل الوطن فما تهاونوا ولا تواكلوا وساروا على اسم الله يبذلون النفس والنفيس أو تعود إلى الوطن حريته وتصان أرضه، ويعز بنوه وتعلو كلمة العروبة كل كلمة.

حشد الظالمون للفتك بهذه العصبة المؤمنة الصابرة القليلة العدد كل ما لديهم من قوى في السماء والغبراء وألبوا عليها جندهم فصابر المجاهدون وصبروا فما كلت لهم عزيمة، ولا وهنت لهم عقيدة، وظلوا يناضلون قائلين «لا نسلم أو نلقى وجه الله» هذا هو مثال تضحية شيوخ هذه الأمة يقدمونه إلى أبنائها وإلى شبابها بل إنه نذير الخطر بما صار إليه العرب في شتى أقطارهم وفي هذا الشطر من سوريا من سوء المصير، إنه لمثال كريم على قوة عوامل الحياة في هذه النهضة العربية الحديثة وعلى مبلغ ما في نفوس أبنائها من إيمان بقوة حقهم وما أعد العرب من تضحية لتحقيق أمانيهم.

لقد ظل شهيدنا القسام حياته ثائراً في سبيل الله والحرية فهو ما دقت الساعة الرهيبة في سورية الشمالية ودعا داعي الحرية أبناءها حتى كان في مقدمة الصفوف وما هاب في اللقاء الحتوف، أولئك هم جنود الحرية ورجالها ما يزالون في نضالهم وجهادهم حتى تنجلي غياهب الظلم وينجاب ليل العبودية البهيم وتشرق أنوار الحرية ساطعة أو يقضون في سبيلها ناعمين هانئين فإذا عز على الكتلة الوطنية في شمال سورية أن يصاب العرب هذا المصاب الفادح في الشهيد القسام وفي إخوانه الأبرار فإنها لترى في هذه المصيبة حلقة جديدة من سلسلة الآلام وحافزاً للعرب قوياً لمواصلة الجهاد في سبيل أمانيهم وبلوغ أهدافهم في الحرية والاستقلال وأن كل بذل في سبيل هؤلاء الشهداء ومن سبقهم من شهداء العروبة والحرية لقليل أمام ما قدموه بين يدي الوطن لقد بذلوا أرواحهم على مذبحة، والجود بالروح أقصى غاية الجود.

إن المصاب بالقسام وإخوانه الأبرار لمصاب العروبة في شتى أقطارها

وأمصارها فلأرواحهم الطاهرة جنة عرضها السموات والأرض وللعروبة جميل الصبر أما العزاء فيومه يوم تحقيق الآمال وبلوغ ذرى الاستقلال.

أيها العرب لقد عرف القسام وإخوانه طريق العمل المثمر وهو التضحية فلتكن التضحية شعارنا جميعاً ليعود للعروبة عزها الأمثل ولتتمتع البلاد بحريتها واستقلالها فتضمد جراح هذا الوطن التي ما برحت تمبح النجيع.

كلمة نائب «حماة» الدكتور توفيق الشيشكلي التي أرسلت باسم مدينة «حماة» لتتلى في تأبين الشهيد القسام[٧]:

ما عمر البشر إلا حلقة من سلسلة تاريخ هذا الكون المليء بأنواع الحوادث وشتى الأمور من عظيم وتافه وكبير ومفيد وسار ومكدر فمنهم من سهلت له الأقدار أن يتربع على عرش الملذات وأسرف بالترف والرفاة فعاش مجهولاً وقضى نحبه غير مبكي عليه، ومنهم من عانده القضاء وألقى في طريقه العثرات، وحال دون وصوله إلى بغيته بالسهولة المتوخاة فصمد وكافح واحتمل أنواع الشدائد وتلقى سهام المصائب بصدره الرحب وخط الظفر بنفسه بثباته وإقدامه فكان من الفائزين. ومنهم من سهل الله لهم سبل العيش، وحازوا مكانة رفيعة بين أقرانهم، ولكن نفوسهم الكبيرة أبت عليهم أن يروا بني قومهم أذلاء مهاجمين في عقر دارهم يتحكم بهم الأغراب ويسومونهم سوء العذاب، ويبيعونهم بيع السلعة الكاسدة، فقاموا وامتشقوا الحسام وسارعوا إلى ميدان الجهاد، ولسان حالهم يردد قول الله ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ ولم تشأ هممهم احتمال الذل والأذى وهم على بينة بأن «العزة لله ولرسوله وللمؤمنين» وهم يؤمنون بقوله جل شأنه ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾، وقد أصلوا العدو ناراً حامية فكتب الله لهم الشهادة، والشهداء «أحياء عند ربهم يرزقون» ومن هذه الفئة الصالحة شهيدنا البار الأستاذ المجاهد عز الدين القسام الذي أحيى بعمله عهداً مطوياً سبقه إليه السلف الصالح وتقاعس الاخلاف عن السير على سننه فاستعمرت بلادهم وأصبحوا أذلاء في ديارهم ولولا تفرق الكلمة وكثرة الأحزاب وتخاذل القوم وتحاسدهم لكتب للقسام الظفر كما كتب السلامة لصاحب الغار عليه الصلاة

والسلام، ومع هذا فلا ندامة ولا خوف ولا وجل فالنصر حليف العرب ما دامت كلمتهم متحدة وما داموا جادين في جهادهم مقتفين أثر الشهيد القسام وصحبه الكرام الذين خلدوا في عصرنا الحاضر خير أمثولة يتحدث بها بين الأنام.

فيا سكان سوريا الجنوبية ويا سدنة المسجد الأقصى سلاماً وفيراً وعزاء إن حماة مدينة أبي الفداء الملك العظيم الذي جاهد في سبيل الله وكان له ولجيشه شرف، إخراج جيش صليبي من دياركم المقدسة تشاطر الأسى وتشاطر في أحزانكم وترجو لكم الظفر العاجل وهي جد مغتبطة باتحادكم وقد قيل «باتحاد الكلمة تقوى العظمة» وما مات حق وراءه مطالب والعاقبة للمتقين.

حماة في ٤ شوال سنة ١٣٥٤ هـ ٣ كانون الثاني ١٩٣٥ م.

كلمة السيد محمد بدر الدين الخطيب[٨]:

الشهيد الجليل والعالم الكبير فضيلة الشيخ عز الدين القسام

النبأ الصادع:

نبأ صادع هز النفوس لا هزة الصواعق المجلجلة الداوية، وخطف بها لا خطفة البروق والشهب والجبال تصطخب وتضطرب والبحار تمور والأمواج تزبد وتشب.

لا هذا ولا ذاك بل هو نبأ صادع وأمر واقع، هز النفوس هزاً وثار بالأرواح حتى أشرفت على الغيب وهي تتوهج بالغضب وتجأر يا رب يا رب يا رب.

عالم جليل:

عالم عربي جليل وعى الشريعة واللغة العربية وكان إماماً يهتدي الناس بهديه ويستريح الفقراء والبؤساء إلى إرشاداته ونفحاته إلى روحه الكبيرة التي كانت تلهمهم الطمأنينة والسعادة في زمن فاتت الطمأنينة وفاتت السعادة فيه كل طبقات الناس.

عالم جليل هو صاحب الفضيلة الشهيد الأجل الأكرم الشيخ عز الدين.

القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين في حيفا وإمام مسجد الاستقلال وخطيبه.

في الجمعية:

كان فضيلته أثناء رئاسته لجمعية الشبان المسلمين يسهر الليل في إلقاء المحاضرات وترتيبها وكان يسرح كل أسبوع بفئة من الأعضاء إلى القرى فيزجر وينصح ويرشد ويعود. وقد أنشأ عدة فروع للجمعية في أكثر قرى اللواء الشمالي في فلسطين وكانت هذه الفروع جماعاً للقرويين ومكاناً مختاراً لوحدة كلمتهم ومداولة آرائهم وتقرير دفاعهم عن أنفسهم وأراضيهم.

في المسجد:

وكان فضيلته يجهر في المسجد على الحلقات التي كانت تنتشر حوله بكلمة الحق يصدم بها الباطل في أنفسهم وأهل الباطل والسمسرة والدناءة في صفوفهم.

الأدنياء الطغاة:

وكان الأدنياء والطغاة والسفلة من السماسرة والخونة يشعرون بأن فضيلته يصدمهم ويشد أزر الفقراء والبؤساء عليهم، وكانوا يصرون بأسنانهم حقداً كلما خرج إلى القرى وعرقل مشروعاً من مشاريع سمسرتهم ولذلك انبعثوا يوسوسون حوله بشتى الأقاويل والتهم، وكانوا يدخلون دار الحكومة فيدسون ويخرجون منها إلى الشعب يزعمون الغيرة ويسوقون بواسطتها التهمة إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عز الدين.

ومن هؤلاء الأدنياء من يتقبل التعازي عن الشهيد اليوم بوجه ضعيف لا يندي اللهم إلا ببعض الدموع الفاجرة والأنفاس النجسة العاهرة.

في رضوان الله:

ذلكم هو الشهيد الجليل والعالم الكبير النبيل الذي ضاق ذرعاً بأفاعيل السلطة في فلسطين فخرج إلى الجبال وأعلن الثورة وانتقل إلى رضوان الله.

ذلكم هو صاحب الفضيلة الشيخ عز الدين وأوليائه من الشهداء.

أشقياء ولصوص:

أما أنهم أشقياء وأما أنهم لصوص فهذا ما ضجت الملائكة واضطرب الجن وزلزلت الأخلاق وارتكست الانسانية على ذكره وعلى السياسة التي قالته واختطته، والله يعلم من هم اللصوص ومن هم الأشقياء الذين يمسخون عقولهم وأرواحهم ويريدون ليمسخوا الناس والبلاد.

وكان الله لهذه الانسانية ما أفدح مصابها بهم وبأخلاقهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- من أقوال الشعراء «المراثي الشعرية»:

القصيدة الأولى[٩]:

«إلى روح شهيد الوطن الخالد»
الشيخ عز الدين القسام

للشاعر واصف عبد الرحمن

نَفْسُ حُرٍّ عافَتْ كُؤوسَ الهوان	وأَبَتْ أنْ تفرَّ يومَ الرّهانِ
زَهِدَتْ في الحياة وهي هوانٌ	ومَشَتْ للخلودِ، للرّحمن
تحمِلُ المُصحفَ الشّريفَ مناراً	ليُنيرَ السّبيلَ للرُّكبان
هلّلَتْ للرَّدىٰ وسارَتْ إلى الهول	تهادي تهادي الفرسان
سَعِدَتْ عُصْبَةٌ هداها كتابٌ	ومَشَتْ تحت راية القرآن
ألف مرحىٰ لها تسيرُ إلى الموت	لإنقاذ هذه الأوطان

***

يا شهيدَ البلاد يا شارَةَ المجد	لقد حُزْتَ جنّةَ الرّضوان
أنْتَ رمزُ الجهاد وأنْتَ فتى	النّهضة أنْتَ القادحُ النيران
لم تَمُتْ لا وَرَبِّكَ المُتعالي	أنْتَ باقٍ حيٌّ على الأزمان
سَتظَلُّ المنارَ يهدي إلى الرُّشدِ	ويوري عزائِمَ الشُّبّان

القصيدة الثانية[10]:

«سمّوك زوراً بالشّقي. . . !»

للشاعر الشيخ نديم الملاح

مـا كـان ذَوْدُكَ عـن بـلادك عـارا ... بـلْ كـان مجـداً بـاذخـاً وفخـارا
سمّـوكَ زوراً بـالـشّـقي ولم تـكـن ... إلاّ بهـم أشـقـى الـبـريّـة دارا
قـتلوا الـفضيـلة والإبـاءَ بـقـتـلهـم ... لَـكَ واستـذلّـوا قـومَـكَ الأحـرارا
أنكَـرْتَ بـاطِلَهُم وبغـيَ نفـوسـهـم ... فـاسـترسلوا في كيـدك استكـبـارا
كـثروا عـلَيْـكَ بمـأزق لـو أنّـهُ ... ريـعَ الخـمـيسُ بـه لـطارَ فـرارا
فثبَتّ بـين رصـاصهـم مستبـسـلاً ... يَـتِرونَ مِـنْـكَ وتـدرك الأوتـارا
ورأيْتَ كـأس المـوت أطيبَ مـورداً ... مـن عـيشـةٍ مُـلِئَتْ أذىً وصَـغـارا

* * *

يـا شيـخَ عـز الـدين: رزؤُكَ إنّـهُ ... أذكـى شعـور نـفـوسـنـا واثـارا
علّمْتَـنـا كيف الـذّيـادُ عن الحمى ... إنْ راعَـهُ بـاغٍ عـليـه وجـارا

* * *

خَلصَتْ إلى الـدّيّان روحَـك حُـرّةً ... فـحبـاكَ منـه في الجنـان جـوارا
حُـمّلْتَ فيـهـم مثـل أجـر مجـاهـدٍ ... وتحـمّـلوا في ظُـلْمِـكَ الأوزارا

القصيدة الثالثة[11]:

«يا رحمتنا»

للأديب الكبير الأستاذ «ابن خلدون»

مـا بـين أرضِـكَ أو سَـمـائِـكْ ... آيٌ تـتـيـهُ بـكـبريـائـكْ
قـد حـاولـوا غـمـز الإبـاء ... ومـا دَروا مـغـزى إبـائـك
بـاهـوا بمـا وسـعـوه مـن ... عـدد فـخـاضـوا في دمـائـك

لم يقدروك كأنّهم ضلّوا بيانك في بلائك
لو أنصفوك لعظّموك وأوسعوا لك في بنائك
قد ثُرْتَ تعلم أنّ ما تبغيه صعبٌ جدّ شائِك
آثرت لُقيا الله لّما ضِقْتَ ذرعاً في فضائك
وتركت بعدك أمّةً قد لا تباعد في لقائك
أيقظتَ روح التّضحيا ت وما خلاك خفي لوائك
يا رحمتا للوطن المغلو ب ينكب بانزوائك

***

وُسّدْتَ أقدس بُقعةٍ وسواك... دعني من سواك
جاوَرْتَ ربّك حين هُم قد جاوروا هون الأرائك
كم تُقت أن أسعى أشيّع عرش مجدك واعْتلائك
بين المهابة والجلالة سار ركبك والملائك
ولقد صَمَتّ فكان صمتُكَ فيه معنىً من وفائك
ما اختَرْتَ إلّا ما يُشرّ فُ في ختامك وابتدائك

القصيدة الرابعة[١٢]:

«رثاء»

للشاعر فؤاد الخطيب

أوْلَت عمامَتُكَ العمائِمَ كُلّها
شرفاً تقصّر عنده التّيجانُ
إنّ الزّعامةَ والطّريقُ مخوفةٌ
غير الزّعامة والطّريقُ أمانُ
ما كُنْتُ أحسبُ قبل شخصِكَ أنّهُ
في بُردتيهِ يضمُّها إنسانُ

يـا رهطَ عـزّ الـدّين حسبُـكَ نـعـمـة
في الخُـلْدِ لا عَـنَـتٌ ولا أحـزانُ
شـهـداءُ بـدرٍ والـبـقـيـع تهـلّلَت
فـرحـاً وهشّ مُـرَحّـبـاً رضـوانُ

القصيدة الخامسة[١٣]:

«الشهيد عز الدين القسام»

للشاعر الاسلامي الأستاذ صادق عرنوس

من شـاء فليـأخـذ عـن الـقسّـام ... أُنمـوذج الجـنـديّ في الاسـلام
ولـيـتّـخـذْهُ إذا أراد تخـلّصـاً ... مـن ذلّـة المـوروث خـير إمـام
تـرَكَ الـكـلام ووصـفـه لِهُـواتِـه ... وبضـاعـةُ الضّـعفـاء محض كـلام
أوَمَـا تـرى زُعـماءنـا قـد أتخمـوا ... الآذان قـولاً أيّمـا إتخـام
كـنّـا نـظنّ حقـيـقـةً مـا صـبروا ... فـإذا بـه وهمـاً مـن الأوهـام
ضـاع المُـراقُ من المـداد لـرسمـه ... عـبثـاً ومـا أفـنـوا مـن الأقـلام
مـلأوا الفجـاج شقـاشقاً جـوفـاء لم ... تنجـح سـوى في فـرقـة وخـصـام
تـركـوا العـدوّ يعيث في أوطـانهم ... وتـشـاغـلوا بـتراشـق وتـرامـي
يـا ليت عـز الـدّين يُبعث بينهم ... ويـكـون فـيـهـم درسُـهُ إلـزامـي!
حتّى يـبـين لهـم سـبـيـل قـيـادة ... خـرجـوا بهـا عن واجب الأحكـام
ويـداويَ الجـرح الـذي أضنـاهُمُ ... جُـرح الخـمـول بمـرهـم الإقـدام
هـذا الـفـدائي الجـواد بـنـفـسـه ... مـن غـير مـا نـزع ولا إحـجـام
مـا كـنتُ أعـرفـه ولا أسـمـع بـه ... حتى تـضـوّع طـيبُـهُ من الـشّـام
وكـذلـك النّفس الكبـيرة إن نـوت ... عـمـلاً أسَرّتـه لحـين تمـام
لم يـلهـه عـرض الحـيـاة واحـلا ... كـلاّ ولم يـشـغـف نـبـيـل وسـام
مـا زال يـعـمـل سـاتـراً مجـهـوده ... كـالـبـدر مـسـتـتـراً وراء غـمام
حـتى بـدا مـن عـصـبـةٍ بـدريّـة ... فـتـكـشّـفـت عـن مُؤثـريـن كـرام

مـــا بـال طـــاغـوت الـبـــلاد أصـابـــه ــــ لـــظهـــورهم ضـــربٌ من الـــبرســـام

أوَلَمْ تــصــفــهــم لــلمــلا أبــواقــه ــــ بـعـصــابــةٍ لـيـســت بــذات مـقــام

فـلمن تـقــاطــرت الجيــوش كــأنّها ــــ ظــفــرت بـجـيـش لـلعــدو لهــام؟

إنْ يقض عـــز الـــدين أو أصحـــابـــه ــــ فـــالسّر لـــيس بـتـكـلـم الأجـــســـام

هـيـهـــات تـنـــزع أو تهـي آثـــارهـــا ــــ مـهـــما استـعـــان بمـدفـــع وحـســـام

قـــل لــلشّـهـيـــد وصـحـبـــه أدّيْـتُــمُ ــــ حقّ الـــرّســـالـــة فـــاذهبـــوا بســـلام

القصيدة السادسة(١٤):

«الشهيد»

للشاعر إبراهيم طوقان

عــبَسَ الخَــطْبُ فــابْـتَـسَــمْ ــــ وطــغـــى الهــولُ فـــاقْـتَـحَــمْ

رابطَ الجَــأْش والــنُّهــى ــــ ثــابــتَ الــقــلب والــقَــدَمْ

لم يُــبــالِ الأذى ولم ــــ يَــثْــنــه طــارىءُ الألمْ

نــفــسُــه طــوْعُ همّــةٍ ــــ وجَمــتْ دونَهـا الهــمــم

تــلـتــقــي في مــزاجــهــا ــــ بــالأعــاصــير والحِــمَــم

تجــمــعُ الهــائـجَ الخِــضَــمّ ــــ إلى الــرّاســخ الأشَــم

وهــي مــن عُــنصر الـفِــداء ــــ ومــن جــوْهــر الــكــرمْ

ومــن الحــقّ جــذْوةٌ ــــ لــفــحُــهــا حــرّرَ الأُمــم

* * *

ســارَ في مــنــهــج الــعُــلى ــــ يــطرُقُ الخــلدَ مــنــزلا

لا يــبــالي مــكــبَّــلا ــــ نــالَــهُ أمْ مُجَــنْــدَلا

فهو رَهْنٌ بما عزمْ

* * *

رُبّمــا غــالَــهُ الــرّدى ــــ وهــو في الــسّــجــنِ مُــرْتهــنْ

لم يُشيَّعْ بدمعةٍ من حبيبٍ ولا سَكَنْ
ربّما أُدرج التّرابَ سليباً من الكفنْ
لستَ تدري بطاحُها غيَّبَتْهُ أمْ القُننْ
لا تقلْ أين جسمُه واسْمُه في فم الزّمنْ
إنّه كوكبُ الهُدى لاحَ في غيْهب المحنْ
أضرم النار في القلوب فما تألف الوَهَنْ
ورمى النور في العيون فما تعرف الوسن

* * *

أيُّ وجهٍ تهلّلا يَرِدُ الموتَ مُقْبلا
صعّدَ الرُّوحَ مُرسلا لحنَهُ يُنْشِدُ الملا
أنا لله والوطنْ

القصيدة السابعة[١٥]:

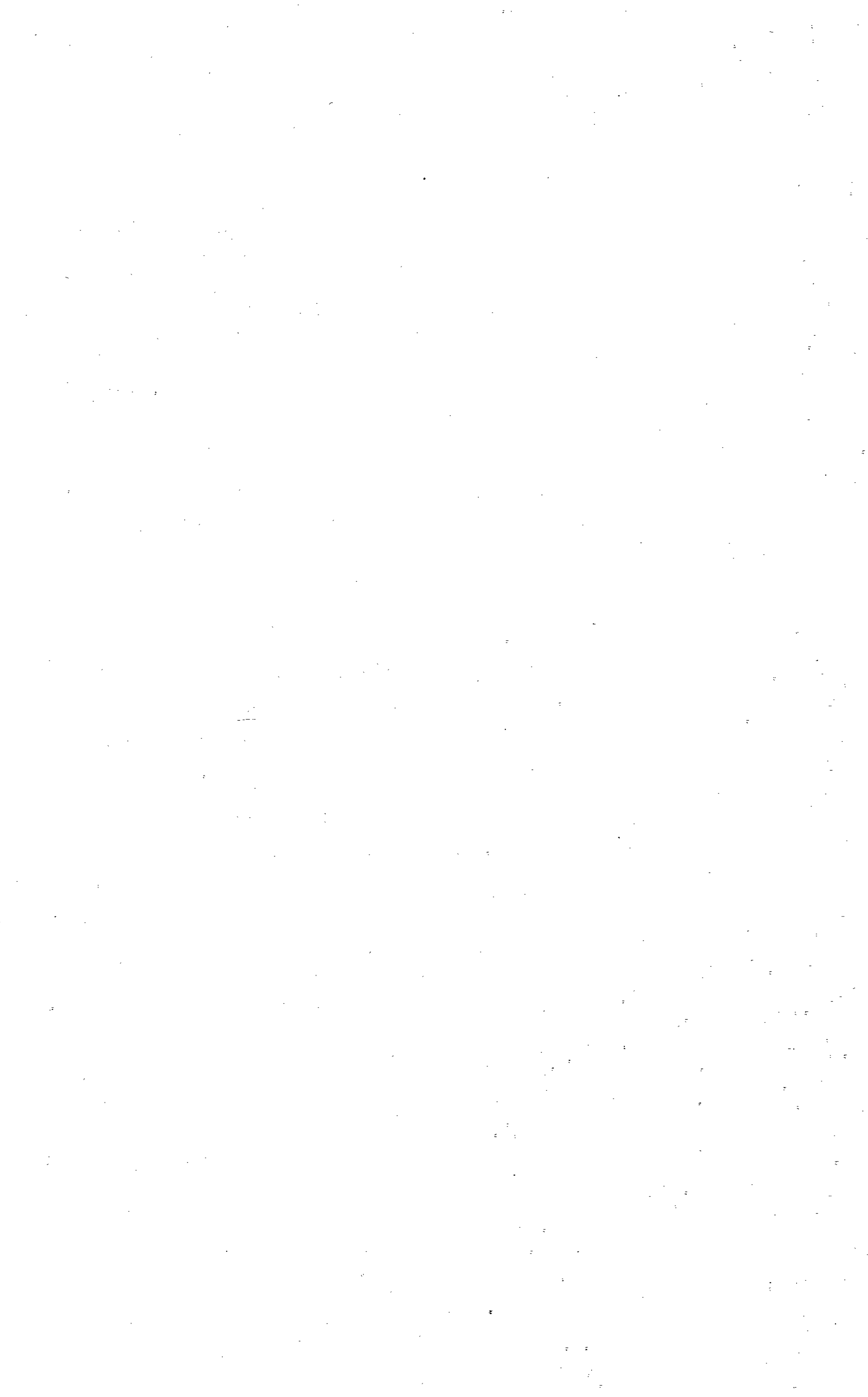
«يا خسارة يا عز الدين»

للشاعر الشعبي نوح إبراهيم

عز الدّين يا خَسارْتَك رحت فدا لامّتك
مين بينكر شهامتك يا شهيد فلسطين
عز الدين يا مرحوم موتك درس للعموم
آه لو كنت تدوم يا رئيس المجاهدين
ضحّيت بروحك ومالك لأجل استقلال بلادك
العدو لما جالك والعدا منك هابت
فلسطين منين قال شافت مثل غيرة عز الدين
أسست عصبة للجهاد حتى تحرّر البلاد
غايتها نصر أو استشهاد وجمعت رجال غيورين
جمعت رجال من الملاح من مالك شريت سلاح

وقلت هيّا للكفاح لنصر الوطن والدّين
جمّعت نخبة رجال وكنت معقد الآمال
لكن الغدر يا خال لعب دوره بالتمكين
لعبت الخيانة لعبة وقامت وقعت النكبة
«وسال الدم للرّكبة» وما كنت تسلّم وتلين
كنت تصيح «الله أكبر» كالأسد الغضنفر
لكن حكم المقدّر مشيئة ربّ العالمين
محلا الموت والجهاد ولا عيشة الاستعباد
جاوبوا رجال الأمجاد نموت وتحيا فلسطين
الجسم مات والمبدأ حي والدّما ما تصير مي
معاهد الله يا خي نموت موتة عز الدين
اقرأوا الفاتحة يا اخوان علروح شهداء الأوطان
وسجّل عندك يا زمان كل واحد منا عز الدين

(١) جريدة الجامعة الإسلامية، ٢٨/١١/١٩٣٥ م.
(٢) جريدة الجامعة الإسلامية ـ يافا، العدد ٩٩٤، في ٢٢/١١/١٩٣٥ م.
(٣) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ١٧٢٥، في ٧ كانون الثاني ١٩٣٦ م.
(٤) جريدة الدفاع ـ يافا، ٧/١/١٩٣٦ م.
(*) سورة آل عمران، آية: ١٦٨.
(٥) جريدة الجامعة العربية ـ القدس، ٢٠ كانون الأول ١٩٣٥ م.
(٦) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ١٧٢٧، في ٣ كانون الثاني ١٩٣٦ م.
(٧) جريدة الجامعة العربية، ٧ كانون الثاني ١٩٣٥ م.
(٨) جريدة الجامعة العربية ـ العدد ١٧١٥، في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣٥ م.
(٩) جريدة الجامعة الإسلامية ـ العدد ٩٩٨، في ٢٧/١١/١٩٣٥ م.
(١٠) جريدة الجامعة الإسلامية، ٢ كانون الأول ١٩٣٥ م، ص ٢.
(١١) جريدة الدفاع، ٢ كانون الأول ١٩٣٥ م.
(١٢) صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين، ص ١٧٧.
(١٣) جريدة الجامعة الإسلامية ـ العدد ١٠١٢، في ١٥ كانون أول ١٩٣٥ م.
(١٤) ديوان ابراهيم طوقان، ص ١٤٥.
(١٥) نوح إبراهيم: مجموعة قصائد «فلسطين المجاهدة».



الفصل السابع

القسام قدوة للأجيال

- عوامل هامّة في تكوين شخصيّة القسّام.
- خصائص القسام الذاتية:
  - الوعي الدّيني.. والإلتزام بمنهج الإسلام.
  - الوعي الفكري والتربوي.
  - الوعي السياسي.
  - الوعي الحركي.
  - الوعي الثوري.
  - الرّبط بين القول والعمل.
- دروس وعِبَر من جهاد القسّام.
- نماذج من رَجَل الانتفاضة.
- هوامش الفصل السابع.



الفصل السابع

القسام قدوة للأجيال

عوامل هامّة في تكوين شخصيّة القسّام:

التقت في القسّام مجموعة من العوامل والمؤثرات التي كوّنت شخصيّته المتميزة، وجعلته صاحب مدرسة في النضال تركت أثرها في مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية في أثناء إقامته بحيفا التي دامت قرابة خمس عشرة سنة، واستمر هذا الأثر بعد استشهاده في ميدان القتال عام ١٩٣٥ م. .

لقد تأثر القسّام بالحياة الريفية الفقيرة التي نشأ فيها وقضى أيام طفولته وبداية شبابه. . وانطبعت في نفسه آثار سنوات الدراسة التي أمضاها في الأزهر الشريف، والتي كان فيها يتابع أخبار حركات التّحرر ـ في ذلك الوقت ـ في عدد من البلدان العربية والوطن الإسلامي الكبير. . كما استفاد من دروس الثورة السورية التي كان من أوائل المجاهدين فيها، فعرف منها شروط النجاح في الجهاد. .

وكان القسام ذو ثقافة واسعة في الشريعة الإسلامية، وقدرة فائقة في الخطابة، ولباقة بارعة في إدارة دفة الحديث، إلى جانب قوة في شخصيته، وطيب في معشره، ورقّة في سلوكه وحديثه[1].

كان حاضر البديهة سريع الخاطر، يكره التأجيل والمماطلة وينجز المهمات فوراً. . وكانت حياته بسيطة في بيته وملبسه ومأكله. .

وإلى جانب هذا فقد اتصف القسّام بالفكر الثاقب والوعي السياسي الممتاز، والحديث الهادىء، مما جعل الإتزان لديه بين الإيمان والعقل كبيراً[2].

وقد تحدثنا عن الكثير من صفات هذا الداعية المجاهد في الفصول السابقة، ويمكن القارىء الرجوع إليها.

خصائص القسّام الذاتية:

الوعي الديني.. والإلتزام بمنهج الإسلام:

كان القسّام يدعو إلى الإلتزام بمنهج الإسلام، وكان يعتقد أن العودة إلى أصول الشريعة الإسلامية واتباع السلف الصالح هو الكفيل بمواجهة التحدي الحضاري الغربي. وأنّ الإسلام بما فيه من مبادىء وتعاليم جهادية كفيل بإعداد الأمة وتعبئتها في وجه التحالف الغربي ـ اليهودي. فجوهر دعوة القسام وتجربته قامت على تعاليم الإسلام واستندت على مبادئه القويمة، وسارت على سيرة دعاته الأوائل وقادته الميامين.

لقد قامت حركة الشيخ القسام على الجهاد بمفهومه الإسلامي الصحيح، وكان شعاره المشهور: «هذا جهاد.. نصر أو استشهاد» بما يحمله هذا الشعار من ارتباط واضح بمبادىء الإسلام وفكرة الجهاد فيه.. يقول القسامي المعروف إبراهيم الشيخ خليل: «إن القائد الشهيد كان يدعو إلى الجهاد على أساس ديني، والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين. ومفهوم الجهاد على أسس دينية لا يوجد به إشكالات ولا تعقيدات ايديولوجية أو نفسية، ولا أعماق ولا أبعاد. وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة[٣].

وكان القسام يدعو إلى اتحاد الكلمة في مواجهة الصهيونية ولمّ الشعب، وينادي بالعودة إلى تعاليم السلف الصالح، مندّداً بالاختلاف، منذراً قومه بعواقب الشقاق والتمزق.

ـ الوعي الفكري والتربوي:

يتجلّى الوعي الفكري والتربوي عند القسام في جميع الأعمال والنشاطات التي تولاها.. في الخطابة والدروس في المساجد والوعظ في القرى.. في تدرس

العمال ومحو الأمية، واعتبار محاربة الجهل وتعليم المسلمين جهاداً في سبيل الله.. في العمل بمدرسة البرج الإسلامية، حيث كان يربط النشاط المدرسي للتلاميذ بسيرة أبطال المسلمين أمثال خالد وصلاح الدين وسعد وأبي عبيدة، فكان يشرف على تمثيليات يهدف منها ربط الطلاب بقادة الجهاد وأبطاله من عظماء المسلمين.

يقول «إبراهيم السهلي» أحد تلاميذ القسام في المدرسة: «في نهاية كل سنة كنّا نمثّل رواية، ومثّلتُ في رواية صلاح الدين الأيوبي، وما زلت أذكر صرخة زوجة رئيس الحامية في حطين «واإسلاماه» وقول صلاح الدين عندما جاءه الخبر: «إيه حطين سترين العجب»[٤].

وكان القسام يحرص في أثناء تدريسه لطلابه، على لفت نظرهم إلى الدور المستقبلي الذي ينتظرهم، فكان يسألهم عمّا يريدون أن يكونوا في المستقبل، ولما قال أحدهم أنه يريد أن يصبح قائداً مسلماً يعمل في سبيل الله والوطن، شجّعه القسّام بحرارة، ممّا لفت أنظار الطلاب الآخرين، فباتوا يعتقدون أنّه من دعاة هذا الخط والسبيل[٥].

ـ الوعي السياسي:

يتجلّى الوعي السياسي عند القسام في كل عمل كان يعمله أو نشاط يقوم به.. يتجلّى في العمل الجماهيري والتركيز على أوساط الطبقات الفقيرة.. ويتجلى في التنبيه الدائم إلى الخطر الصهيوني، ولهذا فقد ارتكز جهاده على منع الصهيونية من تحقيق أحلامها في بناء وطن قومي لليهود في فلسطين.. ويتجلى في محاربة التبشير، ودعوة المسلمين إلى تدريس أبنائهم في المدارس العربية وتجنيبهم المدارس التبشيرية.. ويتجلى في التنبيه إلى خطر الإستعمار وحلفائه، وإلى اعتبار بريطانيا العدو الأول لشعب فلسطين لأنها فتحت أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها وعملت على تمكينهم فيها.. ويتجلى أيضاً في مناشدة أبناء الأمة للتفاهم والوحدة ضد الاستعمار..

لقد كان القسام يملك نظرية واضحة المعالم، واستراتيجية محدّدة الأبعاد..

وكان له فكر نيّر ورأي ثاقب.. كان للعمل السياسي في حركته دور هام..

فكان يدرك أن الاستعمار يعتمد على استعمال العنف في محاولة احتلال الوطن الإسلامي، وتدمير بنية المجتمع المسلم.. وبالتالي لا بدّ من المواجهة المسلحة ضدّه، ولا بد من العنف المسلح المرتكز على الحق والجهاد.. وكان يعي جوهر الهجمة الاستعمارية وشموليتها، وبالتالي العمل على مواجهتها بوعي وحركة شاملة..

وكان يرى أن العمل العسكري لن يؤتي ثماراً حقيقية بدون عمل سياسي وجماهيري جادّ. . ويرى أن القوى القادرة على الجهاد ومواصلته تتمثل في العمال والفلاحين. . وأن الرّيف الفلسطيني هو نقطة الارتكاز والانطلاق في العمل المسلح، وأن طبيعة الريف السياسية والاجتماعية وتركيبة الفلاحين الذين يعيشون فيه أقدر على ممارسة العمل الثوري الجهادي[٦].. ولهذا فإن نشر القواعد الثورية في جميع المناطق الريفية بفلسطين، يعتبر ضماناً لتعميم الثورة واستمرارها.

ولم يكن القسام متأثراً بالفكر السياسي السّائد في السّاحة الفلسطينية ـ في ذلك الوقت ـ وإنما كان يمثل تيّاراً أصيلاً وإيجابياً، تجاوز العجز النظري والعملي الذي كانت تعيشه القيادات والأحزاب الفلسطينية المتناحرة، والتي كانت ترى إمكانية التفاهم مع بريطانيا والتوصل إلى ما تريد دون الحاجة إلى العمل العسكري.

ـ الوعي الحركي:

يتجلّى الوعي الحركي عند القسّام في الأسلوب الذي اتّبعه لتكوين حركته الجهادية، والذي بدأه بالتّهيئة النفسية للثورة.. ففي فترة نشاطه بجمعية الشبان المسلمين، وعمله خطيباً في جامع الاستقلال، وتجواله في المناطق والقرى مأذوناً شرعياً وواعظاً، كان يدعو الناس إلى الجهاد وتخليص أرض الإسراء والمعراج من المستعمرين الإنجليز والمغتصبين اليهود، ويهيىء نفوسهم لتقبُّل عمل جهادي قادم..

ويتجلى هذا الوعي أيضاً في اختيار العناصر الطليعية لحركة الجهاد، وتنظيم هذه الحركة بكتمان شديد.. ثم اختيار العناصر العسكرية لها من العمال والفلاحين لأنهم أقرب إلى الفطرة السليمة وأقدر على الجهاد.

ـ الوعي الثوري:

يتجلّى الوعي الثوري عند القسام في الأسلوب الذي اتّبعه في الدعوة إلى الجهاد، وفي الجولات المستمرة في الأرياف والمدن والقرى، لشرح المخططات الصهيونية في الاستيلاء على أرض فلسطين، والتركيز على دور الانجليز في التآمر مع اليهود لتنفيذ هذه المخططات..

ويتجلى هذا الوعي أيضاً في التنظيم العسكري والتدريب والإعداد، والاهتمام بالعمال والفلاحين ليكونوا عماد هذا التنظيم.. ويتجلّى في الوعي الجماهيري الذي أوجده في حيفا ومنطقة جنين وشمال فلسطين. ثم في الثورة الشعبية التي عمّت جميع بلدان فلسطين بعد استشهاد القسام، والتي ابتدأت عام ١٩٣٦ م، وفي العمل العسكري ضد المستعمرات اليهودية، والثورة المسلحة عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م.

ـ الرّبط بين القول والعمل:

القسّام عالم مجاهد.. دعا الناس إلى الجهاد وقادهم بنفسه في الميدان..

عالم أسّس حركة وقام بتجربة، نجحت في تحويل مجرى القضية الفلسطينية من طور المشاعر الانفعالية في الخطابات والكلام، إلى طور العمل الجادّ والحركة الجهادية..

ومجاهد سمع نداء القرآن في قوله تعالى: ﴿سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (سورة الصف ـ الآيات ١ ـ ٤).. سمع نداء القرآن فربط بين القول والعمل، وقاد بنفسه مجموعة فدائية ضد القوات

البريطانية في أوّل معركة مواجهة على أرض فلسطين. . واستشهد وهو يقاتل مع نفر من أتباعه، ليصبح رمزاً للتضحية والوطنية. . فكان استشهاده بمثابة الفتيل الذي أشعل الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م، والمثال الحي الذي اقتدى به أبناء فلسطين في انتفاضتهم المباركة التي ابتدأت في أواخر عام ١٩٨٧ م وما زالت مستمرّة.

دروس وعِبَر من جهاد القسّام:

الشيخ القسّام مَثَلٌ للجهاد الإسلامي، تمثّلت فيه أسمى معاني الفدائية في الجهاد. . كان مؤمناً صاحب عقيدة خالصة استطاع أن ينقلها من تلميذ إلى تلميذ ومن مجاهد إلى مجاهد. . وكان لحركته واستشهاده نتائج فتحت صفحة جديدة في تاريخ الجهاد في فلسطين. . فكانت هزّة عنيفة للعرب أجمعين، دلّتهم على الطريق، طريق القوّة والجهاد. . فالقسام حين أعلن الثورة وذهب إلى غابات يعبد بعدد قليل من الرجال ومقدار يسير من السلاح، كان يدرك الفرق الكبير بين قوّته وقوّة الانجليز، ولكنه آثر الاستشهاد عن عقيدة ويقين ليحيي في النفوس هذه الروح إحياءً عملياً لا نظرياً منبرياً، ويبرهن على أن الإيمان الصحيح ينبع من القلب ويستمدّ من العقيدة، لا من المقالات الصحفية والاحتجاجات والمظاهرات.

كان القسّام أوّل ثائر في فلسطين ضد الاستعمار في العصر الحديث. . لو عرفته البلاد من أول عهد الانتداب ودخول الجيش البريطاني لتغيّر مجرى تاريخ المسلمين في فلسطين. . ولو تيسّر السّلاح للقسّام وصحبه، لكان هذا الثائر المؤمن في فلسطين كما كان عمر المختار في ليبيا وعبد الكريم الخطابي في الريف المغربي. . ولولا تخاذل الدول العربية لكانت روح القسام كافية لإنقاذ فلسطين. . ولو كانت «قصة القسّام» عند أمة تقدّر قادتها لعلّمتها لأبنائها في المدارس ولربّت عليها الأجيال. .

لقد علّمنا القسام دروس الجهاد وعِبَره البليغة. . وما أكثرها في سيرة هذا العالم المجاهد. .

علّمنا أن الاستعمار والصهيونية عدو واحد وخطر واحد، وللتخلص من الصهيونية لا بد من التخلص من الاستعمار..

وعلمنا القسام أنه لا يفلُّ الحديد إلا الحديد، وأن أصوات البنادق والمدافع لا تسكتها المؤتمرات والخطب والبيانات.. فالغزو المسلح لا يصدّه إلا الكفاح المسلح.. وما أصدق تعبير الشاعر الإسلامي المعاصر الأستاذ أحمد فرح عن هذا المعنى حيث يقول(٧):

لا تُرَدُّ الحقوقُ في مجلس الأمن	ولكن في مكتب التّجنيد
إنّ ألفيْ قذيفة من كلام	لا تساوي قذيفة من حديد.

وعلّمنا القسام أنّ أخوف ما تخافه إسرائيل ويخافه الاستعمار هو عودة الأمة إلى عقيدة الجهاد، أو عودة روح الجهاد إلى جسم الأمة..

وعلّمنا أن الجهاد تحت راية الإسلام هو الجهاد الحق.. وأن القتال تحت رايات الجاهلية هو القتال المزيف..

فتحية للمجاهدين الذين عرفوا طريق الحق، فرفعوا راية الجهاد وساروا على درب القسام، وأعادوا الأمة إلى موقعها الصحيح الذي يشهد له التاريخ، ويؤيده الواقع، وتؤكده الأحداث اليومية.. وتبّاً للمنحرفين المزيفين، الذين رفعوا شعارات بعيدة عن الإسلام وحاولوا طرح المشكلة الفلسطينية طرحاً مغلوطاً، ووضعوها في غير إطارها الصحيح، وساروا في طريق الضياع المسدود..

وعلّمنا القسام أن قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين، وليست قضية أبناء فلسطين فحسب.. ففي ثورة القسام امتزج دم أبناء المسلمين من سورية ومصر وفلسطين..

وعلّمنا أن الجهاد سمة مميزة لأمتنا في تاريخها الطويل، وأن الثورة والجهاد ليست انتفاضة عابرة ولا طفرة، وإنما تعبئة وتنظيم وتدريب، وإعداد معنوي ومادي يجمع بين قوة السلاح وقوة الإيمان..

وعلّمنا كيف نستعين على قضاء حوائجنا بالكتمان. . فقد قضى خمسة عشر عاماً في مدينة حيفا، في حركة دائبة، وجاذبية واعية، ونشاط مؤثر، يعمل بصمت وكتمان. . وعيون الانجليز واليهود كانت مبثوثة في كل مكان، ومع هذا لم يتمكنوا من كشف حركته. ومما يذكر أن خلافاً في الرأي بسبب توقيت الثورة ضد الانجليز واليهود، حدث بين القسام وبعض إخوانه، لكنه ظل خافياً على السلطات الحكومية أكثر من خمس سنوات، وهذا يدل على الإيمان الراسخ في قلوب المجاهدين، وعلى تقديرهم للرسالة التي يعملون لأجلها بإخلاص وإقدام، خمس سنوات كاملة وعدد من إخوان القسام غير راضين عن الانتظار، ومع ذلك استمرّوا يعملون سرّاً ضمن مخطط القسام الثوري بدون أي انحراف. .

وعلّمنا القسام أن العلماء المخلصين هم دائماً قادة الجهاد، وأنّ القائد القدوة هو الذي لا يكتفي بالدعوة للجهاد في سبيل الله ضد الأعداء بالقول، وإنما يبدأ بنفسه فينفر في ساحة الوغى قبل سواه. . ولقد كان القسام قدوة في استشهاده كما كان قدوة في حياته، ويكفي أن نعلم أنه استشهد رحمه الله وهو يقاتل بشجاعة، برصاصة في جبينه. .

وعلّمنا القسام أن حياة الشعوب لا تقاس بحياة الأفراد، وأن الشهيد الذي يقضي في أول الطريق يسهم في تعبيد طريق النصر للشهيد الذي يليه، وأن الجيل الذي يمضي ويقيم جداراً في بناء التحرير تكمل البناء من بعده الأجيال، ولذلك لا يضيره أن يمضي قبل أن تكتحل عيناه بنور الحرية، فقد أدّى الواجب ونال الشهادة. .

وعلّمنا القسام أن الشهداء وحدهم هم الذين لا يموتون، والقرآن الكريم يقول: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران: آية ١٦٩). . فالشهداء أعقل الناس حقاً، لأنهم اختصروا الحياة المملّة الذليلة في الدنيا، وسارعوا إلى حياة أرقى وأفضل وأرحب[٨].

وأخيراً، فقد ترك لنا القسام بعد رحيله تجربة عظيمة استمدت مفاهيمها من العقيدة الإسلامية وتراث المسلمين الزاخر بالبطولات والانتصارات.. لتقف هذه التجربة في وجه أخطر تحدٍ عرفته الأمة الإسلامية في العصر الحديث، والذي يتمثل بالتحالف اليهودي ـ الصليبي ضد المسلمين ووجودهم.

ولقد أثبتت تجربة الشيخ القسام أن المسلمين على استعداد تام لبذل المال والتضحية بالنفس رغم كل ممارسات القمع والإبادة، في حال توفر قيادة إسلامية واعية وملتزمة بالإسلام.

نماذج من زَجَل الانتفاضة:

أصبح القسام شعلة تنير الطريق للأجيال، وغدا أنشودة على لسان أبناء فلسطين يطلقونها في وجه الأعداء المغتصبين في انتفاضتهم المباركة التي بدأت في أواخر عام ١٩٨٧ م.

وكان للمهرجانات التي أقامها شباب الحركة الإسلامية في الأرض المحتلة وخارجها أثر كبير في تربية أبناء الأمة على الجهاد.. فقد قام هؤلاء الشباب بتكوين فرق أناشيد للزّجل الإسلامي، فتكونت فرقة الجامعة الإسلامية بغزة، وفرقة النور في أم النور ـ أم الفحم سابقاً ـ في منطقة المثلث، وفرقة الغرباء وغيرها في نابلس والقدس. وأخذت هذه الفرق تجوب أنحاء فلسطين قرية قرية ومدينة مدينة تحيي المناسبات الإسلامية وحفلات الأعراس، فتقدّم تمثيليات هادفة عن أبطال الإسلام المشهورين، وتركّز على دور القسام وإخوانه المجاهدين.

كما قام الشباب خارج الأرض المحتلة بتكوين عدد من فِرَق الأناشيد كفرقة نادي اليرموك بعمّان، وفرقة رابطة الطلبة الفلسطينيين بالكويت..

وكان للأناشيد التي قدّمتها هذه الفرق أثر واضح ودور ملموس في تهذيب النفوس، وتنوير القلوب، وإذكاء الأرواح بالجهاد.. ومما زاد في تأثيرها تسجيلها على أشرطة ونشرها داخل الأرض المحتلة وخارجها.. وقد اخترت مقتطفات من هذا الزّجل الإسلامي لعدد من الفِرَق لأقدّمها في هذا الفصل من الكتاب.

ـ مقتطفات من زجل رابطة الطلبة الفلسطينيين بالكويت[٩]:

سيف الحقّ بيدِ الحُرّ ماضي
وَعلى دَرْب الحُسيني والقسّام أنا ماضي

* * *

نادىٰ القسّام نادىٰ الله أكبر
ثوروا يا ناس أرضي لازم تِتْحرّرْ
بِكَفّينا شو ما نِبكي ونتذمّرْ
آن الأوان صرح الباطل يتدمّرْ
إبِنْ صهيون دنّس أرضي وتجبّر
ليش المذلّه ليش نخاف ونتقهقر
دام القرآن منهجنا وربّي أكبر
ليش الهوان ليش انْذِلّ ونتعثّر
جيل الجهاد شُعلة أمل ابْتِتْفجّر
حامي القرآن قَلْبُه بالتقوىٰ يعْمَرْ
ابن الإسلام شِدّ سْلاحك والخنجر
واهْجِمْ على الموت إوعىٰ يا خي تتأخّرْ

* * *

يَلّا يا خَيّي عالْجِهادِيّه إحْمِلْ رشّاشَكْ من الصُّبْحِيِّه
إما نَصِرْ وعيشه هنيّه أو اسْتِشْهاد ومع الحوريّه

* * *

قَسَماً قَسَماً راجعين لنهجَكْ يا صلاحَ الدّين
والحُسيني وعزّ الدين للتّضْحيه عَناوين
قالوا بِدْنا انْعَلّيها رايِتْنا ونْحَلّيها
يا خَيْ حتّىٰ اتْعَلّيها بدمّ الشُّهَدا رَوّيها

* * *

صَبْـراً يـا أَقْصـانـا صَبْـراً إِحْنـا راجعـين
مـهـما طـالَـت الـلّـيـالي إحـنـا راجـعـين
بُكْـرَه بتـرجَـعْ يـافـا وحيفـا وبـرجَـع الجليـل
وبْـترجـع القُـدس وغـزّه وتـرجـع الخليـل
وتحـضن بـلادي أوْلادهـا وتـلفُظ الـعـمـيـل
وتحـلىٰ القَعْـدِه يـا إخـواني في ربـوع الـدّار

* * *

الله يـا راعـي الهـيـبـه، الله يـا راعـي الهـيـبـه
إحـفظ الأُمّـه قـويّـة، إحـفَظ الأُمّـه قـويّـه
دُسـتـور أُمِّتنـا القـرآن، دُسـتـور أُمتنـا القـرآنْ
والـرّايَـه إسـلامـيّـه، والـرّايَـه إسْـلامـيّـه
أَفغـاني وَرَا الـدُّوشْكَـه، أفغـاني وَرَا الـدُّوشْكـه
خـلّي الضّـرْبَـه قـويّـه، خـلّي الضّـربَـه قـويّـه
إضْـرِبْ الـرّوسي الاحْمر، اضْـربْ الـرّوسي الاحْمـر
وادْحَـرْ الـشُّـيـوعـيّـه، وادْحَـرْ الـشُّـيـوعـيّـه

- **مقتطفات من الشريط الأول لفرقة الجامعة الاسلامية وفرقة النور**[10]:

أحييكم بتحية الإسلام.. تحية من عند الله مباركة طيبة.. فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

في خِضَمّ الجاهلية المظلمة يبزغ نور الإسلام ليبدّد حالك الظُّلَم، ويقدّم البديل النظيف على النماذج السّيئة للغناء الماجن الذي قدّمته وسائل الإعلام الفاسدة على ألْسنة الذين يبغون في الأرض الفساد.. فإليكم الشريط الأول في الزجل الإسلامي..

الله أكـبرُ يـا مـآذِنُ هـلِّلي الله أكْـبَرُ يـا شـبـابُ كَـبِّري

اللهُ أكْـبَرُ والـصّـلاةُ عـلى الـنّـبـي صَـلّوا عـلى طـه النّـبي المُـرْسَـلِ
عِنْـا الفـوارِسُ عَـالْجِيـادِ ابْتِـعْـتَـلي عِنّـا الشّجـاعَـه والكَـرَمْ والمَـرْجَـلِي
صُفّـوا الكتـائِبَ مَـوْكِباً عـامَـوْكِبِ بِـدْنـا كتيبِـه معْ عقيـدِه امْجَـرّبِـه
الـقُـدْسُ إلْنـا والحَـرَمْ والـكَـعْـبَـةِ إلْنـا الجـزائـرُ مـع بـلاد المشـرِقِ
هـيّـا شـبـابَ الحـقِّ والـنّـورِ الأبيّ هيّـا اسْتعيـدوا مَجْـدَنـا يـرضىٰ النّبي

* * *

قَـسَـمـاً قَـسَـمـاً يـا أُمّـي لَـنْـعِـيـدِ الـدّارْ
لَـرْوي هـالأَرْضِ بـدَمّـي واخُـدْ بـالـثّـار
قَـسَـمـاً بـالـرّبِ الـعـالي المَـلِكِ الجـبّـار
رَاحْ نِـشْـعِـلْ دَمّ الـثَّـوْرَه لَهـيـبُ ونـار
لا تـنْـخِـدْعـوا يـا اخْـواني بـصُـلْح وسَـلامْ
مـا ابْـتِـتْـحـرَّرْ أوطـاني كُـلُّه أوْهـام
مـا ابْتِـرْجَـعْ بلدي بـغـير التّـقْـوىٰ والـدّيـن
والْـعِـزّه والـكـرامِـه في فـلسـطين
جـاهِـدْ حـتّى تـتْـحـرّرْ كُـلّ الأوْطـانْ
أو بِـتْـنـولِ الـشّـهـادِه بـجَـنّـة رضـوان
إرْفَـعْ راسَـكْ يـا خَـيّـي وارْفُضْ هـالـذُّلْ
خَـلّي إيـدَكْ مـرفـوعَـه بـوَجْـه المُـحْـتَـلْ
مَـهْـما تـطّوِّلْ يـا ظُـلْمِ الـبـاطِـلْ وِتْجـورْ
لازِمْ فـجْـرِ الـعَـدالِـه يـسْـطَعْ بـالـنّـورْ

* * *

الله . . الله أكْـبَرْ إسْـلامْ بِـدّو يـتْـفَـجّـرْ
الـكُـفُـرْ لازِمْ يِـدَّمَّـرْ والأقصى لازم يـتْـحَـرَّرْ

* * *

اسْـمـعـوا يـا شـيـوعـيـين   تحـذيـر مـن المـسـلـمـين
إخْـوانّـا الأفْـغـانـيـين   خـلّوا روسـيـا يـتْـقَـهْـقَـرْ

***

أُخْـتي يـا أُخْـتَ الإسْـلامْ   اسْـمَـعـي في كُـل مـكـانْ
بِـدْنـا بـدْنـا الإلْـتِزامْ   وبِـدْنـا مـسـاجـد تِـتْـعَـمَّـرْ

***

الله أكْـبَرْ الله أكْـبَرْ   صَـرْحِ الإسـلام ابْيِعْـلىٰ وِبْـيكْـبَرْ
وأنْـتَ يـا عَـدُوّي مهـما ابْتِتـكَـبّـرْ   سَـتَـظلّ تـدوسَـكْ الله أكـبر
يـا شَعْب الصّامِـدْ في هـالِبْـلادي   إدْعـي لـلنّصرِ رَبّ الـعِـبـادِ
إوْعَـكْ تـطّلّعْ عـلى الـفـسـادِ   أو تحـرِقْ دَمّـكْ عـالمُفْـسِـديـنـا
الله يـنـصُـرْهُـم شـعـب الأفـغـانِ   ويحـيّـي اخْـوانّـا داخـل لُـبـنـانِ
ويحـيّـي أصْـلَكْ شـعـب الـسـودانِ   كُـرْمـالِ الجَـنّـه ابيِسْتَـشْهِـدونـا

***

إسْـمَـعْ كِـلْمِـه بـوَصِـيِّـه   في أبْـيـاتي الـشِّـعْـرِيِّـه
نـصـيـحَـه لـكـل إنْـسـانْ   بـدّو دولـه إسْـلامـيّـه
يـالْـبِـدّكْ دولـةْ إيمـانْ   اسْـمَـعْـني وخـلّيـكْ يَـقْـظانْ
المـنـهَـجْ عِـنْـنا الـقُـرآنْ   والـسُّـنّـه الـنّـبَـوِيّـه
إسْـمَـعْ مـنّي هـالـنّـشـيـد   يـا مَـنْ بِـدّكْ دولـه تـشـيـدْ
نَـفْسَـكْ عـالـدَّرب الـرَّشـيـد   ربِّ هَـبْ أصْـدَقْ نِـيِّـه
الـدّولـه بِـدْهـا قُـوّاد   مَـعْ تخـطيط وإسْـتِـعْـدادْ
بِـدْنـا أجْـنـاد وعـتـادْ   مَـعْ طـاقـه بَـشَـرِيّـه
الـدّولـه بِـدْهـا إكْـثـار   مـن مـهـنـدس وطـيّـارْ
بِـدْهـا الحـدّاد والـنّـجـار   وِبَـنّـايِـهْ فَـنِّـيِّـه
الـدُّولـه بـدهـا أطـبّـاءْ   حـتّى نـعـالِـجْ فـيـهـا الـدّاء

بِـدْنـا مختـبر كـيـمـيـاء مـع طـاقـه بـشـريّـه
بـدنـا مـعـلِّم لـلفـيـزيـاءْ ومـا بِـدْنـا عـارض أزيـاء
بـدنـا رائِـدْ لـلفـضـاء مـع مـصـانِـعْ ذرّيّـه
بـدنـا مـن كـلّ الـشّـبـابْ يـتْـحَـلّى بـأحْـلىٰ آدابْ
ويـلْبسْ من تـقـوىٰ الـوَهّـابْ نـورْ وحُـلّه إسْـلامـيّـه
بـدنـا مـن كُـلّ الأشْـخـاص طـاعَـه وتقـوى لـربّ النّـاسْ
مـع عِـبـادِه في إخْـلاصْ كَـيْ نَـبْـقـىٰ ربّـانِـيّـه
بـعـد الإعْـداد والتّـحـضـيرْ وبـعـد الجـدّ في المـسـيرْ
نـطلُبْ مـن الله الـقـديـرْ نَصْر ودولِـه إسْـلامـيّـه

ـ مقتطفات من الشريط الثاني لفرقة النور وفرقة الجامعة الاسلامية[11]:

شَـمَلْنـا الـغَـرْب بِفِسْقُـه شَـمَلْنـا تـرَكْنـا دينّـا النَّـيِّرْ شُـومـالْنـا
قَـسَمْ بِـالله مـا بْـيِجْـمَـعْ شَمِلْنـا لَـغـيرْ الـسُّـنّـهْ والـكْـتـابْ

* * *

مـا بْـنِـرْضىٰ إلّا الـقُـرآنْ حـاكِـمْ إلْـنـا وقـائِـدْ
بِـدْنـا زَيّ صَـلاح الـدّيـنْ وَحَـسَـنْ الـبَـنّـا وخـالِـدْ

□□□

بِـدْنـا أبْـطالْ تـربّي رجـالْ تحْـيـي الـلّيـلْ اتهـزّ جـبـالْ
زَيْ سَـيّـافْ الـصّـامِـدْ زَيْ سـيّـاف الـصـامِـدْ

□□□

بِـدْنـا إسْـلامْ يـسـود الأَرْض يـشِـدّ الهِـمّـه يـصـونِ الـعـرضْ
بـدنـا شـبـابْ تـكـونِ جـنـودْ وتْـقـيـم لـلقـرآن حـدودْ
وِتْحـطِم الـبـاطِـلْ وتحـطِم الـبـاطِـلْ
بـدنـا رجـال تـعـيـدِ الـدّارْ ازْهِـقْـنـا شَـجـبْ واسْـتِـنْـكـارْ

قـــرارات وتجــارب قــوانـــين وتجــارب

شِــدّو الهِـمِّـه يـا رجـالْ وشـدّوا الهِـمِّـه لـلرّحـال

عَــالأقصىٰ بِـنْـحـارِبْ عَــالأقصىٰ بِـنْـحَـارِب

بِـدْنـا عـزيمـه وديـنُ ويـقـينْ حـتّى نْـرَجِّـعْ فـلسـطينْ

في سـبـيـل الله نـجـاهـدْ في سـبـيـل الله نـجـاهـدْ

***

عَـدَرْبَـكْ أنـا يـا نَـبِـيّ الله صَـبّـارْ

بَفْـدي بِـروحي الـدّين بـأكـل الصَّبّـارْ

واعْـبُرْ طـريـق الشّـوكْ والمـنـايـا نـارْ

وارْضىٰ بعَـرَقْ الجْـبـين بـالـدُّنيـا شرابْ

يـقـول الـرَّب مـن سـابِـعْ سَـمَا

مَنْ تَـرَكْ دَرْب الشّيْـطان في الـدُّنيـا سَـما

وَاصْبَـحْ بهـاء النّـورْ في وَجْـهُـه سِمَـه

وفـازْ بـالـدّاريـنْ من بـعـد المـتـابْ

***

الجَنِّـه بِـدْهـا رجـالِ يكـونـوا أطْهـارْ

يحـرِّروا بـيـتِ المَـقْـدِسْ من الـكُـفّـارْ

بـين المَـشْـرِقْ والمـغـربْ في اتّـفـاقْ

كـل مُسلِمْ بِـرْفـعْ راسُـه تُضْرَب أعْنـاقْ

□□□

دعـوتـنـا دَعْـوةْ مـبـدأْ دعـوة إيمـانْ

دَعْــوِتْـنـا أشْـعَـلْـنـاهـا بـنـور الـقـرآنْ

بـين الأخْضَرْ والأحمـرْ سـاحَـه ومـيـدانْ

خِنجَـرْ بِحَـطِّمْ مِنْجَـلْ بِـاسْم الـقـرآن

هبّي يا ريحَ الجنّه هبّي علينا
حتّى نحقّق فرحتنا وأمانينا

***

قلبي جريح وينْ الطّبيب تَيْداوي
جِراحْ شعبي في صَبْرا وصورْ وبَدّاوي
وجروح الشّعِبْ مالها طبيب ولا مداوي
غير المنجّي رب الكونْ والنّاس

***

إحْتَرْنا بتَحْرير الأَوْطانْ والأُمّه العربيّه
إحترنا بتحرير الأوطانْ والأُمّة الإسلاميّه
ما في حلّ إلّا القُرْآنْ والسُّنّه النّبويّه

□□□

صَيْحةْ الله أكْبَرْ إلّي يعاديها بِخْسَرْ
ذَبَحونا بتَلِّ الزّعْتَرْ وتاجروا بالقَضيّه

□□□

في الثّمانْيهْ وأرِبْعينْ	ضاعَتْ نُصّكْ فَلَسطينْ
أمّا في السَّبْعَه وستّينْ	كمّلوا عَالبَقيّه

□□□

المُسْلِمْ عن دينُه مالْ	وتاجَرْ بالدّنْيا والمالْ
مَشىٰ بدَرْبِ الانْحِلالْ	وبِسمّيها حُرِّيّه
يا أخينا بِدْنا رجالْ	لِلأُمّه تعيد الآمالْ
سيبَكْ من ضرْب الأمثالْ	وعُدْ لِرَبّ البَرِيّه
قُوّتْنا في الاتّحادْ	وعبادةْ ربِّ العِبادْ

اللهْ أَمَرْ بالجهاد بآياتُه القرآنِيّه
اللهْ الواحِدْ غايِتْنا النّبي طه قُدْوِتْنا
كتابْ الله شرعِتْنا والموتْ إلْنا أُمْنِيّه

* * *

عودوا لِدَرْبِ الحَقّ والإسْلامْ عودوا
خَلّي التّمَرْ يا ناسْ ينْضُجْ على عودُه
الدّينْ أصْلِ العِزْ وبالدّينْ راحْ تسودوا
وتْعودْ أمجاد المُسلمين للعرب والنّاسْ

* * *

صامِدْ عَالأَرض لَمّا بَعْطَشْ تَرْويني
قَهْر المُحْتَلّ عن دَرْبي ما يشْنيني
عن الأوْطان ما اتْخَلّ ولا اتْزَحْزَحْ
حتّى لو سالْ دَمّي من شراييني
ابْنِ الإسْلامْ لا شَرْقي ولا غَرْبي
دَرْب السّلامْ مع الغاصِبْ مُشْ دَرْبي
وَالّي بِسالِمْ غاصِبْ أرْضي مُشْ عربي
شِعاري واحِدْ أنا مُسْلِمْ فلسطيني
دَمّ الشُّهداءْ رَوّتْ أَرْض الأَجْدادِ
وسيوف الحَقّ عَالمآذِنْ بِتْنادي
هَيّا اسْتَعيدوا عِزّتْنا والأَمجادِ
خَلّي الإلهْ يحْرُصْ دَرْبي ويحْميني
يا شَعْب الصّامِدْ في الأَوْطان المغصوبَه
خَلّي الرّايات عَالْمَآذِنْ مَنْصوبَه

لا تْخَلّي العينْ عَن الباطِلْ مَعْصوبَه
واعْلِنْها لا ما بَتْخلّى عن ديني

نور الإسْلامْ هَلّ وعَمَّكْ يا بْلادي
وكُلّ الأنامْ على المُسْلِمْ بِتْنادي
يَلّا يا مارِدْ إقْهَرْ كُلّ الأعادي
طال المِشْوارْ لازِمْ نِرْجَعْ للدّين
مَسْرى الرَّسولْ بِبْكي فُقْدانِ احْبابُه
صارِ الطُّغْيان يدَنِّسْ أَرْضُه وأَعْتابُه
وين الرِّجال الّي المَنايا ما يْهابوا
ضَحّوا بالرّوح لاجْل الحَقّ المَصْيونِ

* * *

إحْنا للحَقّ ندفَعْ أياديـنا
ونخوضْ الحَرْب لاجْلِكْ فلسطينا
وجنودْ الحقّ ديْماً بتناديـنا
ثوروا عَالظُّلْم نْحرِّرْ أراضينا

□□□

مَهْما تتْعالىٰ يا ظالِمْ والله
لَتْعود الدّارْ وبْنَصْري أباهي
والْحَقّ الحَقّ ما نِعْرَفْ انْباهي
إلّا بالنّصرِ فيكِ يا جنينا

□□□

يا أُمّ النّورْ بِتْشِعّي بِنُورِكْ
على كُلِّ الأَرضْ بِدْموعِكْ وِسْرورِكْ

والْـــيـوم الْـيــومْ يــا بَــلَدي بَــزرِكْ
حَــتّى تــتْـحَــقّـقْ فــيــكِ أمــانــيــنــا

□□□

حَــرّرْ يــا شَـعْـب أَوْطــانَــكْ بِــديــنَــكْ
وبْسـيـفِ الحَقّ حَـتْــلاقى مُـعـيــنَــكْ
الله الله يــا شَــعْــبي يــعــيــنَــكْ
عــلى ظُـلْم الـنّــاس ولا تَخْشىٰ السِّـنـيـنــا

□□□

والــنَّـصْر الـيــومْ يــا شَـعْـبــي طــريـقُــه
والجيش البـاسِــلْ عَـمْ بَـسْـمَـعْ دَبـيـبُـه
الله الله مــا بْــيِــنْسىٰ حــبــيــبُــه
يــا رَبِّ يــا رَبِّ هــالــنّـصْرْ بْــيــيـجــيـنــا

ـ مقتطفات من الشريط الثالث لفرقة النور والجامعة الإسلامية[١٢]:

سَــدّوا دُروبِ الــوَطَـنْ وِقْـفُــوا عـلـيــه حُــرّاسْ
مَــع خُــطْوةْ سِجِـنْ فــوق الــسِّجِــنْ قَـنّــاصْ
والـقَـهِــرْ عِـــنّــا فَـنْ واشْــكــالْ مــع أجْـنــاسْ
يــا خْـســارَه غــابِ السَّبِــعْ وتْمَــرَّد النَّسْنــاسْ
فَـجِّــرْ لهيـبَــكْ يــا شَعِـبْ تَـنْـدَمِّــر الأنْـجــاسْ
ونــحــمــي حِمــاكْ يــا وَطَـنْ ونْـحَــرِّرْ الأجــنــاسْ
وِالّي يخون الوَطَنْ تحت الثّرىٰ يِنْداسْ
مــا أكْــثَرْ زنــازين الــوطن أسْـلاكْ والأجْــراسْ
مــا أكْـثرْ مــراجيح الشَّنْق أصحــابْهــا أَرْجــاسْ
إحْنــا شبــاب المِحَنْ نـصْـبِرْ عــلى مُــرّ الكــاس
ونــفْــدي إلــه الــكــونْ في كُــلِّ لَحْــظِةْ بــاسْ

روحِ الـفـتىٰ مِـلكُـه وروحـي مِـلْكِ الـنـاسْ
لَحْـن الـشّـهـادِه شَجَـنْ في قَـلْبِـنـا حَسّـاسْ
جنب البَـارودِه لَهَبْ وجَـنْـب الـلَّـهَـبْ رشّـاشْ
بـدنـا نعيـد الـوَطنْ القُـدْسِ مـع عمـواسْ
ونهْتِف برايةْ أحَدْ رايةْ إله الناسْ

* * *

يـا شبـابَ الإسـلام إصْحَ الخَـطْـبِ جَسيمْ
مـا في مَخْـرَجْ لـبـلادي غـير خَطِّ الـدّيـن
اتْـرُكْ أرْضي يـا عَـدُوّي واهْـجُـرْ جَـوّي
صـوتِ الإخْـوان بِـدَوّي إحْـنـا جـايّـين
وَطَـنِـيّـتْـنـا أَصيـلِه مُشْ دَخـيـلِه
وَطَنِيّتْـنـا إسْـلامِـيّـه مَـنْـبَـعْـهـا الـدّيـنْ
خـاضـوا مـعـارِكْ وَهْمِـيّـه مـن غـير الـدّيـن
بـالـشّـعـاراتِ الـقـوميّـه وطِـلْعـوا خـاسرين
يـا رَبِّ الـنّصرْ امْـنَـحْـنـا جـنـودَكْ إحْـنـا
مِـنْ عـذابَـكْ احْـفَـظْنـا يـا ربِّ آمـين
الأسـتـاذْ المُـرَبّي احُـطّو بْـقَـلْـبـي
بَـدْعـي يحـفَـظو رَبّي مـن الحـاقـديـن

* * *

بِـتْـعـودْ وَالله غـيرِ تـعـودْ يـا شَـعْـبِ الـكَـرَمْ والجـودْ
رَوابـيـكِ يـا أرْضِ بْـلادي بِـتْـشـاوِرْ إلي وبـتْـنـادِي
راحْ يـرْجَـعْ حِمـىٰ الأجـدادِ بـالـدّيـن وَالله غـير تـعـودْ
وِجْـبـالِ الجـلـيـل والـوادي والـدّوحَـه وصـوت الـشّـادي

والصّحْرا وحِداءِ الحادي   بتْنادي وَالله غير تعودْ
زيتونِكْ ومَرْجِكْ الأخْضَرْ   وأطْفالِكْ بِتَلّ الزّعْتَرْ
وشبابِكْ بكُلِّ مُعَسْكَرْ   صامْدينْ رَغْم كُلِّ قيودْ
بَدّاوي وشاتيلاّ وصَبْرَا   وِجْراحَكْ يا شَعْبي المُرْه
وِصْراخ النِّسا والعَذْرا   بِدِمانا عَزِمْ وصمودْ
يا برج البَراجْنَه يا صامِدْ   لا تَخْضَعْ لأَيّ حاقِدْ
يا عين الحلْوَه يا مارِدْ   اصْمِدْ رغمَ كُلِّ قيودْ
والتّبّه وصور الباهِرْ   والشّعْب الّي فيهم ثائِرْ
كانوا لِلْعدُو قاهِرْ   واسْأَلْ أبناء القرودْ
يا قِبْيَه ودير ياسينْ   ما عادِشْ بُكَى وأنينْ
أحْفادَكْ بطل حِطّينْ   عَمْ بِحَطّموا القْيودْ
دَعْوِتْنا بجبلِ النّارْ   تتْحَدّىٰ قُوىٰ الأَشْرارْ
مزيداً من الإصْرارْ   مَوْعِدْنا بيوم مَشْهودْ
وشَبابَكْ كفر قاسِمْ   لِظَهْر العَدُو قاصِمْ
مَوْعِدْنا بلِقاءْ حاسِمْ   وِمَعانَا شَباب أُسودْ
إخْواني بكَفِرْ كَنّا   اسْمَعولي هالمَعْنىٰ
إنْ كان الإله مَعَنا   أمْجادْنا لنا بِتْعودْ
وما بَنْسىٰ شباب النّور   القادِمْ من أمِّ النّور
قرآنّا هو الدُّسْتورْ   بِعْطينا عَزِمْ وِصْمودْ
وِحْدِتْنا مع الإيمانْ   قُوّتْنا من الرَّحْمنْ
وشيوخْنا مع الشُّبانْ   يَلاّ بِنا إنْزيل لِحْدودْ

(١) عرفات حجازي: فلسطين أرض البطولات، ص ٥١.

(٢) إبراهيم الشيخ خليل: «ذكريات عن القسام»، مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد السابع، آذار ١٩٧٢ م، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

(٣) إبراهيم الشيخ خليل: «ذكريات عن القسام»، مجلة شؤون فلسطينية ـ العدد السابع، آذار ١٩٧٢ م، ص ٢٦٧.

(٤) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٨٦.

(٥) علي حسين خلف: تجربة عز الدين القسام، ص ٨٦.

(٦) سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٢٩.

(٧) أحمد فرح: ديوان «جرح الإباء»، ص ٧٧.

(٨) حسني جرّار: القدوة الصالحة، ص ١٦٨ ـ ١٧٢.

(٩) الشريط الأول من زجل رابطة الطلبة الفلسطينيين بالكويت.

(١٠) الشريط الأول لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.

(١١) الشريط الثاني لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.

(١٢) الشريط الثالث لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.

ملاحق الكتاب

١ - صك الانتداب الفلسطيني الذي وضعته بريطانيا كدولة منتدبة، وأقرّه مجلس جمعية الأمم في لندن يوم ٢٤ تموز ١٩٢٢ م.

٢ - عريضة من وجهاء حيفا للمندوب السّامي تطالب بتعيين الحاج أمين الحسيني مفتياً للقدس.

٣ - وثيقة المجلس الإسلامي الأعلى في القدس حول تأسيس جامع الاستقلال.

٤ - وثيقة الجمعية الإسلامية بحيفا حول تأسيس جامع الاستقلال.

٥ - ورقة الإجابة التي تقدّم بها الشيخ القسام لامتحان المحكمة الشرعية بحيفا - الخاص بالمتقدّمين لوظيفة «مأذون أنكحة».

٦ - جدول بأعضاء «عصبة القسام السرية» في الثلاثينات.

٧ - تعليق حكومة فلسطين على استشهاد القسام.

٨ - بلاغ الحكومة الرّسمي عن الحادث.

٩ - الرّد على تسمية البلاغ الرسمي الانجليزي لعصابة القسام بالأشقياء.

١٠ - بيان الحزب العربي حول جمع التبرعات لعائلات الشهداء.

١١ - الاحتفال بتشييع القسام وصحبه في حيفا إلى مثواهم الأخير.

١٢ - ذكرى مجاهدين عربيّين «القسّام وهنانو».

١٣ - بلاغ رقم «٢» صادر عن «الشيخ عطيّة».. قائد منطقة نابلس وجنين.

١٤ - بيان المجاهدين إلى الأمة العربية الكريمة.. الصادر عن قيادة الثورة العامة في فلسطين.



ملحق رقم (١)

صك الانتداب الفلسطيني الذي وضعته بريطانيا كدولة منتدبة وأقره مجلس جمعية الأمم في لندن يوم ٢٤ تموز ١٩٢٢:

لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم[1] على أن تعهد إلى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة في إدارة شؤون فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة.

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت أيضاً على أن تكون الدول المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وصادقت عليه الدول المذكورة بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيئاً يضير الحقوق المدنية

(١) هذا نص هذه المادة المتعلق بالبلاد العربية:
«إن بعض الجماعات التي كانت سابقاً جزءاً من المملكة العثمانية وصلت إلى درجة من الرقي يحق لها معها أن تعتبر أمماً مستقلة بشرط أن يرشدها في إدارة شؤونها نصائح ومعونة حكومة منتدبة إلى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على قيادة نفسها. ويجب قبل كل شيء أن تراعى أماني تلك الجماعات في اختيار الحكومة المنتدبة».
حيث اعتبرت البلاد العربية من هذا القسم الذي عبر عنه في الميثاق بصنف (أ) ومع أن صكوك الانتداب لسوريا ولبنان والعراق المماثلة لفلسطين قد وضعت على هذا الأساس الذي قام بمقتضاه حكومات وطنية فإن هذا الأساس لم يراع في صك انتداب فلسطين بسبب تصريح فلسطين. وقد قال تشرشل في هذا الصدد بصراحة أن المانع الوحيد لتأسيس حكومة وطنية في فلسطين أسوة بالبلاد العربية الأخرى ليس كون أهل فلسطين أقل رقياً وتقدماً من سكان تلك البلاد وإنما هو وعد بلفور! ومن تمام الصورة المضحكة المبكية أنه ورد في مواد الصك تسمية لحكومة فلسطين بحيث يخيل أنها شيء غير الدولة المنتدبة ولكنها كانت تسمية زائفة لأن إدارة فلسطين كانت إدارة انكليزية في نطاق وزارة المستعمرات البريطانية...

والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى.

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد.

ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين ولما كان صك الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جمعية الأمم لموافقته عليه.

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب على فلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الأمم طبقاً للنصوص والشروط التالية.

ولما كانت المادة (٢٢) المتقدمة الذكر تنص على أن درجة السلطة والسيطرة أو الادارة التي تكون للدولة المنتدبة إذا لم يتم الاتفاق عليها بين أعضاء جمعية الأمم ينص على ذلك نصاً صريحاً فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي:

المادة الأولى: يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة إلا حيث أقيمت لها حدود في نصوص صك الانتداب هذا.

المادة الثانية: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان.

المادة الثالثة: يجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الأحوال.

المادة الرابعة: يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية لتشير وتعاون في إدارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين وتساعد وتشترك في ترقية البلاد

تحت سيطرة حكومتها دائماً. ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض. وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي.

المادة الخامسة: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن شيء من أراضي فلسطين أو تأجيره أو وضعه تحت حكم دولة أجنبية.

المادة السادسة: على حكومة فلسطين مع كفالة عدم إلحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين في أحوال مناسبة، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة استقرار اليهود في الأراضي الزراعية ومن جملتها الأراضي المدورة والأراضي البور غير المطلوبة للأعمال العمومية.

المادة السابعة: يترتب على حكومة فلسطين أن تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً على الرعوية الفلسطينية.

المادة الثامنة: إن امتيازات الأجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الأجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات أو العرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين. ولكن متى انتهى أجل الانتداب فإن هذه الامتيازات برمتها أو مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشأن باستثناء الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في أول آب سنة ١٩١٤ تعود إلى العمل بها فوراً.

المادة التاسعة: الدول المنتدبة مسؤولة عن كفالة النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين للحقوق القضائية للأجانب والوطنيين، وعن ضمانته تمام الضمان لاحترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما إدارة الأوقاف طبقاً للشريعة الدينية وشروط الواقفين.

المادة العاشرة: تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الأجنبية بشأن تسليم الرعايا الأجانب المطلوبين في فلسطين مرعية إلى أن تعقد اتفاقات خاصة بذلك في فلسطين.

المادة الحادية عشرة: تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في ماله علاقة بترقية البلاد ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة أو سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة أو التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهود الدولية التي تقبلتها الدولة المنتدبة على نفسها؛ وعليها أيضاً أن توجد نظاماً للأراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة أمور أخرى منها المنافع التي تنجم عن تشجيع إكثار المهاجرة واستغلال أعظم ما يستطاع من الأرض. ويجوز لادارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تجري أو تستثمر بشروط الانصاف والعدل والأعمال والمصالح العمومية وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الأمور مباشرة بنفسها. وإنما يشترط في هذه الاتفاقات أن لا تتجاوز الأرباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل مباشرة أو غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال. وكل ما يزيد من هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها.

المادة الثانية عشرة: يعهد إلى الدولة المنتدبة بالسيطرة على علاقات فلسطين الخارجية، وحق إصدار البراءات إلى القناصل الذين تعينهم الدول الأجنبية. وللدولة المنتدبة الحق أيضاً في أن تشمل رعايا فلسطين وهم في خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها.

المادة الثالثة عشرة: تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين. وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة، وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات الأمن العام والآداب، وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة أمام جمعية الأمم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك بشرط أن لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ما تراه هذه الدول لازماً لتنفيذ نصوص

هذه المادة، وبشرط أن لا يفسر شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للأملاك الاسلامية أو التدخل في إدارة الأماكن المقدسة الاسلامية ذات الامتيازات الدائمة.

المادة الرابعة عشرة: تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة بالأماكن المقدسة، والحقوق والدعاوى التي تختص بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين. ويعرض الأسلوب الذي يتبع في تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جمعية الأمم ليوافق عليه. ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس.

المادة الخامسة عشرة: يجب على الدولة المنتدبة أن تتحقق أن الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب. ويجب أن لا يكون هناك تمييز من أي نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس أو الدين أو اللغة، وأن لا يحرم شخص ما من دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط. ويجب أن لا تحرم أي طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها وتعليم أبنائها بلغتهم إذا كان ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الحكومة.

المادة السادسة عشرة: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم من الاشراف على الهيئات الدينية والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين. فإذا روعي هذا الشرط لا يجوز أن تتخذ تدابير في فلسطين لإعاقة أعمال مثل هذه الهيئات أو التعرض لها أو الاجحاف بأي ممثل لها أو عضو فيها بسبب دينه أو جنسيته.

المادة السابعة عشرة: يجوز لحكومة فلسطين أن تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام والدفاع عن البلاد أيضاً بشرط أن تكون تحت إشراف الدولة المنتدبة. ولكن لا يجوز لإدارة فلسطين استخدام هذه القوات لأغراض أخرى غير الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة. وفي ما عدا هذه الأغراض لا يجوز لإدارة فلسطين أن تجمع قوات

عسكرية أو بحرية أو جوية ولا أن تبقيها عندها. وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين. ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طريق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات.

المادة الثامنة عشرة: يجب على الدولة المنتدبة أن تكفل عدم التحيز في فلسطين ضد رعايا أي دولة تكون عضواً في جمعية الأمم. وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة إذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة أو أي دولة أجنبية كانت في الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطي الصنائع أو المهن وفي معاملة السفن التجارية أو الطيارات الأهلية. وكذلك يجب أن لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشؤها في بلد من بلدان الدولة المذكورة أو تكون مرسلة إليها. وتطلق حرية مرور المتاجر الترانزيت عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة. ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك الانتداب هذا يجوز لإدارة فلسطين أن تفرض باشارة الدولة المنتدبة الضرائب والرسوم الجمركية كما تراه ضرورياً وأن تتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية الموارد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان. ويجوز لها أن تعقد باشارة الدولة المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع أي دولة كانت أملاكها كلها داخلة في تركيا الآسيوية أو شبه جزيرة العرب في سنة ١٩١٤.

المادة التاسعة عشرة: تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جمعية الأمم فيما بعد من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة أو الاتجار بالمخدرات أو تتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور الترانزيت والملاحة والطيران وبالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية والملكيات الأدبية والفنية والصناعية.

المادة العشرون: تعاون الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جمعية الأمم لمنع انتشار الأمراض وفي جملتها أمراض

النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وسواها.

المادة الواحدة والعشرون: تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الأحكام الآتية ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جمعية الأمم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية:

(١) يجب أن يفهم من كلمة «العاديات» كل ما ينتج عن عمل البشر أو صنعهم قبل سنة ١٧٠٠. (٢) ان التشريع لحماية العاديات يجب أن يكون أجدر بالتشجيع منه بالتهديد ويجب على كل شخص يكتشف أثراً بدون حصول على الاذن المذكور في الفقرة الخامسة أن يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما اكتشفه. (٣) لا يمكن نقل ملكية شيء من العاديات إلا لمصلحة السلطة ذات الشأن ما لم تعدل هذه السلطة عن امتلاكه. ولا يمكن إخراج شيء من العاديات من البلاد إلا باذن من تلك السلطة. (٤) كل شخص يتلف أو يثلم قطعة من العاديات تعمداً أو إهمالاً يجب أن يجازى جزاء يحدد مقداره آنئذ. (٥) ممنوع كل حفر أو تنقيب لايجاد العاديات إلا باذن السلطة ذات الشأن وإلا غُرم المخالف بغرامة مالية. (٦) توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية موقتاً أو دائماً في الأراضي التي تحوي فائدة تاريخية أو أثرية. (٧) لا تعطى الرخصة باجراء الحفريات إلا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على خبرتهم في الآثار. وعلى الدولة المنتدبة لدى إعطاء الرخصة أن لا تستثني علماء أمة ما. (٨) يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الأشخاص الذين أجروه والسلطة ذات الشأن بالنسبة التي تعينها هي. فإذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التنقيب.

المادة الثانية والعشرون: تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين. فكل عبارة أو كتابة **بالعبرية تكرر بالعربية**.

المادة الثالثة والعشرون: تعترف إدارة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين كأيام راحة مشروعة لأفراد تلك الطائفة.

المادة الرابعة والعشرون: تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريراً سنوياً يرتاح إليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن أو تصدر في أثناء السنة مع التقرير.

المادة الخامسة والعشرون: يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الأمم أن تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للأحوال المحلية الحاضرة في الأقسام الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين[1] كما سيعين في آخر الأمر وأن تضع من التدابير لادارة هذه الأقسام ما تراه ملائماً لتلك الأحوال بشرط أن لا يعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد (١٥ و١٦ و١٨).

المادة السادسة والعشرون: توافق الدولة المنتدبة على أنه إذا وقع نزاع ما بينها وبين عضو آخر في جمعية الأمم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها يُعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عنها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم إذا لم يتم حله بالمفاوضات.

المادة السابعة والعشرون: يلزم أخذ موافقة جمعية الأمم عن كل تعديل في شروط صك الانتداب.

المادة الثامنة والعشرون: يتخذ مجلس جمعية الأمم من التدابير في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة ما يراه ضرورياً لصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين (١٣ و١٤) واستمرار احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود المالية التي أخذتها إدارة فلسطين على عاتقها في عهد الانتداب وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة.

المصدر: محمد عزة دروزة: القضية الفلسطينية، جـ ١، ص٢٦٣ - ٢٧٠.

---

(١) مع أن شرق الأردن كان جزءاً من ولاية سورية وفي إدارة منطقة سورية الداخلية إلى آخر عهد فيصل ومع أن تشرشل قال في كتابه الأبيض أن فلسطين هي القسم الواقع غربي الأردن فإن الانكليز خدعوا بمكرهم مجلس جمعية الأمم اعتبار تسمية فلسطين شاملة لشرق الأردن وغربه معاً ونالوا الانتداب على فلسطين هذه!!

ملحق رقم (٢)

عريضة من وجهاء حيفا للمندوب السامي تطالب بتعيين الحاج امين مفتيا للقدس.

461/TB

الجمعية الاسلامية

بحيفا

تاسست سنة ١٣٣٧

بجانب فخامة المندوب السامي المعظم

نحن المرقمين بذيله نستوحم انتخاب وتعيين حضرة العالم الفاضل السيد محمد امين الحسيني مفتياً للقدس الشريف لما نعهده بفضيلته من الاهلية والكفاءة تحريراً ٥ نيسان

[توقيعات]

المصدر: سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٣٣.

ملحق رقم (٣)

وثيقة حول تاسيس جامع الاستقلال

العنوان البرقي : المجلس الإسلامي القدس
صندوق البريد ٥١٧
التلفون ١١٩٠

العدد
الرقم مساجد ١٠٧١
التاريخ صفر ٣٤٢



القدس الشريف

حضرة رئيس لجنة عمارة (جامع الاستقلال) حفظه الله .

حيفا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فقد قدم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الندى مراد أحد قضاة المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى الى المجلس كتابا مؤرخا في ٦ صفر ١٣٤٢ — ١٧ أيلول ٩٢٣ يبحث فيه المشروع الديني المبارك الذي يقوم به اخواننا المسلمون الكرام في مدينة حيفا من انشاء جامع يدعى (جامع الاستقلال) وقد ارتأى المجلس لهذا المشروع ارتياحا كبيرا ونظرا لأهمية هذا المشروع والمثابرة عليه يقرر اعانته اعانة مالية قدرها مائتا جنيه مصري وهي واصلة الى لجنتكم الموقرة مع صاحب الفضيلة المشار اليه . هذا وإننا نود كثيرا لو أن جميع المسلمين في هذه البلاد يقتدون بأهالي حيفا الكرام من حراسة الدين الحنيف من انشاء المساجد وعمارة بيوت الله ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . عظم الله ثواب أهل الغيرة الاسلامية وعززهم بصفات الغيرة والوجدان . وبالله التوفيق .

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى

المصدر : سميح حمودة : الوعي والثورة ، ص ١٣٣ .

ملحق رقم (٤)

وثيقة حول تاسيس جامع الاستقلال

THE MOHAMMEDAN SOCIETY	الجمعية الاسلامية
HAIFA (Palestine)	بحيفا
FOUNDED 1337 (HEGIRAH)	تأسست سنة ١٣٣٧

٩٠

لجانب سماحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى المحترم

بما أن مجلسكم الموقر هو المرجع الأكبر لرفع شأن المسلمين والمحافظة على كيانهم وأن الجمعية [illegible] وهي ترى من معاونة المجلس في

تطلعه على آمالها في جميع أعمالها الخيرية والوطنية ، وبما أن محيط حضراتكم علما بأمر

الجامع الذي قامت بإنشائه منذ [illegible] أشهر [illegible] الأمر الذي [illegible]

قد [illegible] بتمام بناء الطابق السفلي المؤلف من [illegible] الجامع المملوك [illegible]

الجامع في المستقبل ، وبما أن اللجنة المخصوصة ساعية في المباشرة ببناء الجامع [illegible] هذه [illegible]

[illegible] مبلغا وافرا وليس بالمستطاع تحديد [illegible] والجمعية [illegible]

الذين تبرعوا [illegible] وإن [illegible] هذا المشروع [illegible] الملح [illegible]

[illegible] الأعلى مساعدتها في انجاز هذا الأمر بتخصيص مبلغ في الموازنة [illegible]

مجلسكم [illegible] التي تقدرونها [illegible] موقفها [illegible]

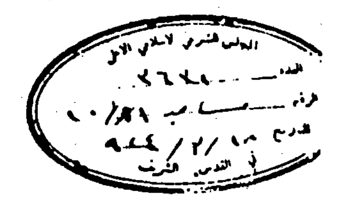
لئلا تحبط في هذا المشروع أمام الطوائف الأخرى [illegible]

مقدمين لحضراتكم الكرام جزيل الشكر ومقدمين فائق الاحترام

رئيس الجمعية الاسلامية

[illegible]

٩ جمادى الثانية ١٣٤٤ ، ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ [illegible]



المصدر: سميح حمودة: الوعي والثورة، ص ١٣٥.

ملحق رقم (٥)

ورقة الاجابة التي تقدم بها الشيخ عز الدين القسام لامتحان المحكمة الشرعية في حيفا الخاص بالمتقدمين لوظيفة «مانون انكحه»

س ١ ماهي موانع النكاح ؟
س ٢ ما الفرق بين النكاح الفاسد والباطل ؟
س ٣ ما الحكمة من ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة ؟
س ٤ ما حكمة المنع في تزويج الصغار وما حكمة اشتراط الولي في نكاحهم ؟

ج ١ هي حق الغير واختلاف الجنس وحرمة المصاهرة والرضاع والنسب واختلاف الدين والجمع والزيادة عن الاربع وعدم شرط من شروط النكاح الشرعية والقانونية .
ج ٢ النكاح الباطل هو غير المنعقد من اصله ولا يترتب عليه شيء من حقوق الزواج اصلا كنكاح المحارم مثلا . والنكاح الفاسد هو الذي ينقض بعض الشروط و يكون منعقدا من وجه الظاهر و يقترن بالظهور فيترتب عليه بعض الحقوق بعد ظهور فساده كنكاح خامسة بعد الاربع و بادخال الآمة على الحرة .
ج ٣ الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة هي كمال عقل الزوج وانه يحسن وضع الامور في محالها فيطلق حسب المصلحة و يمسك زوجه حسب المصلحة ولانه قيم على الزوجة بطبيعة الخلق التي جاءت الشريعة على حسبها من جعل الرجال قوامين على النساء فيناسب ان يكون اطلاق السراح وادامة النكاح بيده ولا يسبب غضاضة في نفس الزوجة بخلاف العكس مما يؤدي بحسب الشعور الى اختلال نظام العائلة ، وبما ينفق الرجل من ماله حسب الاية ايضا ولان اصل النكاح انه يرد على ملك التمتع ببضع المرأة قصدا وهذا يقتضي ان يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة .
ج ٤ الحكمة من منع تزويج الصغار هي المحافظة على المقصد المطلوب من النكاح الذي هو استدامة بقاء الجنس الانساني خصوصا المسلم منه بحالة طبية متناسبة مع الهناء والنمو العقلي والديني والجسماني في النسل الذي يخرج من بين الزوجين فحيث أن الصغار لا يحرزان قبل سن البلوغ الاهلية لتربية ذراريهم هذه التربية فيكون من اباحة تزويجهم ضرر هائل في المجموع الانساني والمجتمع الاسلامي ، هذا عدا عما يترتب على اباحة تزويج الصغار من الاضرار بعقولهم وأبدانهم والاسراع بهم الى الفناء وغير ما يقصده كثير من الاولياء الجاهلين من استغلال قصور البنات واستجلاب ثروات أباء الصغيرات بعد الموت بسبب ذلك النسب الذي لا يقصد من مثله الا المنافع الدنيئة وذلك موجب لكثير من الفتن بين العائلات ولهذا منع الاباء من تزويج الصغار في بعض الاحوال مع العلم بشدة المرحمة بين الوالد والولد لان هذه المرحمة استبدلها جهل الاباء بالمظلمة . وللاحتراز من الوقوع في شيء من تلك المفاسد اشترط الولي في نكاح الصغار ، لانه ارجى لصلاح حالهم بالنظر لعقل الولي ومحافظة بحسب العاطفة النسبية على مصلحة الصغير ولذلك لم يعتبر الشرع تصرفات الصغار في النكاح وغيره بالنظر لعدم استكمالهم العقل المتوقف على البلوغ .

١٨ جمادى الاخرة ١٣٤٩
٩ / ١٠ / ١٩٣٠

المجيب عز الدين القسام

المصدر : سميح حمودة : الوعي والثورة ، ص ١٤٠ .

ورقة الضبط

المحكمة الشرعية في   عدد الصفحة

١ س: ما هي موانع النكاح

٢ س: ما الفرق بين النكاح الفاسد والباطل.

٣ س: ما الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة

٤ س: ما حكمة المنع في تزويج الصغار. وما حكم اشتراط الولي في النكاح

١ ج. هي: [illegible] واختلاف الجنس وحرمة المصاهرة والرضاع والنسب واختلاف الدين والجمع والزيادة على الأربع وعدم شرط من شروط النكاح الشرعي والقانوني.

٢ ج. النكاح الباطل هو غير المنعقد أصلاً ولا يترتب عليه شيء من حقوق الزواج أصلاً كنكاح المحارم والنكاح الفاسد هو الذي ينقص بعض الشروط ويكون منعقداً من وجه الظاهر ويترتب عليه بعض الحقوق بعد الدخول [illegible] النكاح [illegible]

٣ ج. الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة [illegible] عقل الزوج [illegible] الأمور [illegible] المصلحة [illegible] الزوجة [illegible] الخلقة التي جاءت الشريعة [illegible] الطلاق [illegible] النكاح [illegible] نظام العائلة [illegible] المرأة [illegible] أن يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجة.

٤ ج. الحكمة من منع تزويج الصغار هي [illegible] المقصد المطلوب من النكاح الذي هو [illegible] والنمو العقلي والبدني والجسماني [illegible] الزوجية [illegible] الصغار [illegible] سن البلوغ [illegible] تزويج [illegible] الأولاد [illegible] تزويج الصغار [illegible] والأمراض [illegible] الصغار [illegible] ذلك [illegible] تزويج الصغار مع العلم [illegible] الوالد والولد [illegible] الولي [illegible] للإصلاح [illegible] النظر [illegible] الشرع [illegible] تصرفات [illegible]

[illegible]

الجواب

[illegible]

ملحق رقم (٦)

جدول بأعضاء «عصبة القسّام السرية» في الثلاثينات:

القيادة المسؤولة:

الشيخ عز الدين القسّام.
الشيخ خليل العيسى (أبو إبراهيم الكبير).
الشيخ سليمان عبد القادر حمام.
سرور برهم العوده.
الشيخ عطية أحمد عوض.
محمود زعروره.
توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير).
الحاج حسن حماده.
محمد محمود غزلان (أبو محمود الصفوري).

قادة القواعد والفروع:

الشيخ محمد عبد الكريم الأسعد.
حسن الباير.
الشيخ نمر السعدي.
الشيخ فرحان السعدي.
الشيخ محمد الحنفي.
ناجي أبو زيد.
داود خطاب.
سعيد عطيه.
محمد الصالح.
أبو خضر عارف إبراهيم.
الشيخ عارف إبراهيم.
الشيخ عارف أحمد.
أحمد أبوذان المزرعاوي.
شريف السيلاوي.
صالح أبو حشمه.
أحمد الغلاييني.
أحمد التوبه.
عيسى البطل.
الشيخ ذيب الديوان.
عبد القاسم أبو طه.
محمد سيلاوي.
حسن شبلاق.
ممدوح العلي.

المجاهدون في معركة يعبد:

الشيخ عز الدين القسام (استشهد في المعركة).
يوسف عبد الله الزيباوي (استشهد في المعركة).

سعيد عطية أحمد المصري (استشهد في المعركة).
محمد أبو قاسم خلف (استشهد قبل المعركة).
الشيخ نمر حسن السعدي (جرح في المعركة).
الشيخ حسن الباير (أُسر في المعركة).
أحمد الحاج عبد الرحمن (أسر في المعركة).
عربي البدوي (أسر في المعركة).
محمد اليوسف (أسر في المعركة).
أسعد مفلح الحسين (فقد بعد المعركة).

بعض المجاهدين من العصبة:

إبراهيم أحمد طه.
الشيخ رشيد عبيد الشيخ.
الشيخ علي الحاج عبيد.
الشيخ عبد الفتاح أبو عبد الله.
السيد أبو علي مزرعاوي.
الشيخ عبد القادر علي.
الشيخ محمود سالم المخزومي.
الشيخ توفيق الزبري.
الحاج صالح أحمد طه.
الشيخ علي إبراهيم زعرورة.
الشيخ عارف الحمدان.
الشيخ عبد الله يوسف.
الشيخ عبد الله عقيله.
الشيخ محمد الخالدي.
الشيخ محمود ديراوي.
الشيخ معروف حجازي.
الشيخ محمد أبو جعب.
الشيخ محمود الخضري.
الشيخ نايف المصلح.
أحمد رمضان.
الشيخ محمد العبد موسى.
مصطفى علي الأحمد.
الشيخ نايف الزعبي.
أحمد الصلح.
أحمد طوبى.
إبراهيم الشيخ خليل.
محمد عبد القادر أبو الهيجا.
الدكتور سعيد محمد عوده.
الحاج علي الحلح.
محمد علي دلول.

المصدر: بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ م، ص ٨٨٦.

ملحق رقم (٧)

«تعليق حكومة فلسطين على استشهاد القسام»:

علقت حكومة فلسطين في تقريرها إلى لجنة الانتدابات على حوادث سنة ١٩٣٥ عن ثورة القسام بما يلي:

«انتشرت في الجو إشاعات عن عصابات للارهاب تألفت بوحي من عوامل سياسية ودينية، وفي يوم ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥، كان جاويش من البوليس يقف إثر سرقة في هضاب قضاء الناصرة، فأطلق عليه أشخاص مجهولون النار فقتلوه.

وسرعان ما أدى هذا الحادث إلى اكتشاف عصابة مسلحة كانت في ذلك الجوار تحت قيادة الشيخ عز الدين القسام وهو لاجىء سياسي من سوريا ذو مكانة ليست بالقليلة كرجل من رجال الدين، وقد اشتبه به اشتباهاً قوياً قبل ذلك ببضع سنوات وقيل أن له ضلعاً في أعمال إرهابية.

وبعد ذلك بأيام قلائل اشتبكت دورية البوليس مع أحد أفراد هذه العصابة وبعد أن تبادلت معه إطلاق الرصاص سقط قتيلاً.

وفي يوم ٢٠ تشرين الثاني انطلقت رصاصة على حين غرة على بوليس كان يفتش في الهضاب الواقعة على بعد بضعة أميال إلى الغرب من جنين فأدت هذه الرصاصة إلى اكتشاف العصابة الرئيسية، وفي المحاربة التي جرت، قتل من أفراد هذه العصابة أربعة وأسر خمسة، ثم ألقي القبض على واحد آخر بعد ذلك بأيام.

وقتل كونستابل بريطاني وجرح آخر، وكانت العصابة مزودة تزويداً حسناً بالأسلحة والذخائر. وحضر جنازة الشيخ عز الدين القسام في حيفا جمع غفير

جداً من الخلق وبالرغم من الجهود التي بذلها كبار المسلمين في توطيد النظام وقعت مظاهرات وقذفت حجارة.

وبعثت وفاة الشيخ عز الدين بموجة قوية الشعور في الدوائر السياسية وغيرها في البلاد، واتفقت أراء الصحف العربية على تسميته بالشهيد فيما كتبه من المقالات الوطنية».

المصدر: عمر أبو النضر: جهاد فلسطين العربية ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

ملحق رقم (٨)

بلاغ الحكومة الرّسمي عن الحادث:

أذاعت حكومة فلسطين في الساعة الثامنة من مساء ١٩٣٥/١١/٢٠ م بلاغاً رسمياً عن حادث استشهاد القسام، قالت فيه:

«كان قد تجمّع في المُدّة الأخيرة عصابة من الأشقياء في الجهة الشمالية من قضاء نابلس تنتقل بين الجبال، وكان المدعو محمد أبو قاسم خلف الذي قتله البوليس في كفرقود يوم ١٧ تشرين الثاني أحد أفراد هذه العصابة.

وفي فجر هذا اليوم أحاطت قوّة من بوليس نابلس وطولكرم وجنين قرية الشيخ زيد «شمال يعبد وعلى بعد ١٠ أميال غرب جنين» حيث كان الاعتقاد أن العصابة مجتمعة هناك، وقد أطلق عليها الرصاص من حرش قريب وعندما بادلته العصابة الطلقات تبيّن للبوليس أنّه أمام عصابة مسلحة، وفي أثناء المناوشة التي أخذت شكل عراك انتهى حوالي الساعة العاشرة صباحاً في أسفل الوادي، وقد قُتل أربعة أو خمسة أشخاص من أفراد العصابة وقُبض على خمسة آخرين أحدهم مصاب بجراح خطيرة. والمعتقد أن هذا يشمل جميع أفراد العصابة وقد استولي على تسع بنادق وبندقية صيد وبندقية سريعة الطلقات وكمية من الذخيرة، وقتل من أفراد البوليس الانجليزي «ر. س. ف. مت» وأصيب بوليس انجليزي آخر بجراح خفيفة.

وعرف من أفراد العصابة المقتولين: الشيخ عز الدين القسام، الشيخ يوسف عبد الله، أحمد الشيخ سعيد، سعيد عطيفة أحمد.

وقيل أن أسعد مفلح الحسين قد قُتل غير أنه لم يُعثر عليه بعد. وقد أُصيب نمر حسين السعدي بجراح خطرة، وكان الشيخ عز الدين القسام الذي اختفى من بيته في أوائل الشهر، المُنظِّم والرئيس لهذه العصابة».

المصدر: جريدة الجامعة العربية ١٩٣٥/١١/٢٢ م.

ملحق رقم (٩)

الرّد على تسمية البلاغ الرسمي لعصابة القسام بالأشقياء! ١٩٣٥/١١/٢١ م:

«حسبونا أشقياء، أخطأوا ليس من صانوا الحمى بالأشقياء»

بقلم الوطني الحر الأستاذ أكرم زعيتر

هل رأيت اليم الصخاب، الجائش الفوار، المتلاطم الأمواج الموار، المزبد المرغي الهادر؟

هل رأيت البراكين المضطرمة المضطربة تقذف الحمم والنار؟

هل سمعت الرعود العاصفة تجلجل؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع؟

هل رأيت الاتون المتسعر؟ المتلظي، المتأجج الوهاج؟

إن لم يكن هذا فسل من مشى في موكب الشهداء في حيفا التي دوت صرختها اليوم في الآفاق وتصاعد زفيرها إلى أجواز الفضاء... كل ذلك من أجل عصابة أشقياء!! أستغفر الله بل عصبة شهداء.

يقول البلاغ الرسمي أنها عصابة من الأشقياء وتقول الأمة الحية التي مشت اليوم في موكب وداع ضحاياها: كلا. كلا. إنهم أبنائي وذوادي... إنهم مهجي وشهدائي!

يقول **القانون** أنهم عصابة أشقياء وتقول الأمة التي دهتها الرزايا وتوالت عليها المحن والبلايا: ليس القانون من صنع يدي... وإنما هؤلاء الضحايا هم الذين صنعتهم يدي، واحتضنتهم اليوم تربتي.

عصابة أشقياء في نظر **البلاغ الرسمي**... أما في نظر الشعب العربي،

فسلوا عنهم الدموع المهراقة وسلوا عنهم الزفرات المتصاعدة، بل سلوا عنهم الزغاريد تنطلق من أفواه النساء والهتافات من صميم أفئدة الرجال.

عصابة أشقياء في البلاغ الرسمي. وعصبة الشهداء في سجل القضية.

يا صديقي، يا صديقي الشهيد عز الدين القسام، ليتك استطعت اليوم أن تنهض من نعشك لترى كيف رفعتك أمتك وصحبتك على الأكف والهام، لقد كان هذا اليوم يومك الأغر المحجل.

لقد سمعتك يا صديقي قبل اليوم خطيباً مفوهاً تتكىء على السيف وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيباً تتكىء على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك والله اليوم أخطب منك حياً.

ليت السلطة تستطيع أن تعلل هذا الاندفاع الفذ في تقديس عصابة الأشقياء.

إلا أن الأشقياء منا هم الذين سترى عيونهم هذه الأمة العربية في فلسطين أقلية ذليلة مهانة.

إلا أن الأشقياء التعساء هم الذين يطيقون الذل ويقيمون على الهوان، ينكسون الرؤوس ويخفضون الهامات.

أما هؤلاء فشهداء سعداء ولو قالت الحكومة المنتدبة وقال قانونها أنهم عصابة أشقياء؟

حيفا ـ أكرم زعيتر.

المصدر: الجامعة الاسلامية، العدد ٩٩٤

٢٦ شعبان ١٣٥٤ هـ و ٢٢ تشرين ثاني سنة ١٩٣٥ م.

ملحق رقم (١٠)

نص البيان الذي وزعه الحزب العربي الفلسطيني لجمع التبرعات لعائلات الشهداء:

حضرة السيد الفاضل:

زرت أول البارحة عائلات الشهداء المرحومين الشيخ عز الدين القسام والشيخ يوسف الزيباوي والسيد المصري في حيفا مع بعض الإخوان فوجدت أن العائلات الثلاثة في حالة تفتت الأكباد ليس من جهة الحزن على الذين فقدوهم فقد كانوا جميعاً من حيث معنوياتهم وصبرهم على أحسن ما يكون بل لم نعتقد مطلقاً أن النساء والأطفال يمكن أمام مثل هذه المصيبة أن يتحلوا بالصبر ويعتصموا بقوة أكثر مما رأيناه منهم.

ولكن الحالة البائسة التي هم فيها ناشئة عن الفقر وكثرة العائلات، فللشيخ عز الدين القسام ثلاث بنات وغلام لا يتجاوز التاسعة من العمر وله زوجة وشقيقة ووالدة مقعدة وللشيخ يوسف غلام طفل وبنتان، الكبرى لا يزيد عمرها عن الخامسة وزوجه، وللسيد المصري ثلاث بنات كبراهن لا تزيد عن الخامسة وأمهن حامل وستضع قرب عيد الفطر القادم وله والد زوجه أعمى ولهذا بنتان كلهم يعتاشون من الفقيد.

وحالة الفقر الظاهرة التي هم فيها تدمي القلوب، ولذلك أرى من الواجبات الأولية أن يقوم الحزب بعمل بسيط لإسعاف هذه العائلات قبل حلول العيد المبارك، وذلك بأن يجمع كل فرع من فروع الحزب من أهل الخير والاحسان وبطريقة لا حزبية ما لا ينقص عن الخمسة جنيهات تقدم لمكتب الحزب حول ٢٠ رمضان كي يتمكن من تقديمها جميعاً لأماكنها.

وبالطبع نحن ننتظر من البلدان الكبرى أن تكون أكثر سخاء فوضعنا الحد الأدنى وتركنا الحد الأعلى مفتوحاً وكل ما زاد كان أوفى للمطلوب، راجين بذل همتكم وعموم الاخوان في جمع مبلغ يتساوى مع شعوركم الحي وإرساله قبل الموعد المضروب وأشكركم سلفاً.

رئيس الحزب العربي الفلسطيني
جمال الحسيني

القدس في ٢٣/ تشرين ثاني سنة ١٩٣٥

ملحق رقم (١١)

الاحتفال بتشييع القسام وصحبه إلى المثوى الأخير في حيفا ١٩٣٥/١١/٢١ :

حوادث خطيرة في حيفا بين الجند والأهلين

كيف شيعت حيفا جثث الشهداء الطاهرة إلى مقرها الأخير.
رشق دائرة البوليس والمحطة بالحجارة.
سقوط جرحى من الأهلين والجند.

شاعت يوم أمس في يافا إشاعات متضاربة حول الحالة في حيفا سببت تبلبل الأفكار فوجدنا أن الواجب الصحفي يدعونا لإذاعة ما اتصل بنا من الأنباء الحقيقية تهدئة للخواطر المضطربة فوزعنا الملحق التالي:

حيفا في ٢١ الجاري لمراسلنا الخاص:

باتت حيفا ليلتها قلقة ساهرة تندب شهداءها وتذكر الوضع المشؤوم الذي يولد مثل هذه النتائج الخطرة وقل من استطاع من أبنائها أن يذوق النوم إذ وردت عليها الأنباء تترى عن استشهاد خطيب جامعها، الأستاذ الشيخ عز الدين القسام، رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا وأحد أقطاب الوطنيين، وعضو حزب الاستقلال في حيفا وصحبه الأبرار المؤمنين.

وصول الجثث إلى حيفا ليلاً:

ولما وصلت الجثث ليلاً الساعة العاشرة إلى حيفا هرعت الجماهير الغفيرة إلى بيوت أصحابها.

في الصباح الباكر إضراب عام:

وفي الصباح الباكر أضربت حيفا إضراباً عاماً شاملاً لم يسبق له مثيل حداداً

على الشهداء وإكباراً لتضحيتهم. وتساوى بإكبار الشهداء مسيحيو البلدة ومسلموها.

الآلاف المؤلفة تنتظر الشهداء:

وفي الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم كانت آلاف الجماهير من الناس في الطرقات، متصلة ببيوت الشهداء تنتظر نزولها والسير بها إلى المسجد. فأنزل جثمان الأستاذ الشيخ عز الدين فالسيد المصري فالشيخ يوسف عبد الله الزيباوي أما الرابع البدوي فقد أخذ أهله جثمانه قبل وصوله.

لف النعوش بالأعلام الإسلامية:

لف رشيد الحاج ابراهيم النعش الأول بالعلم العراقي والآخر بالعلم السعودي والثالث بالعلم اليماني وصار الموكب في نظام منقطع النظير إلى جامع النصر الكبير الذي اختير لاتساعه، وقد كان مكتظاً بالألوف من المصلين، وكانت الطرقات تعج بالخلائق والشرفات ممتلئة بالنساء وأسطحة البيوت فكان مشهداً عظيماً رائعاً لم تر حيفا مثله إلا يوم توديع جثمان الملك فيصل. وفي أثناء الصلاة بالمسجد قدم وفد من نابلس ففسحت الجماهير الطريق له.

الوفد النابلسي: وكان الوفد النابلسي مؤلفاً من كثيرين عرفنا منهم الأستاذ عادل زعيتر المحامي. راشد أفندي أبو غزالة والأستاذ أكرم زعيتر والحاج بشير ياسين والسيد ماجد القطب والحاج فوزي الخياط وفريز الحبش.

وفد صفد: ثم أقبل وفد صفد وعلى رأسه الأستاذ صبحي بك الخضرا المحامي. وعبد الرحمن أفندي النوحي.

وفد عكا: ثم أقبل وفد عكا.

خروج الجنائز: ثم خرج المصلون يحملون النعوش على أكتافهم وبعد جهد جهيد استطاعوا الخروج فيهم من المسجد إلى الساحة الكبرى أمام المسجد المكتظة والبالغة آلاف الخلائق.

النساء يزغردن: وكانت النساء يزغردن والشباب يهزجون بعاطفة جياشة بالشعور المتدفق المليء بالروح الوثابة وهيهات لمثلي أن يستطيع وصفها. وكانت الأيدي ترتفع والصيحات ضد الاستعمار والصهيونية تشق أجواز السماء.

سير الموكب: ثم سار الموكب والهتافات تتصاعد من الحناجر وكلمة الله أكبر تدوي في الآفاق - وفرق الكشافة، فالجماهير، فالعلماء، فالنعوش فكانت مزدحمة ازدحاماً لا مثيل له.

أمام دائرة البوليس: وظل الموكب يتدافع، والحماس يتزايد حتى الوصول إلى دائرة البوليس.

قذف الدائرة بالحجارة: وهناك بلغ التأثر في الشعب حداً لم يستطع معه أحد أن يكبح جماحه فأخذ يرسل الحجارة والطوب على نوافذ دائرة البوليس.

تحطيم النوافذ وسيارات البوليس: فحطم الباب والنوافذ وتوارى البوليس وحطمت سيارات البوليس الواقفة أمام الدائرة ثم سار الموكب في طريقه حتى آخر شارع الملوك حيث النصب التذكاري للمغفور له فيصل.

بين الجمهور والجند: وهناك لمح الجمهور بعض الجنود البريطانيين فهاجمهم.

جرح شاب وطني: وأسفر هذا الاصطدام عن جرح أحد الشبان العرب جرحاً بليغاً في رأسه وعن ثلاثة جرحى من الجند البريطانيين، أما الجريح العربي فاحتمله الشاب الشهم السيد سميح الحاج ابراهيم إلى عيادة الدكتور حمزة حيث أسعف ثم أرسل إلى المستشفى وحالته تنذر بالخطر.

مهاجمة المحطة: ثم استمر الموكب متدافعاً نحو المحطة، وهناك أخذت الأحجار من الأهالي تتساقط على المحطة من كل صوب هجوماً عنيفاً بالحجارة والعصي فلاذ من فيها بالفرار فتعقبتهم الجماهير وهنا حصلت بلبلة عظيمة إذ انتشر في روع الناس أن قوة من الجند البريطاني مقبلة.

الجنود يهاجم الشعب: ولم يخب الظن إذ أقبلت حالاً كتيبة من الجند بخوذها الفولاذية وعصيها فنزلت من السيارة واصطدمت بالشعب فانهال عليها

الناس بالحجارة والعصي فوقع الكثيرون من الجند على الواقعة على الطريق وفي الياجور بقرب المقبرة.

وهنا كان البرنامج أن ترسل النعوش بالسيارات بعد أن يجري التأبين ولكن كان الجو مكهرباً مضطرباً اضطر معه خطباء البلاد أن يعدلوا عن إلقاء كلماتهم.

وعزفت الموسيقى نشيدها المحزن وتقدم البعض لوضع النعوش في السيارات لولا أن جمهوراً غفيراً من الناس قد أبى إلا أن تحمل النعوش على الأعناق وأن يرسل الشهداء إلى لحودهم مشياً على الأقدام رغم طول المسافة التي لا تقل عن ٧ كيلومترات إلى بلد الشيخ.

وكانت إرادة الشعب هي الغالبة إذ ظلوا سائرين في نفس الترتيب.

بعثت إليكم بهذه الرسالة التلفونية الساعة الثالثة بعد الظهر وحيفا قائمة قاعدة للحادث الأليم والاضراب ما يزال مستمراً. والشهداء حتى الآن لم يصل موكبهم إلى المقر الأخير لطول المسافة.

وفد يافا: أما وفد يافا فقد تأخر عن الوصول حتى موعد هذه الرسالة.

وفود القرى: ووفد مئات الوفود من القرى المحيطة بحيفا وكلما أقبلت سيارة كانت الجماهير تهرع لعلها ترى فيها الزعماء ورؤساء الأحزاب الذين يتجاهلون في مثل هذا الموقف واجب مشاركة الأمة في شعورها وقد وردت برقية من سماحة منشىء الجامعة الاسلامية.

بعد الصلاة: وبعد الصلاة أبنهم فضيلة الشيخ يونس أفندي الخطيب قاضي مكة الأسبق بكلمات مؤثرة بدأها بآيات من القرآن الكريم فبين أجر الشهداء عند ربهم وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

الجنائز تظل محمولة على الأكتاف:

وقد تابعت السير مع هذه الجنازة الصامتة الناطقة إلى أن وصلت شركة المصانع الكيميائية الامبراطورية حيث أعدت هناك سيارة لنقل جثث الشهداء ولكن الجمهور المحتشد أبى التخلي عن جثث شهدائه وإلا أن يتابع السير بها محمولة على الأكتاف وهكذا كان إلا أن وصلت الجماهير مقبرة بلد الشيخ التي

تبعد ٥ كيلومترات عن حيفا وهناك أنزلت الجثث ووريت التراب وهي في حالها الطبيعية وفي ملابسها الملوثة بالدماء.

مستعمرة الياجور تقفل:

وفي طريقنا إلى بلد الشيخ كانت مستعمرة الياجور اليهودية مقفلة بأمر من إدارة البوليس لئلا يحدث ما لا تحمد عقباه.

ثلاث ساعات ونصف:

وقد استغرق السير بالجنازة من الجامع الكبير في ساحة الجرينة إلى مقبرة الياجور من الساعة ١٢ إلى الساعة الثالثة والنصف وكانت خلالها الجماهير المحتشدة تهلل وتكبر.

وقد وصلت في هذه الليلة عدة وفود من جهات مختلفة للاشتراك في الجنازة التي كانت قد انتهت حين هذا عدا عن وفود البلاد الكثيرة التي جاءت صباحاً للاشتراك في جنازة الشهداء.

وقد اتصل بي الآن أن الجريح العربي الذي ضربه الجنود الانجليز بهراوة على رأسه ضربة قاسية نقل على أثرها إلى المستشفى قد فاضت روحه في الساعة السادسة من مساء اليوم رحمه الله.

ضوء الموكب:

وقد انفردت بالتقاط بعض صور للجنازة والجماهير المحتشدة، وكنت عازماً على التقاط الصور في بلدة الشيخ لولا أن المصور الذي اتفقت معه على التقاطها قد خشي قمع المظاهرة التي وقعت قرب تمثال الملك فيصل وهرب راجعاً إلى محل عمله.

والرأي العام العربي هنا وفي البلدان والقرى المجاورة مضطرب متألم. وقد ظلت حيفا مضربة إضراباً تاماً في المساء.

المصدر: الجامعة الإسلامية ٢٦ شعبان ١٣٥٤، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٥، ص ٤.

ملحق رقم (١٢)

ذكرى مجاهدين عربيين كبيرين الزعيم ابراهيم هنانو، والشهيد عز الدين القسام:

احتفلت فلسطين أمس احتفالاً كبيراً في عاصمتها وفي كبريات مدنها بأحياء ذكرى الأربعين للزعيم العربي والمجاهد الخطير المرحوم ابراهيم بك هنانو زعيم سوريا الشمالية الذي جاهد في سبيل استقلالها أشرف جهاد وناضل أشد نضال، وقاتل جيش الاحتلال الفرنسي أمداً طويلاً بعد أن قضى الفرنسيون على استقلال سوريا وأزالوا الحكم العربي الفيصلي منها، والذي ظل بعد أن انتهت ثورته العسكرية، رافعاً راية الجهاد السياسي متقدماً بني قومه جميعاً في المطالبة بحقوق البلاد إلى أن توفاه الله إليه فبكته سوريا الشمالية كما بكته سوريا الجنوبية وكما بكته الأمة العربية في جميع أقطارها وأمصارها، وقامت تحيي ذكراه المجيدة بمثل هذه الحفلات الرائعة التي شهدتها فلسطين أمس.

ويوم الأحد المقبل الواقع في ٥ كانون الثاني الجاري تحتفل فلسطين كلها مجتمعة في مدينة حيفا بأحياء ذكرى الأربعين، للشهيد العربي الكبير صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ عز الدين القسام رئيس جمعية الشبان المسلمين بحيفا ورجل التقوى والورع والصلاح الذي خرج مجاهداً في سبيل دينه ووطنه على رأس عصبة من تلاميذه ومريديه مستنكراً للظلم صارخاً في وجه العدوان الأثيم، إلى أن سقط شهيداً في ساحة الشرف والمجد ولقي الله بقلب سليم هو ومن استشهد معه من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

فهاتان الذكريان التي احتفلت فلسطين أمس باحياء أولاهما، وستحتفل بعد أيام قلائل بأحياء اخراهما لمن أصدق الأدلة على وحدة الشعور في البلاد السورية

شمإليها وجنوبيها وأنوف المستعمرين في الرغام، في أولاهمـا يحتفل أبنـاء فلسطين بإحياء ذكرى زعيم سوريـا الشمإليـة، وفي أخراهمـا يحتفل أبنـاء فلسطين بـاحياء ذكرى مجاهد من سوريا الشمإلية سقط شهيداً في سبيل استقلال سوريا الجنوبية، وليس ذلك فحسب بل قاد حملة جهاد لعلها الأولى من نوعها في تاريـخ الاسلام الحديث في فلسطين وسوريا والشرق العربي بأسره.

إن وفاة الزعيم هنانو تركت فراغاً لا يسهل سده في ميدان النضال الوطني في سوريا وأشعرت العرب عامة ولا سيما السوريين بالحاجة المـاسة إلى هـذا الطراز من رجـال السيف والقلم بين العـاملين على استقـلال سوريـا. كـما أن حـادثـة الشهيد القسام ورفاقه رضي الله عنهم دلت على روح جديد جرى في الأمة مجرى الدم في العروق وعلى أن البلاد لا تعدم عند الحاجة من أبنائها من يتجـردون في سبيـل الجهاد عن كـل غال ورخيص وكـل لـذاذة من لـذاذات الحيـاة ويبيعـون أنفسهم في سبيـل إيمانهم وعقيـدتهم، وإنمـا ليست من الجمـود وتحجـر الشعـور وموت الحس في الدرجة التي يتوهمها الخصوم أو ضعفاء الايمان من أبنائها.

إلا أن الأمـة بخير وأنها لعـلى هـدى ونـور وصراط مستقيم، والله نسـأل أن يصـونها من كيد الكـائدين وخيـانة الخـائنين وعبث العـابثـين. ورحمـة الله عـلى المجاهدين الكبيرين اللذين سقطا في ميدان الشرف وعلى من معهما من الشهداء والصالحين وسلام عليهم جميعاً في جنات النعيم.

المصـدر: الجامعـة العربيـة، العدد ١٧٢٤، ٣ كـانون الثاني ١٩٣٦ م، ٨ شوال ١٣٥٤ هـ.

ملحق رقم (١٣)

بلاغ رقم (٢):

(نصر من الله وفتح قريب)

احتلال مدينة جنين ومعارك دامية.

قررت القيادة العامة القرارات التالية:

أولاً: مهاجمة مركز بوليس بيسان، ثانياً: احتلال جنين، ثالثاً: مهاجمة مراكز الجيش نابلس، رابعاً: مهاجمة الدوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين.

وتنفيذاً لهذه القرارات خرج فصيل عمر بن الخطاب وقام بمهاجمة مركز الخنيزر تابعة لبيسان فاستولي على جميع أسلحته وأمتعته ثم قامت الفصايل الأربعة فصيل القسام وحمزة بن العباس وعمرو بن العاص وأبو بكر وطوقوا جنين من جميع جهاتها ثم هاجموها بالتكبير والتهليل تتقدمهم المدافع الرشاشة التي كانت تصب نيرانها الحامية على مراكز البوليس والجند مما جعلهم أن يولوا هاربين إلى البيوت ملتجئين ودخل المجاهدون المدينة واستولوا على ما فيها من ذخيرة وبنادق.

أما فصيل علي بن أبي طالب فقد اتجه شطر نابلس وهاجم قوات الجيش في مراكزها في الشرق والغرب وأصلاها ناراً حامية.

وهاجم فصيل خالد بن الوليد وأبي عبيدة الدوريات العسكرية التي تتجول بين نابلس وجنين فاصطدمت معها في وادي دعوق وقد قتل سائق السيارة المصفحة وهو يهودي وسائق سيارة ثانية وهو جندي طوقه الثوار وحاول أن

يغريهم بالدراهم التي معه ليتركوه ولكنهم رفضـوا وطلبوا إليـه تسليم نفسه فـأبى وأشهر مسدسه عازماً على غدرهم وعندها أطلق الثوار عليه النار فقتلوه.

قائد منطقة نابلس وجنين

(الشيخ عطيه)

المصدر: محمد عزة دروزة: القضية الفلسطينية، جـ ١، ص ٢٣٢.

ملحق رقم (١٤)

بيان المجاهدين إلى الأمة العربية الكريمة:

قد بلغ المجاهدين في فلسطين أن بعض الأشرار قاموا باقتحام بعض المنازل في القرى العربية وتصدّوا لفريق من المارة العرب أو بعثوا بكتب التهديد بقصد النهب وسلب الأموال، وأنهم فعلوا ذلك باسم المجاهدين وتحت ستار الجهاد المقدس.

ان المجاهدين قد باعوا أنفسهم لله، وخرجوا في طاعته لم يخرجوا إلا ابتغاء وجهه، والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته واكتساب مرضاته لا يرضون بذلك بديلاً ولا يبغون عنها حولاً، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وهم يتسابقون إلى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق وإقامة للعدل ودفاعاً عن أمتهم الكريمة وبلادهم المقدسة قد فارقوا في سبيل ذلك أهلهم وتركوا أموالهم وعطلوا مصالحهم.

ومن كان هذا حالهم، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة من الله لا من سواه، حاشا لله أن يفسدوا في الأرض ويسلبوا أموال إخوانهم، فيبطلون بذلك أعمالهم ويخرجون من زمرة المجاهدين الأبرار إلى زمرة السفلة الأشرار.

ولذلك فإن المجاهدين يعلنون بأن هؤلاء السلابين ليسوا منهم وأنهم بريئون من تلك الأعمال الدنيئة ويلفتون نظر الأهالي جميعاً إلى ما ثبتت حقيقته من أن بعض هؤلاء الأشرار ينتهزون الفرص ليصطادوا في الماء العكر كما أن بعضهم مدفوع من قبل دائرة الاستخبارات السرية الانكليزية، وأنها تستأجرهم لذلك بقصد توهين صفوف الأمة وإيقاع الفساد بينها وتشويه حركة الجهاد المقدسة،

وقد حدث أن شخصاً داهم في المدة الأخيرة منزل رجل عربي ليلاً وطلب منه مالاً وهدده بالقتل إن لم يدفع فاستعان الرجل ببعض الناس وقبضوا عليه وفتشوه فوجدوا معه مسدس بوليس رسمي وأوراق تدل على أنه ذو صلة بدائرة الاستخبارات الانكليزية وأن هذه الدائرة قد استخدمت بعض الأفراد والجماعات للقيام بهذه الأعمال السافلة.

والمجاهدون الذين أخذوا على عاتقهم متابعة هؤلاء الأشرار الأجراء ومطاردتهم يرجون كل من يقع له حادث مثل هذا ويتمكن من معرفة فاعليه أو الاشتباه بهم، أن يتوسل لابلاغ ذلك إلى قيادة أي فريق من المجاهدين لينالوا شر الجزاء على ما تقترفه أيديهم الأثيمة.

وإننا نهيب بكل مسلم وعربي أن ينهض للجهاد في سبيل الله ويساعد المجاهدين على الدفاع عن البلاد المقدسة التي هي أمانة في عنق كل منهم يسأل عنها أمام الله والناس والتاريخ، ونحن ماضون في هذا السبيل إن شاء الله إلى أن يكتب النصر لهذه الأمة أو يأتي الله بأمر من عنده (ولينصرن الله من ينصره) إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير.

قيادة الثورة العامة في فلسطين

المصدر: محمد عزة دروزة: القضية الفلسطينية، جـ ١، ص ٢١٠.



المصادر والمراجع

مراجع عامة:

١ ـ صحيح البخاري [القاهرة ـ ١٣١٤ هـ].

٢ ـ صحيح مسلم [القاهرة ـ المطبعة العصرية، ١٣٤٩ هـ].

٣ ـ ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث [بيروت: دار صادر].

٤ ـ أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٩٧٤ م.

٥ ـ أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم [القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية]، ١٩٧٩ م.

٦ ـ إبراهيم طوقان: ديوان شعر [بيروت: دار القدس]، ١٩٧٥ م.

٧ ـ إبراهيم الشيخ خليل: «رسالة مجاهد قديم» ـ مجلة شؤون فلسطينية ٧ آذار ١٩٧٢ م.

٨ ـ أحمد بن علي بن عمر المنيني: الإعلام بفضائل الشام، القدس.

٩ ـ أحمد فرح: ديوان جرح الإباء.

١٠ ـ إحسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، جـ ٣ [نابلس، ١٩٧٥].

١١ ـ أحمد الشقيري: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية [بيروت: دار النهار]، ١٩٦٩ م.

١٢ ـ أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية «اليوميات» [١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ م]، بيروت ١٩٨٠ م.

١٣ ـ أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧٩ م.

١٤ ـ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٤، [القاهرة: مطبعة دار الكتب الخديوية]، ١٩١٤ م.

١٥ ـ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، [القاهرة: دار الكتب المصرية]، ١٩٢٣ م.

١٦ - أمين سعيد: ثورات العرب في القرن العشرين، [القاهرة - دار الهلال].
١٧ - إميل الغوري: فلسطين عبر ستين عاماً، جـ ١، جـ ٢، [بيروت: دار النهار للنشر]، ١٩٧٢ م.
١٨ - بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨، [بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية]، ١٩٨١ م.
١٩ - حسني جرار: أعلام الجهاد في فلسطين - «الحاج أمين الحسيني»، [عمان: دار الضياء]، ١٩٨٧ م.
٢٠ - حسني جرار: القدوة الصالحة، [عمان: دار الضيا]، ١٩٨٥ م.
٢١ - حسن صدقي الدجاني: تفصيل ظلامة فلسطين، [القدس]، ١٩٣٦ م.
٢٢ - خير الدين الزركلي: الأعلام، [بيروت: دار العلم للملايين]، ١٩٨٠ م.
٢٣ - سميح حمودة: الوعي والثورة في حياة وجهاد القسام، [عمان: دار الشروق]، ١٩٨٥ م.
٢٤ - صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، [بيروت: دار الفتح]، ١٩٧١ م.
٢٥ - صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، [دار الكاتب العربي، بيروت]، ١٩٦٧ م.
٢٦ - شوقي أبو خليل: الإسلام وحركات التحرر العربية [دمشق: دار الفكر]، ١٩٨٠ م.
٢٧ - عبد العزيز السيد أحمد: عز الدين القسام رائد النضال القومي في فلسطين، ١٩٧٧ م.
٢٨ - عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، [بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر]، ١٩٧٣ م.
٢٩ - د. عبد الستار قاسم: الشيخ المجاهد عز الدين القسام [بيروت: دار الأمة]، ١٩٨٤ م.
٣٠ - عبد القادر ياسين: عز الدين القسام بين جمهورية فرحات وبؤرة جيفارا - مجلة قضايا عربية، السنة السادسة - العدد السابع، تشرين الثاني ١٩٧٩ م.

٣١ ـ علي حسين خلف: تجربة الشيخ عز الدين القسام [عمان: دار ابن رشد]، ١٩٨٤ م.
٣٢ ـ علي الطنطاوي: ذكريات، الجزء الأول.
٣٣ ـ عرفات حجازي: الأخطبوط «الانتداب البريطاني» ـ عمان.
٣٤ ـ عرفات حجازي: فلسطين أرض البطولات.
٣٥ ـ عمر أبو النصر: جهاد فلسطين العربية، بيروت، ١٩٣٦ م.
٣٦ ـ عجاج نويهض: رجال من فلسطين [بيروت: منشورات فلسطين المحتلة]، ١٩٨١ م.
٣٧ ـ عزة دروزة: القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة، [صيدا: المكتبة العصرية].
٣٨ ـ عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا، ١٩٣٦ م.
٣٩ ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات.
٤٠ ـ غالب العياشي: تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ م، دمشق، ١٩٥٤ م.
٤١ ـ كامل محمود خلّة: فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ م، [بيروت: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية]، ١٩٧٤ م.
٤٢ ـ د. صلاح الدين البحيري: أرض فلسطين والأردن، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٤ م.
٤٣ ـ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل.
٤٤ ـ محمد عمر حمادة: أعلام فلسطين جـ ١ [دمشق: دار قتيبة]، ١٩٨٥ م.
٤٥ ـ محمد المجذوب: الشيخ عز الدين القسام المجاهد والشهيد الخالد، جريدة الجامعة العربية ـ القدس، ٢٠ كانون الأول ١٩٣٥ م.
٤٦ ـ د. محمد سلامة النحال: سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، [بيروت: منشورات فلسطين المحتلة] ١٩٨١ م.

٤٧ ـ د. مصطفى السباعي: الاخوان المسلمون في حرب فلسطين، دار النذير.
٤٨ ـ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، جـ ٣ ـ القسم الثاني، جـ ٧ ـ القسم الثاني، [بيروت: رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل]، ١٩٧١ م.
٤٩ ـ د. عز الدين اسماعيل: «عز الدين القسام»، [بيروت: دار العوده].
٥٠ ـ زهير المارديني: ألف يوم من الحاج أمين [بيروت: دار العرفان]، ١٩٧٧ م.
٥١ ـ ناجي علوش: المقاومة العربية في فلسطين، [بيروت: دار الطليعة]، ١٩٧٠ م.
٥٢ ـ نوح إبراهيم: قصائد فلسطين المجاهدة.
٥٣ ـ واصف عبوشي: العربي العصري، مكتب الأبحاث ـ جامعة بيرزيت، ١٩٧٩ م.
٥٤ ـ يوسف الحكيم: سورية في العهد الفيصلي، [بيروت: دار النهار]، ١٩٨٢ م.
٥٥ ـ يوسف هيكل: القضية الفلسطينية ـ تحليل ونقد، يافا، ١٩٣٦ م.
٥٦ ـ يوسف رجب الرضيعي: ثورة ١٩٣٦ م في فلسطين.
٥٧ ـ لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، [موسكو: دار التقدم].
٥٨ ـ يهوشع بوراث: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩ م.
٥٩ ـ هوب سمبسون: الهجرة والاستيطان في فلسطين [القدس: دار الأيتام الاسلامية].
٦٠ ـ الموسوسة الفلسطينية ـ المجلد الثالث والرابع، [دمشقد ١٩٨٤ م].

الدوريات:

١ ـ مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، الأعداد: «٦، ٧، ١٢٦».
٢ ـ نشرة فلسطين، الصادرة عن الهيئة العربية العليا ـ بيروت، الأعداد: «٣، ٦٥، ٦٦».

٣ ـ مجلة الرابطة العربية ـ القاهرة، الأعداد: «١٢، ١٧، ٢٤».
٤ ـ جريدة الجامعة الإسلامية ـ يافا.
٥ ـ جريدة الجامعة العربية ـ القدس.
٦ ـ جريدة فلسطين ـ يافا.
٧ ـ جريدة الدفاع ـ يافا.
٨ ـ جريدة الأهرام ـ القاهرة.
٩ ـ جريدة دافار.
١٠ ـ صحيفة البالستاين بوست.
١١ ـ مجلة فلسطين الثورة ـ العدد ٦٣٦.
١٢ ـ مذكرات الضابط البريطاني «جفري مورتون» المنشورة بجريدة الدفاع الأردنية بتاريخ ١٩٥٨/٨/٥ م.

الأشرطة:

١ ـ الشريط الأول من زجل رابطة الطلبة الفلسطينيين بالكويت.
٢ ـ الشريط الأول لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.
٣ ـ الشريط الثاني لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.
٤ ـ الشريط الثالث لفرقة النور وفرقة الجامعة الإسلامية بغزة.

مقابلات شخصية:

تم إجراء مقابلات شخصية مع كل من:
١ ـ الشيخ فريز جرّار ـ في عمّان ١٩٨٥ م.
٢ ـ السيد عبد الله السّعدي ابن الشهيد الشيخ فرحان السعدي ـ في عمّان ١٩٨٦ م.
٣ ـ الأستاذ طاهر أحمد حسين ـ في عمّان ١٩٨٦ م.
٤ ـ السيد يوسف العطار ـ في الدوحة ١٩٨٥ م.
٥ ـ الدكتور عدنان النحوي ـ في الدوحة ١٩٨٦ م.
٦ ـ الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري ـ في الدوحة ١٩٨٦ م.

كتب للمؤلف

١ ـ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ١٠ أجزاء.
٢ ـ أناشيد الدعوة الإسلامية ـ أربع مجموعات، والكتابان بالاشتراك مع الأستاذ أحمد الجدع.
٣ ـ الأخوّة والحب في الله.
٤ ـ الدعوة إلى الاسلام.. مفاهيم ومنهاج وواجبات.
٥ ـ القدوة الصالحة.. أخلاق قرآنية ونماذج ربّانية.
٦ ـ ديوان شعر الدكتور يوسف القرضاوي ـ جمع وتقديم وتحقيق.
٧ ـ الكتاب الأول من سلسلة «أعلام الجهاد في فلسطين»: الحاج أمين الحسيني.. رائد جهاد وبطل قضية.
٨ ـ الكتاب الثالث من سلسلة «أعلام الجهاد في فلسطين»: الشيخ فرحان السعدي ـ الشيخ فريز جرار ـ الشيخ عبد القادر المظفّر.
٩ ـ المرأة في الشعر الإسلامي المعاصر: «قصائد إلى الأم والأسرة».
١٠ ـ المرأة في الشعر الإسلامي المعاصر: «قصائد إلى المرأة».
١١ ـ المرأة في الشعر الإسلامي المعاصر: «قصائد وأناشيد للفتاة».

كتب تالية:

من سلسلة «أعلام الجهاد في فلسطين»:
١ ـ الشهيد عبد القادر الحسيني.
٢ ـ الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد.
٣ ـ المعارك التاريخية بين المسلمين والفرنسيين على أرض الشام.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

معركة يعبد

الفصل الخامس

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس

الموضوع	الصفحة

الفصل السابع

الموضوع	الصفحة